

لجنة التثمين العربي

الغُرْبَةُ عِنْ الْعَرَبِ

تأليف

حسان أبو رحاب

مدير إدارة التحريرات العربية بوزارة المعارف

[حقوق الطبع محفوظة المؤلف]

الطبعة الأولى

الكتاب المأهولة
مطبوعة بمطبعة الكتب المدرسية
١. مكتبة وزارة التربية (مكتبة المدارس)

١٣٦٦ - ١٩٤٧

٨٩
٠

اهداءات ٢٠٠٢

١/ سامي خشبة

القاهرة

بيان العبر

العنكبوت

عن العرب

دروس حفيظة

تأليف

حسان ابو رحاب "اب/١٩٤٨"

مدير ادارة التحريرات العربية بوزارة المعارف

[حقوق الطبع محفوظة للمؤلف]

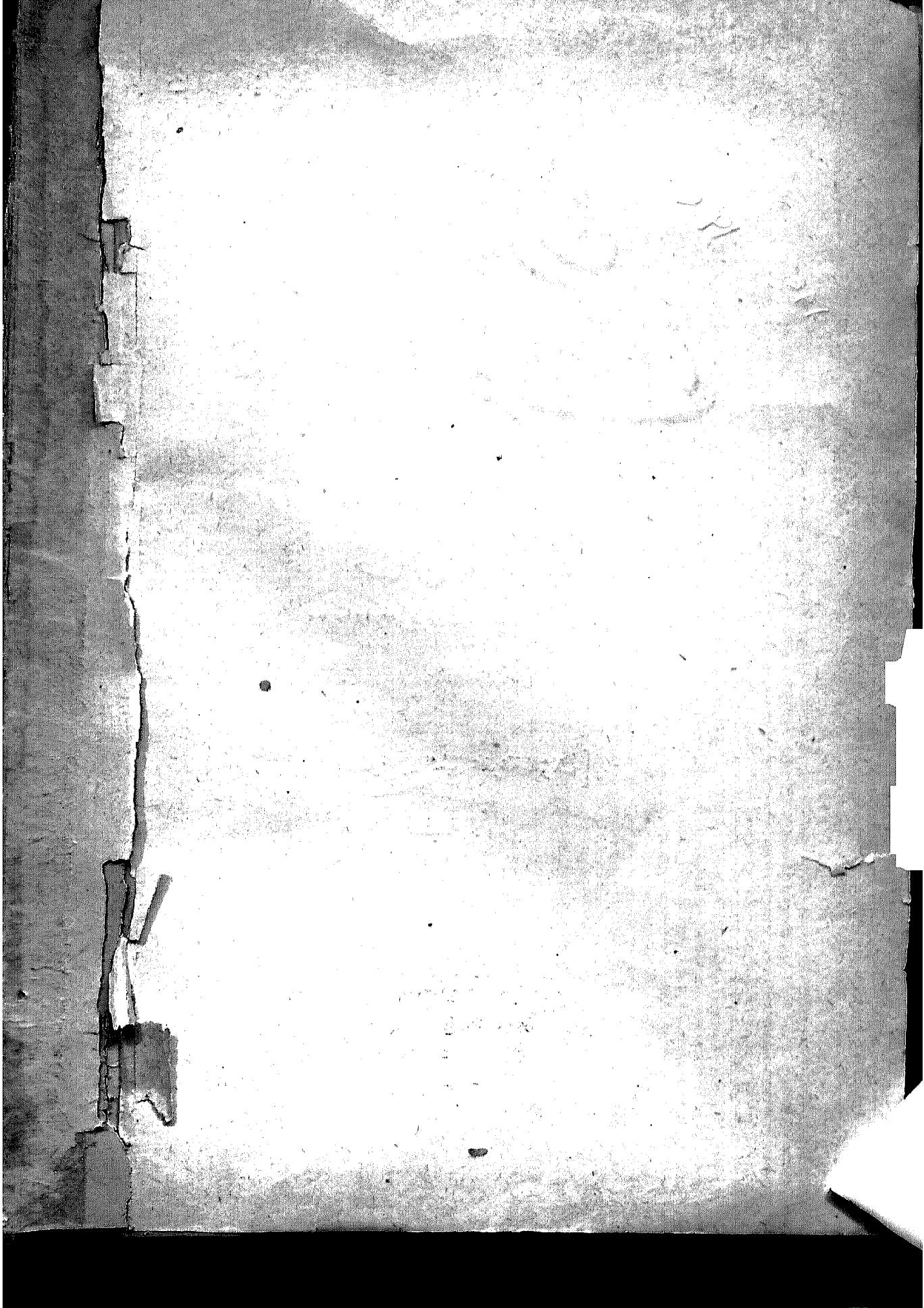
٣٥٥٣ ٣٦٢٧ ٠٠٩ ٢٩٢٧

الطبعة الأولى

الكتاب
الطبعة الأولى
مطبوعة في مصر
من طبعه المطبعة
١. مكتبة الدراسات
٢. مكتبة الدراسات
٣. مكتبة الدراسات

١٣٩٦ - ١٩٤٧

٤١٩٢٢/٥



مقدمة

للسياحة فضل على في تأليف هذا الكتاب .

ذلك أن الحزبية لا زالت في بلادنا تخلط بين الرأي السياسي ، وبين الوظيفة ،
وكان الوظيفة ملك هذه الأحزاب تمنحها الأعوان والأنصار ، وتحرمها المعارضين
والمحضوم . وعندى أن هذا بلاء ندعوه الله أن يجنب مصر ويلاته ونكباته . فالموظف
في وظيفته ملك للدولة . . . وهو أياً كانت مرتبتة خادم لأمته ، شأنه في ذلك شأن
الرئيس أيًا كانت مرتبته . وإذا أديا الوظيفة بأمانة وإخلاص ، كانوا محل تقدير
واحترام ، وإنما فالويل لهم كل الويل .

نُقلت إلى بني سويف جراءه أن أعلنت رأيي السياسي ، ولو أن هذا الإعلان
كان قبل دخولي الوظيفة وقد فكرت أن أستقيل . ولو فعلت لكونت من أغنياء
هذه الحرب . . . ولكن الله سلم . . .

ويظهر أنني لم أفعل لأسر قضاة الله : وهو هذا الكتاب .

كانت لي بمصر أعمال كثيرة شغلتني عن القراءة ، والكتابة ، والتأليف . وليس
الأمر كذلك وأنا «في بني سويف» لأنه ليس فيها ما يشغل وقت الفراغ سوى الملاهي ،
وهي بغيضة إلى ، وأعتبرها مثابة للوكلة الخاملين .

كان لا بد لي إذن من أن أقرأ . وأن أتابع القراءة ، وانصرفت بنوع خاص إلى
قراءة كتب الأدب قديمها وحديثها .

وفي ذهني منذ أن كنا نتلقى العلم أن للشعر العربي أبواباً ، وضعوا لها حدوداً

وَمَعَالِمُهُ : الْحَاسِةُ ، وَالْمَدْحُ ، وَالنَّسِيبُ ، وَالْوَصْفُ ، وَالْزَّهْدُ ، وَالْمَجَاهُ ، وَالرَّثَاءُ .
فَأَخْذَتُ أَبْحَثُ فِي الْمَكْتَبَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَنْ كِتَابٍ أَوْ كِتَابَيْنِ فِي هَذِهِ الْأَبْوَابِ بِعِينِهَا .
فَلَمْ أَجِدْ آسِفًا إِلَّا أَقْوَالًا مُبَعَّثَةً ، وَمَقَالَاتٌ مُتَنَاثِرَةً ، وَخَاصَّةً لِبَعْضِ أَدْبَائِنَا الْمُعَاصِرِينَ .
فَسَأَلْتُ نَفْسِي فِي شَيْءٍ مِنْ الْحَسْرَةِ وَالْأَلْمِ : كَيْفَ يَقْعُدُ بَنَا الْعَزْمُ ، فَلَا نَخْدُمُ الْأَدْبَرِ
الْعَرَبِيِّ ، فِي نَاحِيَةِ مِنْ نَوَاحِيهِ ، هَلَا أُثْرَاهَا وَنَفْعَهَا ، وَمَكَانَتْهَا ؟ أَهْذَا جِحْودٌ ؟ أَوْ مَجْزَعٌ
أَوْ إِمَالَ ؟ .

طَغَى عَلَيْنَا سَيْلُ التَّرْجِةِ ، حَتَّى امْتَلَأَ الْإِزَاءُ وَفَاضَ .
وَطَغَى عَلَيْنَا حَبُّ الْفَرِنْجِيَّةِ ، حَتَّى غَلَبَنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ .
أَنَا لَا أَدْعُو إِلَى اطْرَاحِ الْمَعْرِفَةِ بَمَا يَجْرِي فِي أَمْمَ الْغَرْبِ مِنْ عِلْمٍ ، وَأَدْبَرِ . وَمِدْنَاطِيَّةِ
وَحْضَارَةِ .

وَلَكُنِي لَا أَفْهَمُ أَنْ يَكُونُ هَذَا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ .
أَفْهَمُ أَنْ نَعْرِفَ هَذَا . وَأَنْ نَعْرِفَ عَنْ يَقِينٍ وَتَفْكِيرٍ . وَلَكُنِي لَنْتَذَوَّقَهُ ، وَنَجْنَى
مِنْ ثَمَارِهِ مَا يَعُودُ عَلَيْنَا بِالْخَيْرِ فِي عَلَمِنَا ، وَأَدْبَنَا ، وَمِدْنَاطِنَا ، وَحْضَارَتِنَا .

إِنْ مِنَ الْوَاجِبِ إِلَّا نَسْيُ قَوْمِنَا . بَلْ مِنَ الْوَاجِبِ إِلَّا نَذَرُ حَرْسَمَا فِي أَنْ تُرْفَعَ
هَذِهِ الْقَوْمِيَّةُ ، بِكُلِّ مَا أُوتَيْنَا مِنْ قُوَّةٍ . وَبِهَذَا تَكُونُ أَهْلَ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالْمَسْجِدِ الَّذِي
نَصْبُو إِلَيْهِ ، وَنَجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ .

وَإِنْ فِي خَدْمَةِ الْأَدْبَرِ وَدِرَاسَتِهِ مَا يَوحِي إِلَيْنَا مِنْ مُثُلٍ كَرِيمَةٍ : تَهْذِيبُ النَّفْسِ ،
وَتَصْقِلُ الْحَسِنِ ، وَتَفْتَنُ الذَّهَنِ ، وَتَرْقِيَةُ الْعُقْلِ . كُلُّ هَذِهِ أَمْوَارٍ يَجْدِرُ بَنَا أَنْ نَحْرُصَ
عَلَيْهَا ، وَنَعْضُ بِالنَّوَاجِذِ .

ما هو الغزل؟

ثم لم شُغِّلَ العرب بالغزل؟

وما هو الأثر الذي يعود على الناشيء والقاريء إذا درس الغزل، وفهم معانيه،
وتدوّق مراميه؟ وكم له من مرام ومعان؟

هذه أسئلة يجب أن يكون لها أجوبة، وأن نفصل هذه الأجوبة في دقة،
وبحث، وأنأة.

فأين الكتاب الذي عالج هذه المسائل؟ ويجد فيه القاريء ما يروي ظماء.

ويشقى غلته.

وقل مثل هذا في سائر أبواب الشعر.

وقد آلمني أن لم أجد كتاباً خاصاً يتحدثنا عن كل باب من أبواب الشعر العربي، بل كتاباً يتبارى فيها المؤلفون، ويتنافس الأدباء. لكل ذوقه ونرجمه.
ولكل طريقة تفكيره، وبيان وجهته. وفي ذلك خير للأدب والمنش، الذين يدرسون
هذا الأدب.

أحسست إذن بنقص في الكتاب التي بأيدينا. وبنقص في العناية بالكتابة عن
أبواب الشعر العربي، على هذا النهج الذي ذكرت.

واعززت أن أعالج هذا النقص بالأسلوب الذي أراه وبالتفكير الذي أهتدى
إليه. وأنا أعلم أن الطريق محفوف بالصعاب. يكلف من يرتاده ضروباً من العسر،
والعناء. ولكن الكاتب لا يضيره ما يلقى من صعوبة أو تعب، بل عليه أن يحاول،
 وأن يتأتى الفكرة، وأن يدقق البحث، وأن يكون الإخلاص رائده. ولعله بعد ذلك
يكون ناجحاً موفقاً، أو يكون أقرب إلى النجاح والتوفيق.

لهذا شحدت العزم، ودأبت على العمل، وقد عوقني، وعطّل على عبء
الوظيفة، وعقب أعمال أخرى، تأخذ من وقت وجهودي. فطال العهد، وتباطأ

جني المئر . وخاصة يعد أن غدت إلى القاهرة ، فعادت إلى كثرة من هذه الأعباء .

ورعى الله الإسكندرية . حيث كانت تُضفي على بمائتها ، وهوائتها ما أهانى بعض العون ، في تأليف هذا الكتاب .

وقد اتسع أمامي الأفق .

لا بد أن أتحدث عن الشعر : كيف نشأ ؟ وكيف تطور ؟ وكيف مثل حياة العرب ؟ وكيف اتجه إلى هذه الأغراض من : مدح ، وحماسة ، وغزل ، ووصف ، وزهد ، وبهاء ، ورثاء ؟

والغزل نفسه فيه نواح كثيرة لا بد من علاجها ، كل ناحية في كتاب .
فما العمل ؟

تمنيت أن يكون المؤلف أضعاف وقته . وأن تكفل له الراحة ، ويكتفل له العيش .
إذن لأفاد ، وأثرت اللغة العربية من هذه الفائدة .
ولكن لا تجدى الأمانى .

وإذا صبح العزم . وخلصت النية ، تتحقق ما نريد ، ولو طال المدى .

إذن سأتابع هذه السلسلة . وسيكون لكل سلسلة كتاب :

كتاب الشعر وتطوره .

كتاب الغزل .

كتاب شؤون الغزل وشجونه .

كتاب جمال المرأة والغزل .

هذه أربعة كتب سأبدأ بها العمل .

أما الكتاب الأول فضرورة لابد منها لمن يعالج أبواب الشعر . وكنت قد رأيت

أول الأمر أن يكون مقدمة للغزل . ولكنني وجدته واسع المدى ، بعيد الخطر ، فرأيت
أن أفرد له كتاباً خاصاً .

كما كنت قد رأيت أن أجعل للفزل كتاباً واحداً . ولكن وجدت أنه سيتسع
وسيتضخم ، وقد يمل القارئ من هذه السعة ، ومن تلك الصخامة . فرأيت من
الحكمة أن يكون كتاباً ثلاثة . فإذا انتهيت من هذه الكتب الأربع عن الشعر ،
وعن الغزل ، اتجهت إلى أبواب الشعر الأخرى ، وأعلجها على نحو ما عالجت به الغزل .
وأرجو ألا يطول بي المدى .

ولم بدأت بالحديث عن الغزل . دون أبواب الشعر الأخرى ؟
ذلك سؤال لا يحتاج في الجواب عنه إلى كثير عنا .
فالغزل أكثر أبواب الشعر من حيث الكم . وأغنى أبواب الشعر من حيث
الذوق ، والفن ، والعاطفة .

ولأن ما كان الغزل كذلك ؟

الغزل غناه وطرب ، بهجة وسرور .

ومن ذا الذي لا يحب أن يكون دوماً مبهجاً طرورياً ؟

الغزل حب وإخلاص .

ومن ذا الذي لا تهفو نفسه إلى الحب ؟ ولا ترنو إلى الإخلاص ؟
وأيّاً قدح في الغزل القادحون ، وقالوا إن في بعضه عيشاً ، وفي بعضه لهواً . فإن
النفس البشرية مهما ارتفت وسمت تجبح ولوفي بعض الأحيان إلى الله و العبرت
فما بالك إذا كان بريئاً ، ظاهراً ، كريماً .
الغزل وجه الحياة المشرق الصاحك .

ومن ذا الذي يفر من النور إلى الظلام ، ويؤثر العبوس على الإشراق
والابتسام ؟

الغزل حديث القلب والعاطفة .

ولغة القلوب تستهوي القلوب ، ولغة العاطفة تح郅 لها اللغة .

على أني لا أفهم الفزل في هذا كله بحسب ، ولكنني أفهمه فناً يوحى المجال :
جال الدوق . وجال الحديث ، وجال الفكر ، وجال الأسلوب . وأفهمه درساً ، يوحى
كثيراً من الأخلاق ، التي يحتاج إليها الإنسان الكريم .

ستعرف ذلك كلها تعصيلاً حين تقرأ كتب الفزل هذه التي أشرت إليها آنماً .
حين تقرؤها بقلبك . ووعيك . واملك تؤمن معى أننى ألفت هذه الكتب عن فكرة
وغاية . أرجو أن يدركها القارئ فيما بسطت ، وحسبي فيما فعلت أننى ابتغى
الخير ، وعلى الله توكلت وإليه أنيب .

حيان الورحاب

الفاتحة في } رئيس الأول سنة ١٣٦٦
فبراير سنة ١٩٤٧

البَابُ الْأَوَّلُ

معنى الغزل - الفاطمة

الفصل الأول

معنى الغزل

أجمع علماء اللغة على أن الغزل معناه التحدث إلى النساء والتودد إليهن .

وتشمل مادة « غزل » في اللغة ثلاثة معان :

١ - غزل الصوف — يغزله من باب ضرب . مده وفته خيطاناً ، ومنه المغزل بكسر الميم وضمها ، عند قييم .

٢ - غزل بالمرأة — يغزل من باب فرح — حادثها وأفاض بذكرها .

٣ - أغزلت الظبية — صار لها غزال . فالغزال ولد الظبية .

هذه ثلاثة معان لكلمة « غزل » فهل يوجد ارتباط بين هذه المعانى ؟ يجمع بينها في باب واحد ، وإن اختفت الفايات وتعددت السبل .

نعم يوجد ارتباط وثيق بين « غزل الصوف » و « مغازلة المرأة » و « غزال الظبية » .

قال الزجاجي ^(١) : أصل المغازلة : الإداراة والقتل . لإدارته عن أمره . ومنه سمي المغزل لاستدارته وسرعة دورانه . وبه سمي الغزال لسرعة عدوه ، وسميت الشمس الغزالة لاستدارتها وسرعة دورانها .

(١) المخصوص ٥٤

وإذا شئنا أن نبسط هذا المعنى بعض البساط قلنا :

إن الغزل بالمرأة يتطلب من الرجل أن يتحدث إليها وأن يكون حديثه مؤثراً
جذاباً حتى يستمبلها إلى وده ويستهويها إلى حبه . وهو في هذه السبيل يسلك شتى
الوسائل ويركب صعب الأمور . يختال إذا وصل بالحيلة إلى غايتها ، ويداري إذا ثُقِّلت
المداراة ، ويتنزّل لها ، ويتوسل إليها لعل ذلك يعني من الأمر شيئاً . والمرأة بين
هجر ووصل وقنع ودلل . وفارق ولقاء لا تكاد تلقاك باسمة الحيا فتنعم بهذا الرضا
حتى تنقلب عابسة الوجه ، مقطبة الجبين ، فتشق بهذا العبوس أضعاف ما نعمت
بأسباب الرضا والابتسام .

أليس ذلك كله فتلا ودوران؟ .

ألا يشبه ذلك « الغزل » في لفه ودورانه؟ .

ثم ألا يشبه الغزال في عدوه السريع ونفوره الجامح؟ .

ثم ألا يشبه « الشمس » وهي في طلعتها تشرق علينا بالنور وفي غيابتها تنسلل
غياهب الظلام؟ ، وتحت بين الطالوع والمغيب نسعد كما نسعد بالمرأة التي تحبها
إن رضيت ، أو نشقي بها إن هجرت وتنعمت .

بلى . لا شك في ذلك ولا جدال .

الفصل الثاني

الفاظ الغزل

وقد غنى الغزل باللغات كثيرة توافق هذه المعانى الجمة التي عرض لها الشعراء ،
وتوافق هذه العاطفة التائرة ، وما يتصل بها من لوعة وحرقة وأنين .
وإني لا أريد أن أستوعب هذه الألفاظ ، ولا أريد أن أستوعب مدلولاتها ،
فهي كثيرة متشعبة ، متداخل بعضها في بعض .
ومن هذه الألفاظ :

هي وسائل لفاظ العزل عن معانٍ ثلاثة :
إذا شئنا أن نكشف معانٍ هذه الألفاظ ، ونعرف مدلولاتها ، فإنها لا تخرج
العلاقة ، الوعة ، الوجد ، الغرام ، التّيم ، التبّيل ، التدليه .
النبيب ، التشبيب ، العشق ، الحب ، الموى ، الصّيابة ، الهيام ، الشّفَّاف ،

١ — التحدث إلى المرأة ، والتودد إليها . ٢ — العلاقة التي يتركها هذا الحديث ، ومدى هذه العلاقة من قوة أو ضعف . ٣ — آثار العلاقة ، وتعدد نواحي هذه الآثار . وإذا كان علماء اللغة يقولون إن هناك ملائكة بين اللفظ والمعنى ، فإنما نرى المناسبة بين ألفاظ الفرز و معانيه أكثر وضوحاً و بياناً .

ويحسن بي في هذا المقام أن أوجه النظر إلى الملاحظات الآتية :

- ١ — لا صعوبة ولا تناقض في هذه الألفاظ ، ولا في الحروف التي تتالف منها .
- ٢ — ليس في ألفاظ الغزل حرف ثقيل بالتشعيف ، أى التشديد ، وإذا وجدته في مثل مقيم ، مدلل . فإن الياء حرف لين ، وتشعيفها لا يزيدتها ثقلًا بل ليناً . وإن تشعيف اللام لا تقل فيه ولا شدة .

٣ - حروف الain ثلاثة : **الألف** ، **والواو** ، **والياء** . وتسمية هذه الحروف باللين صادقة ولعلك ترى أن هذه الحروف تكثر في ألفاظ الغزل .

٤ - في بعض الألفاظ الفزل أو كثيرون منها مدّ قصير أو طويلاً . ومن ذلك مثلاً : الموى ، الغرام .

ولعله بانَّ لك من هذه الملاحظة أنَّ ألفاظ الفرز سهلة لينةً تناسب معانٍ الغزل
من رقة وعدوَّة . فالمحبوب حين يتحدث إلى حبيبة نفسه لا تراه إلا عذب الحديث ،
وحين يودعها لا تراه إلا رقيق الحال خشية الفراق وما أشده على التفوس ! وحين
يناجيها لا تراه إلا هزيلاً يرسل نهشات حبه وهو معدب معنٍّ ، بل حين تهجره وتتجهوه
لا تراه إلا ضارعاً متسللاً خاصعاً متمذلاً . لعلها ترضى بعد امتناع ، وتبسم بعد عبوس .
هذه هي المعانى الرقيقة العذبة ، وتلك هي الألفاظ السهلة اللينة .

ولعله بانَّ لك أنَّ حروف هذه الألفاظ مبتلأمة متقاربة لا تنازف بينها ولا وحشية ولا احتساب . وكأنها تناسب ما يكون بين الحبين حين تصفو لهم الحياة . وما أند هذه الحياة ! إنها تقارب بين الأرواح وامتزاج بين النقوس ، وأنعم بهذا الامتزاج وذاك التقارب !

ولعله باه أن هذا المد الذى تراه في بعض ألفاظ الغزل يناسب المد الذى تراه في معانى هذه الألفاظ ؛ فالمد الذى تراه في كلة الخصم يناسب طول العذاب الذى يلقاه المغرم في حبه . والمد الذى تراه في كلة « الهيام » يناسب شدة كلف الماء
محبو بيته . وهكذا ...

إن سهولة ألفاظ الغزل وسهولة حروف هذه الألفاظ لا تتناسب معاني الغزل من حيث الرقة والعدوبة فحسب ، ولكنها توافق طبيعة العربي وحبه للغزل .

قال ابن دريد^(١):

المزهري ١٩٥

واعلم أن أكثر الحروف استعمالا عند العرب : الواو ، الياء ، الممزة . وأقل ما يستعملونه على استعمالهم لشقلها الظاء ثم الدال ثم الثاء ثم الشين ثم القاف ثم الخاء ثم العين ثم النون ثم اللام ثم الراء ، ثم الياء ثم الميم .
ولعلك ترى أن حروف ألفاظ الغزل التي ذكرتها هي من هذه الحروف كثيرة الاستعمال على رأى ابن دريد .

ألا يدل ذلك على أن الغزل قريب إلى نفس العربي حبيب إلى طبعه ؟ وكذلك كانت حروف ألفاظه أكثر استعمالا وأكثر تداولا ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره وأكثر من استعماله .

ويظهر أن هذه السهولة تخطت ألفاظ الغزل إلى أسماء نساء الغزل ، فترى أمثال دعد ، هند ، ليلى ، لبني ، سامي ، عزة ، وبئنه .
وهي أسماء سهلة عنده في النطق حلاوة في اللسان .

البِلَادُ الْثَالِثُ

نشأة الغزل - دواعيه

الفصل الأول

نشأة الغزل

يجحسن بنا في هذا المقام أن نكرر الإشارة إلى معنى الغزل وهو : التحدث إلى النساء ، والتودّد إليهن .

وإذا شئنا أن نخلل هذا المعنى وجدناه يشمل ثلاثة أركان :

الarkan الأول : الرجل الذي يتتحدث ويتوّدّد .

الarkan الثاني : المرأة التي تستمع حديثه وتودّده .

الarkan الثالث : الحديث الذي يقوم بين الرجل والمرأة ، ويحمل ما يكون بينهما من آصرة الحب والمودة .

فإذا وجد الرجل الذي يتتحدث ، ووجدت المرأة التي تستمع إلى الحديث ، ووجد الحديث الذي يكون وسيلة الارتباط بينهما — كان الغزل .

فهل كان الغزل عند العرب لتتوفر هذه الأركان الثلاثة : من رجل ، وامرأة

وحديث ؟

نعم .

فالعربي نشاً منذ القدم محباً للفرح والطرب والسرور ، نتيجة البيئة التي يعيش فيها ؛ ونتيجة الحياة الاجتماعية التي تطبعه بطبعها الخاص .

والعربي ، كما نعرف ناعم البال ، لا يشغله من أعباء الحياة ما ينوه تحت أنفاليه وما يجعل العيش في نظره عابساً فاتحاً . ويكون من الحياة أن يجد قوته وأن يجده في أبسط صورة ، ومن أقرب طريق فيقنع ، ويرضى بما قسم الله .

والعربي صاف الطبع ، قوى العاطفة ، فلا بد أن يجد سبيلاً إلى ماينذرى هذا الطبع ويقوى تلك العاطفة .

والعربي شاعر بفطرته ، فليرق بهذا الشعر إلى درجة كريمه رفيعة ، تكون قريبة إلى النfos .

إذن وجد العربي ، وفيه من الصفات ما يؤهله لأن يكون غزواً ، ومبعداً في هذا الفزل .

ولكن ذلك وحده لا يكفي . فإذا لم توجد المرأة ؟ فمع من يكون الحديث ؟ وإذا لم تكن المرأة جميلة جذابة ، فلن يكون حديث أو يكون ولكن كريمه ثقيل ، لا تقبله النفس ، ولا يستريح إليه القلب . على أن وجود المرأة وحده لا يكفي ، كما أن جمالها وحده لا يكفي ، فلا بد حتى تثير عاطفة العربي ، وحتى تهيج شاعر بيته ، فتأنى بالسحر الحال — لابد أن تكون المرأة جميلة وأن تكون على جانب من الأدب والفتنة ، وحسن البيان .

وذهبك شاعراً بارعاً وجلست إليك فتاة بارعة في الحسن والجمال ، ولكنها ليست من العلم والبيان والفتنة في شيء ، أيشير وجودها في نفسك ما يشير وجود فتاة أخرى مازها الله بالجمال وحسن الحديث ورقة الشعور ، وبداع الخيال ؟

وإذا كان قد وجد العربي الذي من شأنه أن يتتحدث أو يتودّد ، فقد وجدت المرأة التي من شأنها أن تغري الرجل بالحديث معها ، والتودّد إليها . تغريه بجمالها ،

وقد ثبت أن المرأة العربية بجمالاً فاتناً . وتغريه فوق ذلك بما وهبها الله من فطنة ،
وذكاء ، وعلم ، وأدب .

وكيف السبيل إلى المرأة ؟

إنها تلقى الرجل ويلقاه دون حجر ، ولا حرج ، ولا تصييق .
كان من عادة العرب كما حدثنا ^(١) بن الهيثم عدى عن ابن عياش : « أن يتحدث
رجالهم إلى النساء لا يرون بذلك بأساساً » .

وكما حدث رباح العاسى : « والعرب ترى ذلك غير منكر أن يتحدث الفتيان
إلى الفتیات » .

إذن نشأ الغزل عند العرب إذ توفرت أركانه الثلاثة . ونما هذا الغزل وتطور
تبعاً لنمو هذه الأركان وتطورها .

وسترى ذلك مفصلاً في سائر الفصول والأبواب .

(١) الأغاني ج ٨ ص ٣١٣

الفصل الثاني

دواعى الغزل

١ — بِيَهُتُّ الْعَرَبِيُّ وَطَبَعَ :

قدمت لك في نشأة الغزل أن من أقوى دواعيه ما ركب الله في طبع العربي من حب المرأة ، وما يوحيه هذا الحب من حديثها وتقر به إليها . وما أحاطه الله به من صحراء واسعة ، وسماء مشرقة ، ومن وسائل عيش تساعد على صفاء النفس ، وخلو البال . وذكر^(١) ابن خلدون أن بلاد العرب لا تنبت زرعاً وأن أهلها يفقدون الحبوب والأدم بجملة ، وخلص من هذا إلى قوله : « ونجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والأدم من أهل القفار أحسن حالاً في جسومهم وأخلاقهم من أهل التأول المنغمسين في العيش ، فالذان هم أصنف ، وأبدانهم أتقى ، وأشكالهم أتم وأحسن ، وأخلاقهم أبعد من الانحراف ، وأذهانهم أثقب في المعارف والإدراكات » .

ولو كان طبع العربي بعيداً عن حب المرأة ، بعيداً عن الإشراق والسمو . ولو كان من وسائل العيش ما ينفصل بالله ، ويبلبل حاله ما استقام له هذا الفن الجميل من الغزل ، وما كانت له هذه الروعة في مجاله الفسيح .

وقيل لكثير : « ما بقي من شعرك ؟ قال : ماتت عزرة فما أطرب ، وذهب الشباب فما أحبب . ومات ابن ليلٍ — يعني عبد العزيز بن مروان — فما أرغبه . وإنما الشعر بهذه الخلال » .

(١) المقدمة ص ٩٨

٢ — اهتمام الرجل بالمرأة :

قلنا إن من عادة العرب أن يتحدث رجالهم إلى النساء ، لا يرون في ذلك بأسا . ولقاء الرجل المرأة هو الدعامة الأولى للغزل .

ولو لم يكن هذا اللقاء ما كان غزل ، ولا كان حديث ، ولا كان وصف لقاء والوداع ، وما في اللقاء من ذكريات وشئون ، وما في الوداع من حسرة وأنين .

ولو لم يكن هذا اللقاء ما كانت النجوى ، ولا كان عتب وملام ، ولا عرف الرجل في المرأة مواضع دلّها وحسنها وجهالها وقتتها ، ولا فاض شعره بوصف ذلك كله ، وما يتبع هذا الوصف من فنون .

كان العربي يلقي المرأة فتأخذه بحسنها وجهالها . فتشور في نفسه عاطفة القربي إليها ، وتعلّى عليه هذه الشورة أن يحدّثها عن فيض شعوره ، عن الكللوم التي خلقها في قلبه ، فإذا صدّت وتحمّلت توسل إليها ، واحتال عليها ، أعلّها ترق وترحم . وكثيراً ما كان يرقب طلوعها ، وكثيراً ما كان يرتحل إليها ، وكثيراً ما كانت تسعده الظروف باللقاء ، وكثيراً ما كانت تشقيه بالحرمان !

وكيف كان يلقي الرجل المرأة ؟

لم تكن المرأة العربية محتجبة في منزلها ، بل كانت حرّة طليقة ، تتنقل وترحل ، وتشارك الرجل في كثير من أعماله . كانت ترعى الغنم . وكانت تملأ الماء . وكانت تجح إلى بيت الله الحرام . وكانت تذهب إلى السوق ، لتشترى أو تبيع . وترتاد أسواق الأدب لتسمع أو تنشد ما تريده .

وكانت في كل هذه المراحل تلقى الرجل ، ويلقاها الرجل ، وفي الرجل عاطفة وحساسية ، وفي المرأة رقة وعدوّة . عدوّة لفظ ، وعدوّة خلق ، وعدوّة أدب . فلابد أن تلتقي العواطف ، ولا بد أن تهتز القلوب ، ولا بد أن يحمل الشعر نجوى العواطف وهزّات القلوب . فكان الغزل ، وكان شعر الغزل .

لعلك تعجب حين تقرأ في أخبار شعراء الغزل ، أن الشاعر لا يكاد يلقي امرأة بارعة في الجمال ، حتى تتحرك شاعريته بآيات من شعر الغزل ، تقىيض رقة ، وعدوبية وقوه تأثير . ويسوقني تداعى المعانى ، وأنا أتحدث عن هذا المعنى إلى ما نشهد ، ونحن نجول على شاطئ الإسكندرية في فصل الصيف ، وما نراه في الغيد الحسان من وجه ضاحك ، وعيون نجل ، وقام فارع ، وشعر متدل ، فنجد كواكب — كل ذلك يشير في قلوبنا العاطفة الملتهبة ، فتتحدث ولو بين خلجان نفوسنا حديث غزل ، وخيال ، وإعجاب ، وتقدير . ولو أنت أتيتنا بسطة في الشاعرية ، كما أتني العرب الأولون لرأيت وقرأت في وصف هؤلاء الغيد ، وفي التحدث إليهم وفيما يجره الحديث من شؤون وشجون — شعراً غزلاً ، لا يقل روعة وحساسية عن شعر الأولين . بل وجدت من المعانى الرقيقة ما يوافق هذه الطبيعة الجميلة التي صنعتها الطبيعة في القرن العشرين ، ولم تكن قد صنعتها في القرن الخامس وما قبله أو بعده . ومن الخير أن تتحدث الآن ولو في شيء من الإجمال عن هذه المناسبات ، التي جمعت بين الرجل والمرأة ، بجمعت بين قلبين ، وعاطفتين ، ثم جمعت إلى ذلك ترجمانا صادقا من الشعر الغرد الطروب ، يصف هذه القلوب ، وتلك العواطف .

ما أكثر هذه المناسبات ! ولكننا نلخصها فيما يأتي :

(١) المرعى :

بلاد العرب تنبت الكلأ والعشب ، ويعيش أهلها من الألبان ، لذلك أخذوا أنفسهم برعى الغنم والإبل ، ولا يكاد يشب الفتى حتى يقوم بمحظه في هذه الناحية من تكاليف العيش . وكانت الفتاة تشارك الفتى في مباشرة كثيرة من مراقب الحياة ، لا ترى في ذلك أساساً ، ولا حرجاً . وكانت الفتاة تؤدي واجبها في رعي الغنم . فهوئلاء وأولئك من فتية وفتيات يلتجمعون مواطن الكلأ ، ويردون مناهيل الماء ولا شك أن هذا يمكن من اختلاط الرجل ، والمرأة ، ولا شك أن هذا الاختلاط

يمكن الرجل من أن يتحدث إلى المرأة ، ومن أن يجتمعوا إلى ظل واحد ، فترة طويلة من النهار ، فإذا غربت عليهما الشمس افترقا ولكن إلى حيث تؤذن بالطوع ، فيتجدد اللقاء . وفي خلال ذلك كله — والعربى قوى الشاعرية ، والعربية قوية الحساسية — يكون الحديث الحلو ، ويكون الفرز القيقى .

فهذا مجمنون^(١) بنى عاص أحب ليل ، وهو صغيران يرعيان الغنم ، وفي ذلك يقول :

تعلقتُ لَيْلَى وَهِيَ دَاتُ دُوَابَةٍ^(٢) ولم يبدُ للأتراب من ثديها حجم
صَغِيرَيْنِ نَرَعِ الْبَهْمَ يَا لِيَتَ أَنَا^(٣) إلى اليوم لم تكبر ولم تَكْبِرِ الْبَهْمُ
وَابْنِ مَيَادَةَ^(٤) خرج يبغى إبل الله حتى ورد جبارا^(٥) ، فاتى بيتنا ، فوجد
فيه عجوزا ، قد أنسنت ، وأدخلته بيتها لتقريره ، وإذا بنت لها قد هتكست الستر ،
واستقبلته ، فراعه جهالها ، وأخذ يشتبب بها ، فيقول :

أَنْظَرْنَا فَهَا جَمِنَّا عَلَى الشَّوْقِ وَالْمَوْىِ^(٦) لِزَيْنَبَ نَارٌ أَوْقَدَتْ يَمْبَكَارِ
كَانَ سَنَاهَا لَاحٌ لِي مِنْ خَاصَّةٍ^(٧) على غير قصدٍ وَالْمَطْهُ سَوَارِي
وجميل بن معمر العذري^(٨) كان يرعى إبله بواحد يقال له — بغيسن — فاضطجع
وارسل إبله تذهب حيث شاء ، ومررت بثينة وجارة لها تردان الماء ، وشاء لها العبث
أن تنفرّ فصالا من إبل جميل ، فسبها جميل فأفترت عليه فملح إليه سبابها فقال :
وَأَوْلُ ما قاد المسودة يبنينا بواحد بغيسن يا ثينين سباب
وقلنا لها قولًا بفuate بمشله لكل كلام يا ثينين جواب
وكان^(٩) قد أصاب قبيلة جرم جدب فاتسجع جماعة منهم بلاد بني قشير وقد
أصابها الريبع فأرعنهم طرفا من بلادها . وكان أن رأى يزيد بن الطثري القشيري

(١) الأغانى ج ٢ ص ١١ (٣) شاعر غطافان

في الجاهلية والإسلام من شعراء الفزل (٤) الأغانى ج ٢ ص ٣١٥ (٥) موضع ماء

قرب المدينة (٦) الأغانى ج ٨ ص ٩٦ (٧) الأغانى ج ٨ ص ١٦٠

جارية من جرم يقال لها وحشية فهام بها ، واشتد وجده بها ، وإليها كتب يزيد :
 أحِبَّكِ أطْرَافُ النَّهَارِ بِشَاشَةَ
 وَبِاللَّيلِ يَدْعُونِي الْمُوْيِ فَأُجَيِّبُ
 لَئِنْ أَصْبَحْتُ رِيحَ الْمَوْدَةِ بَيْنَ
 شَمَالًا لِقَدْ مَا كَنْتُ وَهِيَ جَنَوبُ
 فَأُجَابَتِهِ بِقَوْلِهَا :

أَحِبَّكِ حَبَّ الْيَاءِ إِنْ نَفْعَ الْحَيَا
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ هُوَكَ طَبِيبُ
 وَجَدْنَا ذُو الرُّؤْمَةَ أَنْ أَوْلَ ما قَادَ الْمَوْدَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَيْةَ أَنَّهُ وَأَخَاهُ خَرْجَا يَغْيِيَانِ
 إِبْلَانِهِمَا وَبَيْنَهُمَا فِي الطَّرِيقِ إِذَا وَرَدَا مَاءً وَكَانَتْ بِالْقَرْبِ مِنْهُ مَيْةً . رَآهَا ذُو الرُّؤْمَةَ ،
 فَهَامَ بَهَا فِي دِيَارِهَا عَشْرِينَ سَنَةً . وَفِيهَا يَقُولُ :

وَقَفَتْ عَلَى رِبْعِ لَمِيَّةَ نَاقِتِي فَازَلتُ أَبْكِي عَنْهُ وَأَخْاطِبُهُ
 وَأَسْقِيَهُ حَتَّى كَادَ مَا أَبْشُهُ تَكَلَّمَنِي أَحْبَارَهُ وَمَلَاعِبُهُ
 وَكَثِيرٌ^(١) كَانَ يَرْعِي الْغَنْمَ ، وَسَرَّ بَنْسُوَةٍ مِنْ بَنِي ضَمْرَةٍ فَسَأَلَهُنَّ عَنِ الْمَاءِ ، وَكَانَتْ
 هَادِيَتِهِ إِلَى الْمَاءِ عَزْنَةً ، وَقَدْ كَعَبَ ثَدِيَاهَا ، فَأَعْجَبَ بَهَا كَثِيرٌ وَشَغَفَ حَبَّاً . وَبَيْنَا هُوَ
 يَسْقِي غَنْمَهُ إِذَا جَاءَتْهُ عَزْنَةُ بَدْرَاهُ ، وَقَالَتْ :

يَقْلَنَ لَكَ النَّسُوَةُ . بَعْنَا بِهَذِهِ الدِّرَاهِمِ كَبْشًا مِنْ ضَانِكَ . فَبَاعُهَا كَبْشًا ، وَلَمْ يَأْخُذْ
 مِنْهَا ثُمَّنًا . وَأَمْهَلَهَا حَتَّى يَرْوِحَ بَهْنَ ، فَلَمَّا رَاحَ سَرَّهُنَّ ، فَقَلَنَ لَهُ : هَذَا حَقُّكَ فَخَذْهُ ،
 فَقَالَ : عَزْنَةُ غَرَبِيَ . وَلَسْتُ اقْتَضَى حَقُّ إِلَامِهِنَّ ، وَكَانَهُ أَرَادَ بِاقْتِضَاءِ حَقِّهِ مِنْهَا أَنْ يَبَادِلَهَا
 الْحَبُّ ، وَأَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَيْهَا بِخَوَالِجِ نَفْسِهِ ، وَأَنْ تَتَحَرَّكَ شَاعِرِيَّتَهُ بَادِيَهُ ذَنْبِهِ بِهَذِهِ
 الأَبِيَّاتِ :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظَرَةً وَهِيَ عَاتِقٌ^(٢)
 عَلَى حِينَ أَنْ شَبَّتْ وَبَانَ نَهْرُهَا
 مَجْوَبٌ^(٤) وَلَمَّا لَبَسَ الدَّرْعَ رَيْدُهَا^(٥)
 وَقَدْ دَرَّ عَوْهَا وَهِيَ ذَاتٌ مَوْصَدٌ^(٣)

(١) الأغانى ج ٩ ص ٢٥ (٢) العاتق : الشابة . (٣) المؤصد صدار تلبسه الفتاة الصغيرة ، فإذا أدركت درعته (٤) المحبوب : الذي جعل له حبيب (٥) ريدتها : أصله ريدتها : تربها وندتها .

من الخفَّرات البيض وَ جليسها
إذا ما انقضت أحدوثة لو تميدها

(ب) التزاور والاستسقاء :

كان من عادة العرب أن يزور بعضهم بعضاً ، كما نفعل نحن الآن ، وفي هذه الزيارة يلقى الفتاة وقد يقول عن هذا اللقاء حب ، ويقول عن هذا الحب ، غزل رقيق .

والعرب كما نعرف أهل مروءة وجود . وكثيراً ما تضطرهم تكاليف العيش إلى التنقل والارتحال وكثيراً ما يلقون في هذا الرحيل من عناء ونصب فيضطرهم هذا إلى الراحة وقد يضطرهم إلى طلب الماء يطهرون به لوعة الظماء ، وفتحة الماجرة ، أو إلى قرى يكتفون ببعض الزاد .

هذا التزاور وذاك الرحيل وما يتربّ عليه من قرى ومن سقاية الماء يساعدان على لقاء الرجل المرأة ، وبالنالى على ما يقع بينهم من أوامر الحب ، وبالتالي على ما يوحيه الحب من شعر الغزل .

خرج عبد الله بن علقة^(١) أحد بنى عامر وهو شاب مع أمه لتزور جارة لها ، وكان لها بنت يقال لها حبيشة . فاما رأها عبد الله أحببته ، ووافت في نفسه . وفي ذلك

يقول عبد الله في أثناء اصرافه بأمه من هذه الزيارة وكانت السفاء تطر :

وما أدرى بـلي إـلى لـادرى أصـوابُ القـسـلـ أـحـسـنـ أـمـ حـبـيـشـ

حـبـيـشـةـ وـالـذـى خـلـقـ الـهـدـاـيـاـ وـماـعـنـ بـعـدـهـا لـاعـبـ عـيـشـ

وقد شاء العاذلون أن يفرقوا بينهما وأن تنتقصبه ولتكن عبد الله قرأ المكيدة

في دمع عيونها . فقال :

لو قـلتـ ما قـالـوا لـزـدـتـ جـوـيـ بـكـ علىـ أـنـهـ لـمـ يـقـ سـتـرـ ولاـ صـبـرـ

وـلـمـ يـكـ حـبـيـشـ عنـ نـوـالـ بـذـلـتـهـ فـيـسـلـيـيـ عنـهـ التـجـهـيـمـ وـالمـعـجـرـ

وَمَا أَنْسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ دَمَعَهَا وَنَظَرَتْهَا حَتَّى يُغَيِّبَنِي الْقَبِيرُ
وَكَيْفَ التَّقِيُّ قَيْسَ وَلَبْنَى ، حَتَّى خَلَفَا لَنَا هَذَا التَّرَاثُ الْخَالدُ ؟

مر^(١) قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعة ، فوقف على خيمة منها
والخي خلوف^(٢) ، وانحيم خيمة — لبنى — بنت الحباب الكعبية ، فاستيقى ماء
فسقته ، وخرجت إليه به ، فلما رأها وقعت من نفسه ، وشرب الماء ، فقالت له : أتنزل
فتبتعد عنـدنا ؟ . قال : نعم . فنزل بهم . وجاء أبوها فنحر له وأكرمه . وانصرف
قيس وفي قلبه من لبنى حد لا يطأ ، وفاض قلبه بحبه لها ، وكان ترجمانه في ذلك
شعره ، الذي نسمعه وتقرؤه ، فتعجب به أيما إعجاب .

ووقف نصيب^(٣) على أبيات فاستسوق ماء ، فخرجت إليه جارية بين أو ماء فسقته
وشيب بها ، وقد عرف اسمها واسم الجبل القريب من بيتها وقال :
أَحِبُّ قَنَا^(٤) مِنْ حُبٍّ هَنْدٍ وَلَمْ أَكُنْ أَبَلَى أَقْرَبًا زَادَهُ اللَّهُ أَمْ بُعْدًا
(ح) مواسم العرب :

لا شك أن هذه المواسم كانت مثابة لاختلاط الرجل بالمرأة ، أو بعبارة أدق
كانت مثيراً لشعور الرجل والمرأة ، هذه الإثارة التي توجج بين قلبيهما عاطفة الإعجاب ،
أو عاطفة أخرى تتجاوز الإعجاب إلى الحب والغرام . ولا يخفى أن هذه الإثارة تولد
شعرًا جديداً ، هو الغزل .

وطبعى أن يكون لهذه المواسم ذلك الأثر فيه معرض عام ، يرى فيه الرجل
المرأة ، وترى المرأة الرجل . فإذا وقع نظر العربي وهو دقيق صرف على جمال وصفه ،
وعلى عاطفة تحدث عنها ، وعلى دلال ترجم عنه .

وطبعى أيضًا أن تلح المرأة هذه المواسم ، وهى أدبية شاعرة ، تقرأ ما فى الشعر

(٢) غائبون

(١) المقد الفريد ج ٦ ص ٢٢٧

(٤) جبل لبنى فزارة

(٣) الأغانى ج ١ ص ٣٥٣

من غزل رقيق ، ومن إعجاب بالحسن والجمال . فلم لا تكون هي القيثارة التي يغنى
عليها الشاعر آية الحب ، آية الفتنة ، آية الروعة والخلال ؟ لم لا تكون ؟ حتى
يتحدث الشعر عنها ، فيتناوله العرب ، بل يتناوله التاريخ جيلاً بعد جيل ، وخاصة أنه
لا حرج في ذلك ولا نكران .

وقد مرت بك بعض الأمثلة ، تظهر لك بوضوح وجلاء ، أن المرأة كانت
مشغوفة بالغزل ، وكانت تتوق أن تكون أداة لهذا الغزل ، بل كانت تفري الشاعر
بوسائل شتى ، حتى يتغزل فيها ، وحتى يكون شعره الغزلي مقولاً فيها وخدعاً ، دون
غيرها من نساء العرب .

وما هي مواسم العرب ؟

المؤس الأكابر هو الحج . وهو وإن كان مثابة للناس وأمنا ، وهو وإن كان ملتقى
القلوب حيث تصفو من أدران الحياة ، ومن أرجاس الفساد ، وحيث تتجه إلى الله
وحده فتحتشع له وتخضع ، وتتوب وتندوب . تلك سنة العرب منذ الجاهلية حتى جاء
الإسلام ، وطال به الأجل . على أن العربي — وذلك روحه الصافى ، وهذا قلبه النقي
وذلك اتجاهاته إلى الخالق الأعلى — إذا رأى المرأة ، وراقه جمالها وحسنها شغف بها ،
وتودد إليها ، وتحدث عنها كأثر من آثار الله الذى صور فأحسن الصورة ، والذى
زين فأحسن الزينة ، أو كأثر من آثار روحه ، وهو أصفى ما يكون في هذه الساحة
الكريمة . ول يكن مظهراً في هذا الصفاء أن يذكر جلال الله ، وأن يذكر جمال المرأة ،
ولا شك أنه أثر من آثار جلال الله .

هذا عمر بن أبي ربيعة يرتب موسم الحج ، فإذا جاء ارتاحل عمر إلى مثابته
وأطلق طرفه ، يتأمل ، وإذا به يكشف في المرأة مواضع حسنها وجمالها . وإذا شعره
يفيض بالحديث عن هذا الحسن ، وذلك الجمال .

ومن غزل عمر في الحج قوله :

أبصرتُها^(١) ليلةً ونسوتها
 يمشين بين المقام والحجر
 يمشين هونا كمشية البقر
 قالت لتربي لها تلطفها
 قومي تصدقى له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر
 هو في هذه الأبيات يصف امرأة أبصرها ونسوتها يمشين بين المقام والحجر.
 وكيف وصف هذه المرأة؟

ذكر حسنها ، وما يتبع هذا الحسن من البياض والنعومة ، وذكر مشيتها ،
 وما يتبع هذه المشية من تشن وخيلاه . ثم ذكر نوعا من طرق الغزل ، بين امرأة
 ماكرة ماهرة . وبين رجل ليس بأقل منها حبًّا للفوز ، وقبولا له ، ورغبة فيه . نوع
 من العبث والالهو ، تكون فيه المرأة متجمبة مدللة . تعقد العزم هي وترب لها ،
 على أن تقصد طواف عمر . وكيف ذلك؟ تصدقى له ، فيتجه إليها بصره ، وهو حساس
 صرحف ، فيعرف حسنها ، ويعرف جمالها ، ويعرف في هذا الحسن مظهراً من مظاهر
 الغمز اللطيف المحبوب ، ويعرف في جمالها مظهراً من مظاهر الحياة الجميل .

وحدث قدامة بن موسى أنه خرج بأخته زينب بنت موسى إلى العمرة ، فلما
 كان بسرف لقيه عمر بن أبي ربيعة على فرس ، فسلم عليه . قال قدامة « إلى أين أراك
 متوجهاً يا أمبا الخطاب؟ قال ذكرت لي امرأة من قومي بزنة الجمال فأردت الحديث معها .
 قال قدامة : أما عامت أنها أختي . قال : لا والله ، واستحيانا ، وثني عنق فرسه ،
 راجعاً إلى مكة .

وزينب هذه يقول فيها عمر :

يا خليلي من ملام دعاني وألمَّ القَدَّاء بالأطعاف
 لا تلوما في آل زينب إنَّ الْقَلْب رهنٌ بآلِ زينبٍ عانى

هذا عمر في الحج^(١) يرى امرأة من أهل العراق ، يروقه جمالها . وكان من أمره أن مشى معها ، وسار حيث سارت ، حتى تحدث معها ، وتحدثت معه ، وحتى توثق بينهما آصرة الحديث ، إلى أن خطبها ، وإلى أن قبلت هذه الخطبة ، ولكن على شرط أن يرتحل معها إلى بلدها ، وأن يطلبها من أهلهما . وكان أن تزود لهذا السفر الشاق ، واستعان بصديق له في الراحلة والزاد ، وسارا معاً ، ولا يدرى الصديق ما يريد عمر . ولا يدرى لم كان عمر يتبعجل السير ، ويستعثث الخطأ ، حتى لحق ركب العراقية ، وحتى أخذ يجادلها طول الطريق ، وأخذت تجادله ، وكان بينهما غزل رقيق ، وود جميل ، وأقام عمر بالعراق أيامًا ، ثم راسل العراقية ، يتنجز وعدها . ويفتهر أن العراقية لم تكن تزيد زواج عمر ، بل أرادت أن تأنس إليه ، وتستمع إلى غزله ، وتصفعى إلى دقات قلبه ، وأرادت أن ينقلها شعره إلى أسماع الناس ، وأن يتحدث التاريخ عن حسنها وجمالها ، ويتحدث فوق ذلك أنها أثارت في الشاعر العربي عاطفته حتى اهتزت بهذا الغزل العذب الرقيق . لم تلب العراقية رغبة عمر ، واعتذر لها اعتذاراً هيئتاً جميلاً ، وبعثت إليه بخمسة آلاف درهم . أما عمر فقد رد خمسة الآلاف ، وعاد إلى مكة ، وفي نفسه حسرة على فراقها ، وألم على أن زواجه لم يتم بها . وقال في ذلك قصيده التي أو لها :

نام صحى ولم أنم من خيال بنا ألم

و فيها يقول :

قلت يا عمر و شفني لاجح الحب والألم

ايت هندا فقل لها ليلة الخيف ذى السلم

وكانت خرقاء العاصمية في طريق الحاج وكان جمهورة من الشعراء يرون بها ،
ويجدون من حسن وفادةها ، ما تجدون من غزلهم ، ورقة أشعارهم .

(١) الأغانى ج ١ ص ١٧٢

ومن هؤلاء ذو الرمة وفيها يقول :

تمامُ الحجُّ أَنْ تَقْفِي المطايَا عَلَى خَرْقَاءٍ وَاضْعَةً اللَّثَامِ

وحدثنا عبد الله بن عمر العمري ، قال :

خرجت حاجا ، فرأيت امرأة جميلة ، تتكلّم بكلام رفشت فيه ، فأدنت ناقتي منها . ثم قلت لها يا أمّة الله : ألسْت حاجة ؟ أما تخافين الله ؟ فسفرت عن وجه يهرب الشمس حسناً ، ثم قالت تأمل يا عمي ! فإني من عنى العرجى بقوله :

مِنَ الْلَّاءِ لَمْ يَحْجِجْنَ يَبْغِينَ حَسْبَةً وَلِكَنْ لِيَقْتَلَنَ الْبَرَىءُ الْمُغَفَّلَا

وكان عبد الملك بن عبد العزيز السلوى من شعراء الميامة يهوى امرأة يقال

هذا سعدى ، وذات مرة لقيها راحلة نحو مكة حاجة ، فأخذ بخطام بغيرها ، وقال :

قُلْ لَتَّى بَكْرَتْ تَرِيدُ رَحِيلًا لِلْحَجَّ إِذْ وَجَدْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

مَا تَصْنَعِينَ بِحِجْجَةِ أَوْ عُمْرَةِ لَا تَقْبَلَنَ وَقَدْ قُتِلَتْ قَتِيلًا

أَحْيَى قَتِيلَكَ ثُمَّ حُبِّيَ وَانْسُكَ فَيَكُونُ حِبْكَ طَاهِرًا مَقْبُولاً

وكان أبو نواس يحب « جنان » جارية آل عبد الوهاب بن عبد الجيد الثقفي

وقيل له يوما إن جنان قد عزمت على الحج ، فكان هذا سبب حجه ، وقال :

أَمَا وَاللَّهِ لَا يَفُوتُنِي المسير معها والحج عامي هذا إن أقمت على عزيمتها ، وقد أقامت

« جنان » على عزيمتها ولم يفت أبو نواس المسير معها . وفي ذلك يقول :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَفْنَيْتُ عَمَّارِي بِعَطْلَبِهَا وَمَطْلَبِهَا عَسِيرٌ

فَلَمَا لَمْ أَجِدْ سَبِيلًا إِلَيْهَا يُقْرَبُنِي وَأَعْيَتُنِي الْأُمُورُ

حِجَّاجَتْ وَقَلْتْ قَدْ حِجَّاجَتْ جَنَانَ فِي جَمِيعِنِي وَإِلَيْهَا الْمَسِيرُ

وجلس نسوة قريبا من المسجد الحرام ، وأخذن يتذاكرن الشعر والشعراء .

فقالت أحداهن قاتل الله جهلا حيث يقول :

وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ذَكْرُكُمْ بِمُخْتَلِفِ مَا بَيْنَ سَاعَ وَمُوجَفَ

وعند طوافي قد ذكرت ذُكْرَةٌ هي الموتُ بل كادت على الموت تضعف^(١)

فقالت الأخرى :

بل قاتل الله كثيّر عزة حيث يقول :

يُرْنٌ^(٢) على البطحاء مور السحائب
طلعنا علينا بين سروة والصفا

فَكَدِن لَهَمَرُ اللَّهُ يُحْدِنَ فَتْنَةً لختشع من خشية الله تائب

وقالت الأخرى : قاتل الله نصيبا حيث يقول :

أَلَامُ على ليلى ولو أستطيعها وحرمة ما بين البنية والستار

لملت على ليلى بنفسى ميالة ولو كان في يوم التحالف والتحرر

فهذه أقوال ثلاثة ، لشعراء ثلاثة .

أما جميل وكثير عزة فإنهم يتغزلان في الحج ، ويذكرون الصفا والمروءة ، حيث يذكرون ذكر الحبيبة ، وزينة الحبيبة ، وما بهذه الزينة من بدع وفتنة ، أما نصيب فإنه لا يبالي بلوم الناس ، على ما كان بينه وبين ليلى ، وهو لا يبالي أيضاً أن يقول .
لورآها في معلم الحج لشغل بها ، وتحدى إليها ، ورغب بهذا الحديث مما تتطلبه هذه العالم من نسك وعبادة .

٣ — أسواء الأدب :

وللأدب عند العرب سوق رائحة رابحة . فهم قوم جبوا منذ القدم على حب الشعر ، نظموه وتفنوا به ، وكان سجل علومهم ومعارفهم ، ووحى آثارهم ومناخيرهم . وأنت تعرف أن العرب كانت في الجاهلية تقيم في أنحاء البلاد أسواء للأدب منها : عكاظ^(٣) ، وبجنة^(٤) ، وذو الحجاز^(٥) ، وتعرف أيضاً أن سوق عكاظ امتدت

(١) تضعف : تزيد

(٢) يقابلن جائيات ذاهبات

(٣) موضع قرب الطائف

(٤) موضع قرب مكة

(٥) موضع قرب عرفات

إلى ما بعد الإسلام حتى سنة تسع وعشرين ومائة . وكانت هذه الأسواق مبادأة للعرب جمِيعاً ، يقدون إليها من كل مكان ، وهناك ينشد الشعراء ، ويتحدث الخطباء ، وهناك يجودون الكلام نظمه ونثره ، وكل يسعى إلى أن يكون صاحب الغلبة ، والسبق ، بل هناك يلتقي الرجل والمرأة لا حرج في ذلك ولا بأس وكانت تستمع إلى شعر المرأة كما تستمع إلى شعر الرجل ، وكانت المرأة تسمع الشعر كما يسمعه الرجل لأن المرأة العربية ذوقاً في الأدب ، ولأن المرأة العربية حظاً من الأدب ، يداني حظ الرجل .

وإذا كانت هذه الأسواق ملتقى العرب من رجال ونساء فهى إذن من دواعي الغزل . وكما قلنا أن لقاء الرجل المرأة ، يشير في نفسهما عاطفة ثانية حرارة . والرجل حساس مرهف ، خصب الخيال ، قوى الشاعرية والمرأة جميلة فاتنة ، تعرف في الرجل حساسيته وعاطفته ، وشاعريته ، فتغير فيه بمحامها ودللامها ، وتذكى فيه الصيابة والهوى ، فيترجم الرجل عن قلبه ، ويكون الشعر ترجمانه ، ويكون الغزل دليلاً وبيانه .

هذه الأسواق داعية من دواعي الغزل ، لأنها تجمع بين الرجل والمرأة خسب ، بل لأنها أيضاً مبادأة للشعر العربي ، والغزل ناحية من نواحي الشعر العربي ، يسمعها الرجل ، فيعجب بها ويطرُب ، ويدفعه هذا إلى أن يكون له مثل هذا الشعر ، يعجب به الناس ، ويطرُب به القلوب ، وتسمعه المرأة فتزهو بما حبها الله ، كيف لا . وهذا الشعر تكريماً لها أو لأتراك لها ، لا يسبقها في الحسن والجمال . وكأنها بها وقد عادت في العام التالي ترجو أن يكون لها من الشعر ، ومن تسابق الشعراء في وصفها ، والتغنى باسمها ما يجعلها رفيعة الشأن . ذاتية الصيت . وكأنها بالشاعر أيضاً وقد عاد في العام التالي يرجو أن يكون له من نساء كثيرات مادة لخياله الشعري ، ومادة لعاطفته الحساسة يصفهن ، ويتحدثن إليهن ، ويحمل شعره كثيراً من مظاهر الوصف وال الحديث ، خاصة

وقد سار شعره المقول من قبل ، وانتقل في كل واد ، وتدوقة الأفادة ، ودارسته العقول ، فأعجبت بمعانيه ، وما يوحى من فن وروعة .

على أن للعرب مواسم وأسواقاً أخرى للأدب ، فهناك مجالس الملوك ، مجالس الأمراء ، مجالس الحكام ، يرتادها الشعراء ، ويؤمنونها من كل حدب ، يقصدون القربى إلى ذوى الجاه والسلطان ، ويقصدون العطاء الجم ، والنعم الجزيلة ، وتجدد مظهر ذلك في كل العصور حيث تكون القوة ، وحيث يكون الحول .

في هذه المنتديات تسمع من الشعراء ألسنة قوله ، وقراائح متقدة ، وتسمع كثيرة لهذه الألسنة ، وتلك القرائح شرعاً رائعاً مجيداً ، فيه غزل رقيق لأنّه هو الفن الذي يصح أن يجمع بين هذه القلوب ، في وقت دعّة ، ورخاء وسلام .

يقول الدكتور طه حسين بك :

لم تكن ^(١) اجتماعاتهم تخلو دائماً من النساء ، فقد كان الإمام الظريفات يأخذن منها بنصيب عظيم ، وكانوا يجتمعون في الحانات والأديره ، في بيوت الأمراء والوزراء وفي بيوتهم الخاصة ، فيلدون ويتحدلون . و تستطيع أن تتمنيا بمقدار ما كان لأحاديثهم هذه من أثر عظيم في الأدب العربي ، والعقل العربي . كانت هذه الأحاديث عذبة غير متكلفة ، ولا ثقيلة الروح ، كانت تصدر عنهم عفوأً فتمثل عقولهم وشعورهم .

وللنساء أسواق أدب لا تقل عن أسواق الرجال ، من حيث الرغبة فيها ، والإقبال عليها ، ومن حيث مدارسة ما ينشدونه فيها من أشعار ، ومن حيث تذوق الجمال الفنى من هذه الدراسة الشعرية والجرى وراء معانىها الحية الحساسة ، ومن حيث أن هذا الشعر نفسه يشير في نفوسهن ألواناً من العاطفة وألواناً من الحياة ، محببة إليهن ، قريبة إلى هواهن .

وكأنى بهؤلاء النسوة يجتمعن ، وفيهن المفرمات المتيهات ، وهن أدبيات يفهمن

(١) حديث الأربعاء ج ٢ ص ٤٠

الشعر و يتذوقنه عن معرفة وخبرة . كأنى بهن يلتقين ، ويتبارين في أن يتناشدن أشعار الغزل ، وأخبار الغزل ، وأى معانيه أكثر روعة ، وأى أخباره أقوى دلالة على الحب الصافي ، والعشق الرقيق . كأنى بهن في مجالسهن هذه يتذاكرن أحوالهن مع أحبابهن ، من متعة حديث ، ومن لوعة فراق ، ومن رقبة العواذل ، ومن نجوى الطيف ، ومن صد ووصل . ثم يتذاكرن رجال الغزل من الشعراء ، وماذا قالوا في هذه المعانى وأيهم كان أكثر إجاده ، وأكثر روعة ، وأكثر نفاذًا إلى القلوب .

ومثل هذا يحدث إذا اجتمعت فتاتان ، وكان الموى قد وصل إلى قلبيهما ، فإنهما يتحدثان وإنهما يتناجيان ، وعلى قدر ما يكون لها من علم وأدب ، وما يكون لها من خبرة و دراية ، بهذه الفن الجميل من الغزل يكون الحديث شائقاً ويكون الاجتماع ظريفاً لطيفاً .

و كثير من مجالس النساء هذه كان لا يخلو من الرجال . و يظهر لي أنهن كن يجدن في وجود الرجل نوعاً من المتعة ، و نوعاً من اللذة ، وخاصة إذا كان شاعراً ، وإذا كان شاعر غزل ، يحدثنـهـنـ كـيـفـهـاـ شـئـنـ ، أحـادـيـثـ الحـبـ وـالـمـوىـ . وـماـ أـحـلـ هـذـهـ الأـحـادـيـثـ ! .

هذا^(١) مجلس امرأة من بني أمية يحضره شعراء ثلاثة : نصيّب - أبو محبجن - كثير ، الأحوص ، و يحضره وصائف ، و رجال من المولى ، و نساء بارزات . وكان أن تذاكر الرجال والنساء ألواناً من شعر الغزل ، وكان أن قالت المرأة بخارية لهؤلاء جمال خدي و يحك ! من قول النصيّب عاف الله أبا محبجن :

الأهل من بين المفرق من بدّ وهل مثل أيام بمنقطع^(٢) السعد

تمنيت أيام أولئك والمنى على عهدِ عادِ ماتعید^(٤) ولا تبدى

(١) الأغاني ج ١ س ٣٥٦

(٤) أي لآفاق بعائدة ولا بادئة أي لآفاق فيها .

(٢) منقطع المكان : حيث ينقطع وينتهي

(٣) مكان قريب من المدينة

فُعْنَتِه بِأَحْلِي لَفْظٍ ، وَأَشْجَى صَوْتٍ .

وَقَالَتْ لَهَا : خَذِي أَيْضًا مِنْ قَوْلِ أَبِي مُحْجِنٍ — عَافِ اللَّهُ أَبَا مُحْجِنٍ :

أَرِقَ الْحَبْ وَعَادَهُ سَهْدَهُ
لِطَوَارِقِ الْهَمِّ الَّتِي تَرَدَّهُ

وَذَكَرْتُ مِنْ رَقْتِهِ كَبَدِي
وَأَبَنِي فَلَيْسَ تَرَقْتُ لِي كَبَدِي

فَنَكُونَ حِينَأَجِيرَةً — بَلْدِي
لَا قَوْمَهُ قَوْمِي وَلَا بَلْدَهُ

وَوَجَدْتُ وَجْدًا لِمَ يَكُنْ أَحَدُ
قَبْلِي مِنْ أَجْبَلِ صِبَابَةِ يَجِدُهُ

فُعْنَتِه ، وَجَاءَتْ بِهِ أَحْسَنَ مِنَ الْأُولَى .

وَقَالَتْ لَهَا : وَيَحْكَ ! خَذِي مِنْ قَوْلِ أَبِي مُحْجِنٍ — عَافِ اللَّهُ أَبَا مُحْجِنٍ :

فِيَالَّكَ مَنْ لَيْلَ تَمَقَّتُ طَوَّلَهُ
وَهَلْ طَائِفٌ مِنْ نَائِمٍ مَمْتَمَّعُ

نَعَمْ إِنْ ذَا شَبَجُونِي مَتِيلْ شَبَجُونِ
وَلَوْنَاعِمًا مُسْتَعِثِبَ^(١) أَوْ مُودَعَ

لَهْ حَاجَةٌ قَدْ طَالَمَا قَدْ أَسْرَهَا
مِنَ النَّاسِ فِي صَدْرِهِ يَتَصَدَّعُ

يَكُونُ لَهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مَنْزَعَ
تَحْمِلُهَا طَوْلَ الزَّمَانِ لَعَلَّهَا

فُعْنَتِه ، وَجَاءَتْ بِشَيْءٍ حَيْرَ الْأَذْهَانِ وَالْأَلْبَابِ .

ثُمَّ قَالَتْ لَهَا : خَذِي أَيْضًا مِنْ قَوْلِ أَبِي مُحْجِنٍ — عَافِ اللَّهُ أَبَا مُحْجِنٍ :

يَا إِيَاهَا الرَّكِبِ إِنِي غَيْرُ تَابِعِكُمْ
حَتَّى تَلْمُوا وَأَنْتُمْ بِي مُلَامِونَا

هَأْرِي مُشْلَكُمْ رَكِبًا كَشْكَلَكُمْ
يَدْعُونَهُمْ ذُو هُوَيْ الْأَيَّعُوجُونَا

أَمْ خَبَّرُونِي عَنْ دَائِي بِعَلَمِكُمْ
وَأَغْنَمُ النَّاسَ بِالدَّاءِ الْأَطْبُونَا^(٢)

قَالَ نَصِيبٌ : فَوَاللهِ لَقْدْ زُهِيتْ بِمَا سَمِعْتُ زُهُوا خَيْلَ إِلَيْيَ أَنِي مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَنِ
الخِلَافَةَ لِي ! .

ثُمَّ قَالَتْ : حَسَبَكَ يَابْنِي : هَاتِ الطَّعَامَ يَا غَلَامُ ، فَوَثِبِ الْأَحْوَصَ وَكَثِيرٌ وَقَالَ :

(١) يقال استمعتيه فأعثبني : استرضيته فأرضاني

(٢) البارعون في الطلب

وَاللَّهُ لَا نَطْعَمُ لَكَ طَعَامًا وَلَا نُجْلِسُ لَكَ فِي مَجَالِسِنَا . فَقَدْ أَسَأْتَ عِشْرَتَنَا وَاسْتَخْفَفْتَ بَنَا ،
وَقَدْمَتْ شِعْرَهُذَا عَلَى أَشْعَارِنَا ، وَاسْتَمْعَتْ الْفَنَاءِ فِيهِ ، وَإِنْ فِي أَشْعَارِنَا لَمَا يُفَضِّل
شِعْرَهُ ، وَفِيهَا مِنَ الْفَنَاءِ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا . فَقَالَتْ : عَلَى مَعْرِفَةٍ كُلُّ مَا كَانَ مِنِّي ،
فَأَيْ شِعْرٍ كَأَفْضَلُ مِنْ شِعْرِهِ ؟ أَقُولُكَ يَا أَحْوَصُ ؟ :

يَقُولُ بَعِينِي مَا يَقْرَرُ بَعِينِهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِالْعَيْنِ قَرَرَ
أَمْ قَوْلُكَ يَا كَثِيرُ فِي عَزَّةٍ :

وَمَا حَسِبَتْ كَنْمَرَيَّةً^(١) جُدُودِيَّةً سُوَى التَّيْسِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّهَا بَغَلَادَ
فَخَرَجَ كَثِيرٌ وَالْأَحْوَصُ مَغْضُوبِينَ . أَمَا نَصِيبُ فَتَقْدِي عَنْهَا ، وَأَمْرَتْ لَهُ بِثَلَاثَةِ
دِينَارٍ وَحَلْتَيْنِ وَطَيْبٍ .

وَهُؤُلَاءِ فَتَيَّاتٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَجْتَمِعُنَّ فِي مَقْنَزِهِ لَهُنَّ ، وَلَا يَطِيبُ لَهُنْ مَقْامٌ إِلَّا إِذَا
كَانَ الدَّارِمِيُّ يَدِينُهُنَّ ، يَلْدُشُهُنَّ مِنْ شِعْرِهِ ، وَيَمْتَعُهُنَّ بِنَوَادِرِهِ . اجْتَمَعُنَّ ذَاتَ يَوْمٍ ،
وَفِيهِنَّ صَدِيقَةٌ لَهُ ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ قَدْ وَاعْدَتْ هُوَاهَا^(٢) فَرْجَنَ حَتَّى أَتَيْنَ الْجَحَّفَةَ^(٣)
وَهُوَ مَعْهُنَّ . فَقَالَ بَعْضُهُنَّ لِبَعْضٍ : كَيْفَ لَنَا أَنْ نَخَلُو مَعَ هُؤُلَاءِ الرِّجَالِ مِنَ الدَّارِمِيِّ ؟ .
إِنَّا إِنْ فَعَلْنَا قَطْعَنَا فِي الْأَرْضِ ! قَالَتْ لَهُنَّ صَاحِبَتِهِ أَنَا أَكْفِيْهُ . قَلَنْ : إِنَّا نَرِيدُ
أَلَا يَلْوِمَنَا . قَالَتْ : عَلَى أَنْ يَنْصُرَفَ حَامِدًا . وَكَانَ أَبْخَلَ النَّاسَ ، فَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَذْهَبَ
إِلَى مَكَّةَ لِيَشْتَرِي لَهُنَّ طَيْبًا ، فَأَكْتَرَى حَمَارًا ، وَصَارَ إِلَى مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ :

إِنَّا بِاللَّهِ ذِي الْعَزَّةِ وَبِاللَّهِ كُنْ وَبِالصَّخْرَةِ
مِنَ الْلَّائِي يُرْدَنُ الطَّيْبَ فِي الْيَسِيرِ وَفِي الْعُسْرَهِ
وَمَا أَفْوَى عَلَى هَذَا وَلَوْ كَفْتُ عَلَى الْبَصَرِهِ

وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ النِّسَاءِ الْمُتَظَرِّفَاتِ يَدْخُلُنَّ إِلَى بَشَارَفِ كُلِّ جَمِيعِ يَوْمَيْنِ . يَجْتَمِعُنَّ

(١) نَسْبَةٌ إِلَى جَدِيِّ بْنِ ضَمْرَةِ بْنِ بَكْرٍ بْنِ كَنْتَانَةَ

(٢) مِنْ تَحْبَهُ وَتَهْوَاهُ

(٣) قَرْيَةٌ قَرْبُ مَكَّةَ

عندہ ویستمعن من شعره . وذات یوم سمع کلام امرأة مهن ، فعلقها قلبہ وراسلہا
یسألهما أَنْ تواصِلُهُ . فقالت لرسوله : وأَى مَعْنَى فِيكَ لَى أَوْ لَكَ فِي ؟ وأَنْتَ أَعْمَى
لَا زَانِي فَتَعْرُفُ حَسْنِي وَمَقْدَارِهِ ، وَأَنْتَ قَبِحُ الْوِجْهِ فَلَا حَظٌ لَّيْ فِيكَ . فَلَيْتَ شِعْرِي
لَأَى شَيْءٍ تَطْلُبُ وَصَالَ مُثْلِي ؟ !

وهذه ^(١) هند بنت الحارث المريية مع نسوة لها ، تختال على عمر بن أبي ربيعة
ليحضر مجلسهن هذا ، ويجدن من غزله ، ومن شعره . أرسلت إليه خالداً الخيريت ،
فأغاره ليり هؤلاء النساء ، وهن بارعات في الحسن والجمال . وعرض عليهن أن يأتينهن
متسلكاً ، فيسمع من حديثهن ، ويتمتع بالنظر إليهن ، ولا يعلمون من أمره شيئاً . قال
عمر : وكيف لى أن أخفي نفسي ؟ قال خالد : تلبس لبسة أعرابي ثم تجلس على قعود
فلا يشعرن إلا بك قد جئت عليهن ، ففعل عمر مقال ، وجلس على قعود ، وأتاهم
 وسلم عليهم ، ووقف بقربهن ، وسألتهن أن ينشدنهن ، وأن يجدن من شعر
كثير ، والأحوص وجميل ، ونصيب وغيرهم ، فقلن له : ويحك يا أعرابي ما أملحك
وأنظرتك إلينا نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا . فإذا أمسكت انصرفت في حفظ الله .
قال عمر : فلتحت بعيري ، ثم تحدثت معهن ، وأنشدتهن فسرن بي وجذلن بقربي
وأعجبهن حديثي ، ثم إنهم تعاملنني ، وجعل بعضهن يقول لبعض . كأننا نعرف هذا
الاعرابي ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة ! فقالت إحداهن : هو والله عمر فدت هند يدها
فانتزعت عمامة عمر ، وأنقذها عن رأسه ، وقالت له هي ياعمر ! أتراءك خدعتنا منذ اليوم !
بل نحن والله خدعناك ، واحتلتنا عليك بخالد ، فأرسلناه إليك لتآتينا في أسوأ هيئة ونحن
كما ترى . قالوا وطال بينهم الحديث ، وإنجاد الشعر .

وفي هذا المجلس يقول عمر ، ويصفه بهذه الأبيات :

أَمْ تَسْأَلُ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرْبَّعَاً **يَطْنَ حُلَيَّاتٍ** ^(٢) دَوَارَسَ بِلْقَعَ

(١) الأغاني ج ١ ص ١٧٥

(٢) حليات اسم موضع قرب مكة

إلى السفح^(١) من وادي^(٢) المغمس بُدَّلت معاله وبلا ونكباء^(٣) زعزا
لهندي وأتراب لهندي إذ الهوى جميع وإذ لم نخش أن يتتصدعا
كاصف^(٤) الساق الرّحيم المشعشهما و/or نحن مثل الماء كان من اجهه
وإذا لا نطيع الكاشحين ولا نرى لواش لدينا يطلب الصرم موضعا
وقريب من هذا^(٥) أن خرج نسوة من أهل مكة إلى بعض المتحدثات من
نواحي مكة ، وكانت الليلة مقمرة ، وخرج معهن الغريض المغني ، ورحب الحارث
ابن خالد أن يشهد هذا المجلس ، وأن يستمع إلى حديث النسوة ، فأتى عمر بن ربيعة
وقال له : إن فلانة وفلانة ، وسماهن كلهن ، قد بعثتني ، وهن يقرأن عليك السلام .
وقلن : تشوون إليك في ليتلتنا هذه لصوت أنسدناه الغريض . وكان الغريض يغنى
هذا الصوت فيجيده ، وكان ابن أبي ربيعة به معجبًا وهو قوله :

أمسى بأسماء هذا القلب معهوداً إذا أقول صها يعتاده عيداً
قال عمر : لقد أزعجتني في وقت كانت الدعوة أحب فيه إلى ، ولكن صوت
الغريض ، وحديث النسوة ليس له مترك ولا عنده محicus ؟ وكان أن وفدا عليهم ،
قتلهم ، وتحفزن ، فقال الغريض : لا عليك !

هذا ابن أبي ربيعة والحارث ابن خالد جاءا متشوقين إلى حديثكن وغنائي .
قالت فلانة : وعليك السلام يا ابن أبي ربيعة ، والله ما تم مجلسنا إلا بك . وكان
غناء ؛ وكان حديث ؛ ولا يزالون بأنعم ليلة وأطيبها حتى بدأ القمر يغيب ؛ فتفرقوا
وتفرقن ، وفي ذلك يقول عمر :

هل عند رسم برامة^(٦) خبر أم لا ، فأي الأشياء تنتظرك

(١) السفح : موضع (٢) المغمس : موضع

(٣) النكباء : الريح التي تنكب عن مهاب الرياح . يقال ريح زعزع أى شديدة

(٤) صفق الضراب : منزهه (٥) الأغانى ج ٦ ص ٣٢٧

(٦) منزل في طريق البصرة إلى مكة .

قد ذكرتني الديار إذ درست والسوق مما يهيجه الذكر
مشى رسول إلى يخبرني عنهم عشاء بعض ما اثتموا
ومجلس النساء الثلاث لدى الخيات حتى تبلغ السحر
فيهن هند وهم ذكرتها تلك التي لا يرى لها خطر
ثم انطلقنا وعندنا ولنا فيهن لو طال ليتنا وطر
وقولها لفتاة إذ أزيف السفين : أغادام رائح عمر؟
مجلان لم يقض بعض حاجته هلا تأني يوماً فينتظر
الله جار له وإن نزحت دار به أو بدا له سفر

وهؤلاء^(١) نسوة يجتمعن عند امرأة من أهل المدينة، ولكن المجلس يخلو
إذا كان فيه شاعر؛ وكان غزواً يحدّثهن حديثاً ممتعاً.

قالت النسوة للمرأة : أرسل إلى الأحوص فإنما تحب أن تتحدث معه ؟ ونسمع
من شعره ؟ قالت : إذا لا يزيدك على أن يخرج إذا عرفك فنشركت وينظم الشعر
فيكن ؟ ولم يعبأ النسوة بهذا التحذير ؟ فإن نظم الشعر فيهن حبيب إلى نفوسهن .
وتلك أمنية يسعى إلى تحقيقها كثير من النساء وليس أحلى إلى المرأة العربية — إذا لم
يكن بها حرج — من أن يقتنن الشعر بها وأن يتحدث عن حسنها وجهالها ؛ وأن
يسير في كل مكان ؟ وفي كل جيل يحمل إلى الناس جميعاً هذا الحديث العذب
الرقيق ، ولا يزال النساء بالمرأة حتى أرسلت إلى الأحوص رسولاً ؛ يذكر له أمر هذا
المجلس ويحمل له رغبة هؤلاء النساء ؛ أما الأحوص فقد جاء سرعاً . وجلس إليهن
يحدّثهن حديثاً طويلاً؛ وينشدّهن من شعره الشيء الكثير . وفي هذا يقول الأحوص
من قصيدة طويلة :

كل يرى أن الشباب له في كل غاية صبوة عذر

(١) الأغاني ١٦ - طبعة قديمة - ص ٩٢

سِيفَانَة^(١) أَمْرُ الشَّبَابِ بِهَا رَقَراقةٌ لَمْ يُبْلِهَا الدَّهَر
 حَتَّى إِذَا أَبْدَى هُوَاهُ لَهَا وَبَدَا هُوَاهَا مَالَهُ سَرَّتْر
 سَفَرَتْ وَمَا سَفَرَتْ لِعِرْفَةِ وَجْهًا أَغْرَى كَانَهُ الْبَدْر
 قَالُوا^(٢) وَلَا قَضَى الْفَرَزْدَقُ حِجَّهُ خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَخَلَ عَلَى سَكِينَةِ بَنْتِ الْحَسِينِ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسَلَّمًا . قَالَتْ لَهُ : يَا فَرَزْدَقُ مَنْ أَشَعَرَ النَّاسَ؟ .
 قَالَ : أَنَا . قَالَتْ : كَذَبْتَ . أَشَعَرَ مِنْكَ الَّذِي يَقُولُ :

يَنْفُسِيَ مِنْ تَجْبِيَّهُ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ، وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامُ
 وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَرَاهُ وَيُطْرَفَنِي إِذَا هَجَّمَ النَّيَامُ
 وَخَرَجَ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا مِنَ الْعَدْ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا ، وَقَالَتْ : يَا فَرَزْدَقُ مَنْ أَشَعَرَ النَّاسَ؟
 قَالَ : أَنَا . قَالَتْ : كَذَبْتَ . صَاحِبُكَ أَشَعَرَ مِنْكَ ، حَيْثُ يَقُولُ :

لَوْلَا الْحَيَاةُ لَهَا جَنِيَ استَعْبَارَ وَلَرَتْ قَبْرَكَ ، وَالْحَبِيبُ يُزَارُ
 كَانَتْ إِذَا هَبَرَ الضَّجَيْعُ فَرَاسْهَا كَتَمَ الْحَدِيثَ وَعَفَّتِ الْأَسْرَارَ
 لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ
 وَخَرَجَ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا فِي الْيَوْمِ الثَّالِثَ ، وَحَوَّلَهَا مُولَدَاتٍ كَأَنَّهُنْ التَّائِلُ ، فَنَظَرَ
 الْفَرَزْدَقُ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ ، فَأَعْجَبَ بِهَا . قَالَتْ : يَا فَرَزْدَقُ . مَنْ أَشَعَرَ النَّاسَ؟

قَالَ : أَنَا . قَالَتْ : كَذَبْتَ . صَاحِبُكَ أَشَعَرَ مِنْكَ ، حَيْثُ يَقُولُ :
 إِنَّ الْعَيْوَنَ الَّتِي فِي طَرْفَهَا مَرْضٌ قَتَلَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْمِيَنِ قَتْلَانَا
 يَصْرُعُنِ ذَا الْأَلْبَ حَتَّى لَا حَرَّكَهُ وَهُنْ أَضْعَفُ خَلْقَ اللَّهِ أَرْكَانَا
 وَكَانَ أَنْ أَعْجَبَ الْفَرَزْدَقَ بِإِحْدَى هُؤُلَاءِ الْجَوَارِيِّ ، فَأَعْطَتَهُ سَكِينَةً إِيَاهَا .

(١) يقال لِمَرْأَةِ سِيفَانَةٍ : مِمْشُوقَةٌ طَوِيلَةٌ

(٢) الأَغَانِيَ ج ١٤ — طَبْعَةُ قَدِيمَةٍ مِنْ ١٧٧

وقالوا^(١) : إن أبو دهبل كان يهوى امرأة من قومه يقال لها عِمْرة ، وكانت امرأة جزلة^(٢) يجتمع إليها الرجال للمحادثة وإنشاد الشعر والأخبار .

ويقول فيها أبو دهبل :

تطاولَ هذا الليلُ ما يتليج
و بت كثيباً ما أنـام ، كـاما
فطوراً أـمـي النفس من عـمـرة المـنى
لقد قطع الواشون ما كان يـيـنا
وأـعـيت غـواشـى عـبـرى ما تـفـرـج
خلال ضـلـوى بـحـرـة تـتوـهـج
وطـورـاً ، إذا مـالـجـى الحـزـنـ أـنـشـجـ^(٣)
ونـحنـ إـلـى أـنـ يـوـصـلـ الحـبـلـ أـحـوـجـ
وقالوا^(٤) : كانت عقيلة بنت الصحاك تهوى ابن عمها عمرو بن كعب . وكانت عقيلة أديبة تحفظ الشعر ، وتعرف كثيراً من نوادره وسراميه . ووفد عليها رجل من قبيلة الفرزدق . فسألته : من الرجل ؟ . قال : من بني حنظلة . قالت : من أيمهم ؟

قال : من بني نهشل . فتبسمت وقالت : أنت إذن من عناء الفرزدق بقوله :
إن الذى سـمـك السـماءـ بـنـاـ لـنـاـ يـيـتاـ دـعـائـهـ أـعـزـ وأـطـولـ
يـيـتاـ بـنـاهـ لـنـاـ الـمـلـيـكـ ، وـماـ بـنـىـ مـلـكـ السـماءـ فـإـهـ لـاـ يـنـقـلـ
قال الرجل : نعم . جعلت فداك . فضحكـتـ ، وقالـتـ : فـانـ اـنـ الخـطـفـيـ - جـرـيرـ

قد هدم عليكم يـيـتكـمـ هذا الذى خـرـتمـ بهـ حـيـثـ يـقـولـ :
آخرـىـ الذى رـفـعـ السـماءـ بـجـاشـعاـ وـبـنـاءـكـ بالـخـضـيـضـ الـأـسـفـلـ
قالـ : فـوـجـهـتـ . فـلـمـ رـأـتـ هـذـاـ فـوـجـهـيـ قـالـتـ : لـاـ عـلـيـكـ فـإـنـ النـاسـ يـقـالـ فـيـهـمـ
وـيـقـلـونـ . شـمـ قـالـتـ : أـينـ تـؤـمـ ؟ . قـلتـ : الـيـمـامـةـ .

فتـنـفـسـتـ الصـعـداءـ . شـمـ قـالـتـ : هـاـ هـىـ تـلـكـ أـمـامـكـ . شـمـ أـنـشـأـتـ تـقـولـ :
تـذـكـرـنـيـ بـلـادـاـ خـيـرـ أـهـلـيـ بـهـاـ أـهـلـ الـمـرـوـءـةـ وـالـكـرـامـهـ

(١) الأغاني ج ٧ ص ١١٦

(٢) الجزلة : الأصيلة الرأى

(٣) النشيج : صوت معه توجع وبكاء

(٤) الأغاني ج ٨ ص ٤٥

وأخذت تذكر هواها في أبيات جزلة رقيقة ، منها :

إذا رقد النّيامُ فان عمراً
تُؤرّقه الْهَمْوُمُ إلَى الصِّبَاحِ
تُقْطِعُ قلبَهُ الذِّكْرِي وَقَابِي
فَلَا هُوَ بِالْخَلِيِّ وَلَا بِصَاحِ
سَقِيَ اللَّهُ الْيَمَامَةَ دَارَ قَوْمٌ
بِهَا عُمُرٌ وَيَحْنَ إِلَى الرَّوَاحِ
وَكَانَ لِلأَدْبَرِ فِي بَلَادِ الْأَنْدَلُسِ مُجَالِسٌ يُؤْمِنُهَا كَثِيرٌ مِنْ رِجَالِ الْعِلْمِ وَالْأَدْبَرِ ،
حَتَّى امْتَلَأَتِ الْمَحَافِلُ وَالْمَجَامِعُ بِضَرُوبِ الْلَّاهُوِ وَالْطَّرَبِ .

وكا^(١) قال الدكتور أحمد ضيف : « وكان للنساء أثر عظيم في هذه المجالس ، فاتجه الناس إلى الاندماج فيها ، واستعدّوا لهذا المورد وانصرفت هم الأدباء إلى التفوق في هذا الميدان . فكان لذلك أثر عظيم في أخلاق الأدباء ، وصورة البلاغة من نظم ونثر ». .

وفي وصف أحد هذه المجالس يقول المعتمد بن عباد :

أَيْهَا الصَّاحِبُ الَّذِي فَارَقْتَ عِيْ
نِي وَنَفْسِي مِنْهُ الْسَّنَنَا وَالسَّنَاءَ^(٢)
نَحْنُ فِي الْجَلْسِ الَّذِي يَهْبِطُ الْرَا
تَعْسَاطِي الَّتِي تَسْعَى مِنْ الْأَ
ذَذَةِ وَالرَّقَّةِ الْمُهْوِيِّ وَالْمَهْوَاءِ
قَدْ أَعْدَاهُ تَلْفُ رَاحَةٍ وَمُحِيَا

٤ - مظاهر الترف

ليس من شك في أن الغزل فن من الفنون الرفيعة ، وأنه لون من ألوان الحياة الباسمة الصافية . لا تهفو إليه الأفندية إلا إذا كانت خالية من شوائب الحياة ، وألام الزمن . ولا تهتز به القلوب إلا إذا كانت غردة طروبة ، تجد لها من شعر الغزل ما يغذى هذا الطرب ويقويه ، وينمييه .

(٢) السنا : ضوء البرق والسناء الرفعة .

(١) بلاغة العرب من ٦٦

وقل لى بربك : ما لهؤلاء الناس الذين يكذبون في البحث عن قوتهم فلا يجدونه ،
وإذا وجدوه في غصة ومرارة . ولهؤلاء الذين نكبهم الزمن فنخص آمالهم ، وأمنهم ،
وهدوئهم بضرور من القلق والفزع . ولهؤلاء الذين شغلتهم نوع من أنواع الحياة ،
أيًّا كان ، فاستولى على كل نواحي شعورهم وتفكيرهم ، وحجبهم عن هذه الحياة الجميلة
التي يعيش فيها جماعة من الناس ، تجمعهم آصرة الحب ، والتي يكون الغزل ، وشعره
أداة من أدوات الترفيه والفن في عالمها الماوى المحبوب . ولهؤلاء الذين عاشوا في الحياة
وعقولهم مغلقة ، وقلوبهم جامدة ، فهم يكذبون أن يكونوا كالآدميين في جهل وغفلة وضيق .
نعم . ما لهؤلاء الناس والغزل ؟ .

إنهم لا يعرفونه ، ولا يصلون إليه ، ولا يتذوقون ما فيه . وإذا وصلوا إليه
اعتبروه نوعاً من الأهواء والساخرية والمحظوظون . إذن يكون الغزل حيث يكون صفاء
العيش ، وحيث يكون نعيم الحياة . وحيث تكون الدعة والطمأنينة ، وهدوء البال .
وعلى قدر ما لهذه العوامل من حظ في القوة والضعف ، يكون حظ الغزل
من قوة أو ضعف .

على قدر ما يكون لهذه العوامل من تأثير في الشاعر ، ومن تأثير في الناس .
فالشاعر إذا كان ناعماً صافياً سماً بروحه إلى هذا النوع الجليل ، فأبدع وأنفق وأنخرج
لنا مجموعة صالحة من المعانى العذبة ، والأخيلة الرائعة . وجمهور الناس إذا نعموا وصفت
قلوبهم وجدوا من تناسق الشاعر ، ومن فيض الشعراء ما يغذى عاطفهم وشعورهم .
وفي هذا الميدان توجد الصلة بين الشاعر وقارئيه وسامعيه ، ويوجد التسابق في الإجاداة
وتوجد الثروة الشعرية ، التي يغنى بها الأدب ، وينعم بها الناس .

يقول ابن خلدون^(١) :

« إن الأمة إذا ثقلت وملكت ما بأيدي أهل الملك قبلها كثُر رياشها ونعمتها »

(١) المقدمة ص ١٨٣

فـكثـر عـوائـدـهـم ، وـيـتـجـاـزـوـن ضـرـورـاتـ الـعـيـش وـخـشـوـنـتهـ إـلـى نـوـافـلـهـ وـرـقـتـهـ
وـزـيـنـتـهـ .»

ويقول في فصل آخر :

« فإذا حصل الملك أقصروا عن المتابعة التي كانوا يتتكلفونها في طلبه ، وأثروا
الراحة والسكون والدعة ، ورجعوا إلى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمساكن
والملابس ، فيبنون القصور ، ويجررون المياه ، ويغرسون الرياض ، ويستمتعون
بأحوال الدنيا .»

وإنما لنقرأ في الشعر العربي حيث كانت القوة ، وحيث كان الملك وتحصيل ثماراته
ـ كما ذكر ابن خلدون ـ ألواناً رائعة من شعر الغزل . كما نعرف كثيراً من نوادر الغزل
وأخباره وحوادثه تمتليء بها كتب الأدب ، ويتحدث بها الناس جيلاً بعد جيل ،
وقد يكون هذا من الطبيعي الذي يحتاج إلى بسط أو بيان . فالإنسان في كل عصر
وفي كل أمة متى نعم ، وهدا بالله ورغد عيشه ، أخذ يفكر في ترفيه نفسه ، وتهذيب
حسه ، وصقل وجدانه .

ولا شك أن الشعر من أقوى هذه الأسباب ومن أكثرها ذيوعاً وانتشاراً .
و خاصة عند العرب وقد شغفوا به جيداً من قديم الزمن . ولا شيء كالغزل بين ضروب
الشعر يكون أكثر حساسية وأكثر نفاذًا إلى القلوب .

على أنه ليس من الضروري أن يكون ملك ، حتى يكون من تحصيل ثماراته
الدعة ، والراحة والاستمتاع بأحوال الدنيا ، ثم يكون الغزل ، يكون شعر الغزل .
ولكن يكفي أن يكون البال صافياً ، غير مشوب بما يكدره ويعكر عليه هناءه رفاهته .
ولهذا كان شعر الغزل أيام الجاهلية ، وليس هناك ملك حتى تحصل ثماراته ، ولكن
كان العربي صاف النفس ، هادئ البال ، يجد نعيمه في الحياة ، حيث يجد قوته ،
وكان لا يلقى في الحصول على هذا القوت مشقة وعناء وهو بعد الحصول على القوت

أكثر ما يكون أمناً ، ودعة وسلاماً ، وهو لذلك يتوجه إلى شعر الغزل ويجد فيه غذاء القلب ، وغذاء الروح .

ومن هذه العوامل :

(١) الشباب

وأعنى بهذا شباب الشاعر ، وشباب الأديب ، وشباب الأمة .

فالشاعر إذا كان شاباً فتياً ، ذا صحة ونشاط ، وتهيأت له الوسائل الأخرى ، فإنه يعمل جاهداً على أن يُضفي على الإنسانية من طريق الشعر ، الذي هو ترجمان نفسه لوناً من ألوان الحياة المرحة الباسمة ، الحياة الجميلة العذبة ، الحياة الصافية ، حياة الغزل ، حياة الحب ، حياة الموى .

وفي هذه الحياة يصور لك كثيراً من المعاني الرائعة ، التي تحدثك عن العواطف الملتهبة المتقدمة ، إنه يكون في شعره كما يكون في شبابه زاهراً ، ناضراً ، حساساً ثائراً . إنه يكون في شعره كما يكون في شبابه خجولاً كمسحا ، راقصاً طروباً . إنه يبعث في شعره روحًا من قلبه ووحىًّا من عاطفته ، ولذا يكون غزله في الشعر في هذا العهد الغرض باسم صورة رائعة فيها قوة ، وفيها حدة ، وفيها فن وجمال .

أما إذا كان الشاعر قد أصابته الشيبخوخة ، وتواترت عليه أحداث الزمن حتى قوست ظهره ، وضيقـت العيش في سـبيله فإـنه يـرغـب عـما هـو حـسن جـمـيل . وإنـه يـزـهد فـي مـظـاـهـرـ الـحـيـاةـ ، وـخـاصـةـ مـبـاهـجـهاـ وـزـخـارـفـهاـ . فـلاـ شـأنـ لـهـ بـالـغـزـلـ ، وـلـاـ شـأنـ لـهـ بـعـيـانـيـ الـحـبـ يـصـورـهـ ، وـيـتـفـنـ فيـ تصـوـيرـهـ . وـقـدـ مـرـ بـنـاـ أـنـ سـئـلـ كـثـيرـ : لـمـ أـصـبـحـ لـاـ يـقـولـ الـشـعـرـ ؟ فـذـكـرـ أـنـ مـنـ أـقـوىـ الـأـسـبـابـ التـىـ حـالـتـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الشـعـرـ أـنـ ذـهـبـ شـبـابـهـ فـلـاـ طـرـبـ .

وـشـبـابـ الـأـدـيـبـ يـجـعـلـ فـيـهـ قـبـولاـ لـكـلـ مـاـ هـوـ فـاتـ جـمـيلـ ، يـلـهـبـ عـاطـفـتـهـ ، وـيـمـلـكـ عـلـيـهـ قـلـبـهـ ، إـنـهـ يـجـدـ ذـلـكـ فـيـ شـعـرـ الغـزـلـ ، وـلـذـاـ فـهـوـ يـتـذـاكـرـ ، وـيـتـدـارـسـهـ ، وـيـخـتـارـ

من ألفاظه ومعانيه ، ما يروى ظماء ، ويطفئ غلنته ، والشعراء إذا وجدوا من يتفهم أشعارهم ، ويفوض عن مكنون المعانى كان هذا حافزاً للجودة والإتقان وكان هذا سبباً من أسباب تقدير المجددين ومكافأة النابحين . ومن هذا التقدير أن يسرى شعره في كل مكان ، ينطوي به كل لسان ، ويتهافت به كل قلب . وحينذاك يتبارى الشعراء ويتنا夙ون . وحينذاك تكون الغزل سوق نافقة يكثر فيها البيع الشراء ، فالطلب كثير ، والمعرض كثير .

وأحب أن أصور لك المسألة تصويراً آخر :

هذا شاعر غزل ، يطلع علينا بفيس من وحى قلبه ، وينخرج لنا صوراً جميلة من الألفاظ والمعانى . ولكنه بين قوم كهول ، أفتاح الزمن وأقدمهم ، وجعلهم يرون أفق الحياة في وجوههم ضيقاً عابساً كريهاً ، ليس فيه ازدهار ، وليس فيه آمال ، وليس فيه فتوة وشباب .

ما لهؤلاء وشعر الغزل ، وأخبار الغزل !

إنهم في حال قد تسامهم ولو بعد عهد قريب من الزمن إلى حافة القبر ، فليزهدوا في الحياة الدنيا ومباهجها ، ولويتصلوا إلى الحياة الأخرى بأسباب من تقوى الله وخوف عقابه . وإذا كان الأمر كذلك فإن الغزل لا يصل إلى قلوبهم ، وإن شعر الغزل لا يصل إلى أسمائهم .

وشباب الأمة أى قوتها وعظمتها . الأمة الفقيرة الشابة ، يكون قد اجتمع لها زاد من أسباب المجد يجعلها في رغد من العيش ، وفي قوة ومنعة ، وفي راحة وأمن وطمأنينة . وتلك هي الحال التي عندها ابن خلدون ورأها في حصول الملك لأى أمة من الأمم . وتلك هي الحال التي إذا عاش الناس في ظلمها نعموا وترفهوا ، فطابت آمالهم ، ووجدوا فيها مجالاً خصيّباً ، فيه يسرحون ويرحون ؛ ويجد شعراء الغزل في هذه الحيلة ما يقوى شاعرية لهم ، ويصلل عاطفهم ، ويرفق إحساسهم ، ويوجّه إليهم أن يطلعوا على الناس

بما هو حسن جميل وما هو عذب غرد؟ وما هو فاتن شائق يوافق حيواتهم الناعمة
وعيشهم الفاره .

وإذا اجتمع شباب الشاعر؛ وشباب الأديب — أى جمهور القارئين
أو السامعين — وشباب الأمة وجد الشعر أكثر ما يكون قوة وروعة ، وكان
الغزل ، أكثر ما يكون عذوبة ورقه . ولعلنا حين نتحدث عن تطور الغزل نعطيك
صورة صحيحة في تأييد ما نقول .

قالوا :

كان أبو العتاهية غزلاً ، ولكنـه انصرف في آخريات أيامـه ، وقد كبرـت سـنه
إلى الزهد وتركـ الغزل ، ولكنـ الرشـيد يـحـلوـ له أنـ يـسـمعـ غـزـلـ أبيـ العـتـاهـيـةـ ، فـرـغـبـ
إـلـيـهـ أـنـ يـقـنـزـلـ فـأـبـيـ خـبـسـهـ ، فـغـنـيـ بـقـوـلـهـ :

خليلى مالي لاتزال مضرّتـي
 تكونـ علىـ الأـقـدارـ حـتـماـ منـ الـحـتـمـ
 كـفـاكـ بـحـقـ اللـهـ ماـ قـدـ ظـلـمـتـنـيـ
 فـهـذـاـ مـقـامـ الـمـسـتـجـيرـ مـنـ الـظـلـمـ
 أـلـاـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ جـسـيـ وـقـوـيـ
 أـلـاـ مـسـعـدـ حـتـىـ أـنـوـحـ عـلـىـ جـسـيـ
 فأـمـرـ الرـشـيدـ بـاـحـضـارـهـ وـقـالـ لـهـ :ـ بـالـأـمـسـ يـهـاكـ أـمـيرـ الـؤـمـنـيـنـ الـمـهـدـيـ عـنـ الـغـزـلـ
 فـتـأـبـيـ إـلـاـ لـجـاجـاـ وـمـكـابـرـةـ ،ـ وـالـيـوـمـ آـمـرـكـ بـالـقـوـلـ فـتـأـبـيـ جـرـأـةـ عـلـىـ وـإـقـدـامـاـ .ـ فـقـالـ :ـ
 «ـ يـاـ أـمـيرـ الـؤـمـنـيـنـ إـنـ الـحـسـنـاتـ يـذـهـبـنـ السـيـئـاتـ .ـ وـكـنـتـ أـقـولـ الغـزـلـ وـلـ شـبـابـ وـجـدـةـ ،ـ
 وـبـيـ حـرـاكـ وـقـوـةـ .ـ وـأـنـاـ يـوـمـ شـيـخـ ضـعـيفـ لـاـ يـحـسـنـ بـثـلـيـ تصـابـيـ »ـ .ـ

ولـمـ يـقـنـعـ الرـشـيدـ بـهـذـاـ ،ـ فـرـدـ إـلـىـ الـحـبـسـ .ـ وـكـانـ مـنـ الـحـقـ أـنـ يـقـنـعـ بـهـلـأـهـ قـوـلـ حـيـحـ سـلـيمـ .ـ
وـسـنـرـىـ فـيـ بـابـ الغـزـلـ أـنـ شـبـابـ الـشـعـراءـ هـوـ الـذـىـ أـبـجـدـىـ عـلـىـ الـشـعـرـ الـعـرـبـىـ
بـمـاـ نـقـرـؤـهـ فـيـ شـعـرـ الغـزـلـ .ـ وـإـنـ عـهـدـ شـبـابـ الـأـمـةـ هـوـ خـيـرـ الـمـهـودـ اـرـدـهـارـاـ فـيـ الغـزـلـ ،ـ
بـلـ تـكـادـ تـكـونـ الـثـرـوـةـ الـغـزـلـيـةـ مـنـ آـثـارـ هـذـاـ الـعـهـدـ .ـ

وـمـنـ الـجـلـىـ أـنـ عـصـرـ بـنـيـ أـمـيـةـ ،ـ وـعـصـرـ بـنـيـ الـعـبـاسـ هـاـ مـظـهـرـ الشـبـابـ فـيـ الـأـمـةـ

العربية . ومن الطبيعي أن يكون الغزل في هذين العصرين زاهراً عامراً . ولم يؤت هذا الحظ في أي عصر من العصور كما وجد في هذين العصرين .

(ب) الجواري

نقرأ في الأدب العربي كثيراً من أخبار هؤلاء الجواري وأنهن كان سبباً في بعض العهود وخاصة في العصر العباسي إلى حال ازدهر فيها الأدب وسما ، وأصبح غنياً بفنون من الظرف والرقابة والجمال .

وقد دعا إلى كثرة هؤلاء الجواري في العصر العباسي ما كان بين العرب والفرس من عشرة وجوار واحتلال ، وأن التسرى أصبح حلا ، فالمخليفة أو الأمير أو الحاكم أن يملك من هؤلاء من يشاء ، وأن الفتوحات ، خلقت للعرب من هؤلاء الشيء الكثير . ويظهر أن كثرة الجواري في هذا العصر قد هالت الرياشي الشاعر ، وفي ذلك يقول :

إِنْ أُولَادَ السَّرَّارِيِّ كَثُرُوا، يَا رَبَّ، فِيمَا
رَبِّ أَدْخَلَنِي بِلَادًا لَا أَرِي فِيهَا^(١) هَجِينًا

وبعض هؤلاء الجواري يكن مملوكت للخلفاء أو الأمراء أو الأغنياء وكن مختلفن إلى كثير من الأندية والمخالف ، يعرفها الشعرا ، والأدباء ، فيتجهون إليها ، وهناك يتناولون أشعار الغزل ، ويسمعون الغناء العذب ، ويسمرون ويشربون ، ويجدون في ذلك متعة لا تدانيها متعة .

وكان^(٢) لابن رامين^(٣) منزل بالكوفة يعرض فيه بعض جواريه وكن مغنيات محيدات ، وهن : سلامية الزرقاء ، وربيعة ، وسعدة . وفيهن يقول إسماعيل بن عمّار قصيده التي أولها :

(١) الهجين من أمة سرية (٢) نهاية الأرب ج ٥ من

(٣) ابن رامين هو عبد الملك بن رامين مولى عبد الملك بن بشر بن حروان .

صَبَّا وَصَبَّ إِلَى رِئْمٍ أَبْنَ رَامِينَ
بِحُسْنِهَا وَسَمَاعِ ذِي أَفَانِينِ
قَتَلْتُنِي يَوْمَ دَيْرٍ^(١) اللَّهُجَّ فَأُحِيلُّنِي
مِنَ الْجُوَارِي فَأُنْشَى فِي فَوْرِ قِينِي
وَأَنْتَ تَحْمِلُنِي أَنْفَأِنِي أَنْ تُطْعِيَنِي
وَكَانَ هُؤُلَاءِ الْجُوَارِي عَلَى جَانِبِ عَظِيمٍ مِنَ الْجَمَالِ، وَكَانَ يَقُولُ^(٢) الدَّكْتُور

هَلْ مِنْ شَفَاءٍ لِّقَلْبٍ لَّجَّ مُحَزَّونِ
إِلَى رَبِيعَةَ ، إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهُمَا
نَعَمْ شَفَاؤُكَ مِنْهَا أَنْ تَقُولَ لَهَا :
أَنْتَ الطَّبِيبُ لِدَاءَ قَدْ تَلَبَّسَ بِي
نَفْسَى تَأْبَى لَكُمْ إِلَّا طَوَاعِيَةَ

طَهُ حَسَنِ بَكَ :

قَدْ أَحْسَنَ تَأْدِيهِنَ ، فَرَوْنَ الشِّعْرَ ، وَقَرْضَنَهُ ، وَأَحْسَنَ الْمُوسِيقِي وَنَبْغَنَ فِيهَا ،
وَأَخْذَنَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدْبِرِ الْمُعْرُوفِينَ حِينَئِذٍ بِطَرْفٍ لَا بَأْسَ بِهِ . فَكَنْ يَثْبَتُ لِمَنْاظِرِ
الشُّعُرِ وَالسَّلَامَ وَأَنْثَمَ اللِّغَةَ . وَكَنْ يَمْتَزِنُ بِذَلِكَ ، وَيَتَقَدَّمُ عَلَى الْحَرَائِرِ وَالْمُخْصِنَاتِ ،
لَاَنْ حُرْيَةَ هُؤُلَاءِ وَإِحْصَانَهُنَّ كَانَ يَحْوِلُانَ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ التَّحْدِثِ إِلَى الرِّجَالِ ، وَالتَّبْذِيلِ
فِي هَذَا الْحَدِيثِ .

وَقَدْ يَحْلُو لِلقارِئِ أَنْ نَحْدُثَهُ بَعْضَ الْحَدِيثِ عَنْ عِلْمِ الْجُوَارِيِّ ، وَأَدَبِهِنَ .
كَانَ^(٣) مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى الْجَعْفَرِيُّ يَهُوَى بِصَبَصَنْ جَارِيَةَ ابْنِ نَفِيسِ ، فَذَهَبَ
إِلَيْهَا وَمَعْهُ صَدِيقٌ ، فَلَمَّا غَنَّتْهُمَا ، قَالَ لَهَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى : أَنْغُنِينِ؟

وَكَفَتْ أَحْبَكُمُ فَسَاوَتْ عَنْكُمْ عَلَيْكُمْ فِي دِيَارِكُمُ السَّلَامُ
قَالَتْ : لَا . وَلَكُنِي أَغْنِيَ .

تَحْمَلُّ عَنْهَا أَهْلَهَا فَبَانَا
عَلَى آثارِ مِنْ ذَهَبِ الْعَفَافِ
فَأَطْرَقَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : أَنْغُنِينِ؟
وَأَخْضَعَ بِالْعُتْبِيِّ إِذَا كَنْتُ مَذْنَبًا
وَإِنْ أَذْنَبْتُ كَنْتُ الَّذِي أَنْتَصَرَّ
قَالَتْ : نَعَمْ . وَأَغْنِي أَحْسَنَ مِنْهُ .

(١) دِيرِ الْحِيَرَةِ بِنَاهِ النَّعَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ (٢) حَدِيثُ الْأَرْبَاعَاءِ جَ ٢ صَ ١٢٩ (٣) نَهَايَةُ الْأَرْبَعَاءِ جَ ٥ صَ ٧٤

فان تقبلوا بالود تقبل بحثله ونزلكم منا بأقرب منزل
فتقطاعا في بيتهن وتواصلا في بيتهن وما شعر بهما أحدا .

وقال ^(١) مروان بن أبي حفصة : لقيني الناطفي فدعاني إلى عنان ^(٢) فانطلق
معه ، فدخل إليها قبلي ، فقال : جئتكم بأشعر الناس مروان بن أبي حفصة ، فوجدها
عليلة ، فقالت : إنني عن مروان لفي شغل فأهوى إليها بسوط ، فضررها ، وقال لي :
أدخل . فدخلت وهي تبكي ، فرأيت الدموع تنحدر من عينيها ، قلت :
بكى عنان بحرى دمعها كالثُّر إذا يسبق من خطيه
قالت مسرعة :

فليت من يضر بها ظالماً تبَسَّى يمناه على سوطه
قال مروان : قلت أعتقد ما أملك إن كان في الجن والإنس أشعر منها .
وقال أحمد بن معاوية : قال لي رجل : تصفحت كتبًا فوجدت فيها بيتاً جهداً
جهدي أن أجده من يحيزه فلم أجده . فقال لي صديق لي : عليك بعنان جارية الناطفي ،
فأتتها فأنشدتها البيت وهو :

ومازال يشكو الحب حتى رأيته تنفسَ من أحشائه وتكلما
فلم تلبث أن قالت :

ويشكى فابكي رحمةً لبكائه إذا مابكى دمعاً بكيم له دماً

وحدثنا ^(٣) الفضل بن العباس بن المأمون قال :

زارني عَرِيب يوماً ؛ ومعها عدة من جواريها ، فتحدثت معها ساعة ، وسألتها
أن تقيم معنا فآمنت ، وقالت قد وعدت جماعة من أهل الأدب والظرف أن أصير إليهم
وهم في جزيرة المؤيد ، منهم إبراهيم بن المدبر ، وسعيد بن حميد ، ويحيى بن عيسى ،

(١) نهاية الأربج ٥ ص ٧٨ (٢) جارية الناطفي من مولدات اليمامة .

(٣) الأشاني طبعة قديمة ج ١٩ ص ١٢١

خلفت عليها فأقمت ودعت بدواة وقرطاس ، وكتبت إليهم :
بسم الله الرحمن الرحيم . أردت ، ولولا ، ولعلى .

ووجهت الرقة إليهم فلما وصلت قرءوها ، وأخذها إبراهيم بن المدبر وكتب :
تحت أردت : ليت . وتحت لولا : ماذا . وتحت لعلى : أرجو . وجه بالرقة إليها .
فلماقرأتها طربت . وقالت : أنا أترك هؤلاء ، وأقدم عذركم . ومضت إلى مجلس
أهل الأدب .

لعل القاريء لا يكون في حيرة من جواب عريب ، ورد إبراهيم بن المدبر أما
هي فتفنی : أردت الحضور . ولو لا ما شغلني لتحقيق عزمي ، ولعل أراكم بعد قليل .
وكان رده عليها . ليت ما أردت تحقيق ، وماذا شغلك ؟ وأرجو أن تحضرى بعد قليل .
وحدثنا عمرو بن يأنة ^(١) قال :

كان في جواري رجل من البرامكة ، وكانت له جارية شاعرة ظريفة ، يقال لها
« حسناء » ، يدخل إليها الشعرا ، ويسألونها عن المعانى ، فتأنى بكل مستحسن
من الجواب ، فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً ، وحادثها طويلا ثم قال لها :

حاجيتك يا حسنا في جنس من الشعر
وفيها طوله شبر وقد يُوفى على الشبر
له في رأسه شق نطوف ^(٢) بالندي يجرى
إذا ما جف لم يجر لدى بري ولا بحر
وإن بُل أنى بالعجب العاجب والسحر
أجيبي لم أرد فحشها ورب الشفع والوتر
ولكن صفت أبياتا لها حظ من الزجر
قال : فغضب مولاها . وتغير لونه . وقال :

(١) عصر المؤمن ج ٧ ص ٤٠٩ (٢) يقال ليلة نطوف : أى قاتلة تطرح حق الصباح

أتفحش على جاريتي ، تناطها بالخني ؟ .

فقالت له : خفّض عليك ، فما ذهب إلى ما ظننت ، وإنما يعني القلم . فسرّ عنه ،
ونحك سعيد ، وقال : هي أعلم منك بما سمعت .

كان من الطبيعي إذن وقد كثُر هؤلاء الجواري الحسان ، وكن على جانب
من المعرفة ، والأدب ، والقطنة ، وسرعة الخاطر ، وكن أيضاً مع هذا كله — وكله
يغري ويغوى — على حظ من حسن الصوت ، فأصبحت لهن ، أو لكتير منهن ميزة
أخرى ، زادتهن في أعين الناس فتنّة ، وروعة هي الغناء . وما أقربه إلى نفوس
العرب ! وما أحبه إلى الحس المرهف ، والقلب الطروب !

كان من الطبيعي أن يجد شعر الغزل من هؤلاء الجواري زاداً ، وإذا كان الشعر
صورة للعصر الذي يعيش فيه . كان من هذه الصورة أن وصف لنا الشعر جمال هؤلاء ،
ووصف فتنتهم ، وزينتهم ، ووصف حديثهن ، وكان من هذه الصورة أن حمل إلينا
الشعر العربي ، وصفاً للقلوب التي أشربت حب هؤلاء الجواري ، والآفة التي خفقت
بهـاـهن ، وغراـهمـن ، وكيف أن هؤلاء الجواري سـحرـنـ كـثـيرـاًـ من ذـوـيـ العـواـطفـ
المـلـهـبةـ ، وجذـبـنـ إلىـ نـفـوسـهـنـ كـثـيرـاًـ من ذـوـيـ الإـحـسـاسـ المرـهـفـ . وكان لا بدـ لـناـ
أن نقرأـ فيـ الشـعـرـ العـرـبـ صـورـاًـ منـ هـذـاـ كـلـهـ .

إذن تغزل الشعراـءـ فيـ الجـوارـيـ وفـاضـ شـعـرـ الغـزلـ بـوصـفـهـنـ ، وأـخـبارـهـنـ . وهـانـحنـ
أـلوـاءـ نـقـرـأـ مـنـ هـذـاـ فـيـ الشـعـرـ العـرـبـ صـورـاًـ جـمـيلـةـ رـائـعةـ ، فـيـهاـ قـوـةـ ، وـفـيـهاـ حـسـنـ ،
وـفـيـهاـ إـتقـانـ ، فـيـحـمـدـ هـؤـلـاءـ الجـوارـيـ مـاـ أـسـدـيـنـ إـلـىـ الـأـدـبـ مـنـ ثـرـوةـ ، وـمـنـ زـادـ . وكان
مـنـ الـحـقـ أـنـ نـعـتـبـ هـؤـلـاءـ الجـوارـيـ وـكـثـيرـهـنـ ، وـاـنـتـشـارـ نـفـوذـهـنـ ، عـلـىـ الصـورـةـ التـيـ
نـرـاهـاـ سـبـيـاـ مـنـ أـسـبـابـ الغـزلـ ، وـعـامـلاـ مـنـ عـوـامـلـهـ .

وابـيـ ذـاـكـ لـكـ بـعـضـ أـمـثـلـةـ مـنـ شـعـرـ الغـزلـ فـيـ هـؤـلـاءـ الجـوارـيـ . وـفـيـ الـبـابـ
الـخـامـسـ — تـطـورـ الغـزلـ — بـقـيـةـ مـنـ هـذـهـ الـأـمـثـلـةـ .

كان الرشيد يهوى ثلات جوار ، ويقول الشعر فيهن ، وهن سحر ، وضياء ،

وختى ، وفيهن يقول :

أخذت سحر ولا ذنب لها ثالث قلبي وترابها الثالث

ويقول مطیع بن إیاس فی جاریة اسمها — ریم — كان يهواها :

يا ریم	يا قاتلـتـی
إن لم تجودـی فـعـدـی	بـیـضـتـ بالـمـطلـ وـإـخـلـاـ
فـیـكـ وـعـدـیـ كـبـدـیـ	حـالـفـتـ عـینـیـ سـهـدـیـ
وـماـبـهـاـ مـنـ رـمـدـیـ	

ويقول حماد عجمـرـدـ فـی جـارـیـةـ اسمـهـاـ « جـوـهـرـ » :

إـنـيـ لـأـهـوـيـ جـوـهـرـاـ	وـيـحـبـ قـلـبـيـ قـلـبـهـاـ
وـأـحـبـ مـنـ حـبـبـهـاـ	مـنـ وـدـهـاـ وـأـحـبـهـاـ
وـأـحـبـ جـارـیـةـ هـاـ	تـخـفـيـ وـتـكـنـمـ ذـنـبـهـاـ

وكان على بن آدم بالكوفة يهوى جارية ، علقها وهي صبية تختلف إلى الكتاب

فكان يجيء إلى ذلك المؤدب فيجلس عنده لينظر إليها ، فلما أن بلغت باعها موالها

فرجع على ذلك جزعاً شديداً ، وقال :

قـالـواـ الرـوـاحـ فـطـيرـواـ لـبـيـ	صـاحـواـ الرـحـيـلـ وـحـشـيـ صـبـيـ
وـالـنـفـسـ مـشـرـفةـ عـلـىـ نـحـبـ	وـاشـتـقـتـ شـوـقـاـ كـادـ يـقتـلـنـيـ
يـومـاـ كـمـاـ لـاقـيـتـ مـنـ كـرـبـ	لـمـ يـلـقـ عـنـدـ الـبـيـنـ ذـوـ كـلـفـ
فـقـدـ الحـبـيـبـ عـلـىـ لـوـعـةـ الـحـبـ	لـاـ صـبـرـ لـىـ عـنـدـ الـفـرـاقـ عـلـىـ

ولـأـبـيـ الشـيـصـ الشـاعـرـ جـارـيـةـ سـوـدـاءـ ، تـعـشـقـهـاـ ، وـفـيـهـاـ يـقـولـ :

لـوـلـاـكـ لـمـ يـتـخـذـ وـمـنـ	يـاـ أـبـنـةـ عـمـ المـسـكـ الذـكـيـ وـمـنـ
يـحـ فـاـكـرـمـ يـذـاكـ مـنـ نـسـبـ	نـاسـبـكـ المـسـكـ فـيـ الرـذـاءـ وـفـيـ الرـ

وأبو عيّنة الشاعر يهوى جارية ، يقال لها « أمان » طلب فيها مولاها ثمناً
كبيراً ، وفيها يقول :

قلت لما رأيت مولى أمان
قد طغى سُوءُه بها طغياناً
لا جزى الله الموصلى أبا إسحاق عننا خيراً ولا إحساناً
جاءنا مرسلاً بحري من الشيء طار أغلى به علينا القيانا
من غناء كأنه سَكَرات الحَبْ يُصْبِي القلوب والأذانا
ويقول أبو نواس في « جنان » الجارية ، وقد كلفَ بها كلفاً شديداً :
جنان إن جدت يا مُنَاي بما آمُل لم تقطُر السماء دماً
وإن تَمَادَى ولا تَمَادَيت في منعك أصبح بققرة رِيمَا
علقتُ من لو أنني على نفس الماضية والعابرين ما ندمَا
لو نظرت عينه إلى حجرٍ ولد فيه فتورها سَقَمَا
وأحب بشار جارية يقال لها « فاطمة » سمعها تغنى فطرب من غنائِها
وفي ذلك يقول :

درة بحريّة مكنونة مازها التاجر من بن الدرر
عَيْتُ فَطْمَةٌ مِنْ نَعْتَ مَكْفُوفُ البصر
ج — الغناء :

يقول ابن خلدون في صناعة الغناء « هي تلحين الأشعار الموزونة ، بتقطيع
الأصوات على نسب منتظمة معروفة ، يوقع على كل صوت منها توقيعاً عند قطعه
فيكون لغمة ، ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متقاربة فيلذا سماعها
لأجل ذلك المناسب ، وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات ». .

وإذا عرفت بجانب هذا ما طبع عليه العربي منذ شأنه من حب الشعر والشغف
به ، والسبق في مخماره وطبيعة البيئة التي تحيط به ، من شمس مصرقة ، وسماء صافية
الغزل — ٤

وحراء فسيحة الآماد . وأنه صافى الذهن ، ناعم البال ، يبتسم للحياة ويطرب لها ،
ويتغنى بما وهب الله فيها من نعم ، وخيرات ؟ وجمال .

إذا عرفت هذا كله أدركت لم شغف العربي بالغناء ، ولم انتشر الغناء بين العرب
وكانت له في نقوسهم هذه المكانة الرفيعة تزدان به مجالسهم ، ويستهوى ألبابهم
وأفواههم ، لا فرق في ذلك بين السوقة والخاصة . ولا فرق أن يكون العربي في حفل
أو مجلس ، أو يخلو إلى نفسه ، فيذكر هواها ، وإذا هو يتغنى ببعضه أبيات من الشعر
تلائم حاله ، وتوافق حنينه أو أنينه ، فيتجدد في ذلك لذته ومتاعته ، ويرى في ذلك
فرحته وبسمته .

وإنك لتتجدد في كتب الأدب كثيراً من الأمثلة ، ومن الأخبار التي تفسح لك
عن حب العربي للغناء ، وطربه به . إشبياعا لرقة عاطفته ، وحساسيته ، وإشباعا
لشاعريته . وما يحمله هذا الشعر من روعة في الفظ والمعنى .

يقول عبد الله بن جعفر :

إن لي عند السماع هزة ، لو سئلت عندها لأعطيت ، ولو قاتلت لأبليت .

وقالوا :

خرج ^(١) عبد الله بن جعفر متزههاً ، فصادف ابن سريح ، وعزه الميلاء متزهين
فأناخ ابن جعفر راحلته ، وقال لعزه : غنني ، ثم قال لابن سريح : غنى يا أبا يحيى ،
ففناه .

فطرب عبد الله وأمر براحلته فنحرت ، وشق حلته فألقى نصفها على عزة ،
والنصف الآخر على ابن سريح .

فباع ابن سريح النصف الذي صار إليه بمائة وخمسين ديناً . وكانت عزة إذا
جلست في يوم زينة أو مباهلة ألقت النصف الآخر عليها تتوجه به .

وكان عبد الله بن جعفر ، وابن أبي عتيق ، وعمر بن أبي ربيعة يغشون منزل عزة
الميلاد ، فتفجّر لهم ، وغشت يوماً عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره ، فشق
ثيابه ، وصاح صيحة عظيمة صعق معها ، فاما أفاق قال له القوم : لغيرك الجهل
يا أبو الخطباء . قال :

إني سمعت والله ما لم أملك معه نفسى ولا عقلى .

وكان من عادة عمر بن أبي ربيعة ، وابن سريج أن يترجّل في موسم الحج يتلقّيان
الحج . خرجا ذات يوم ؛ وكان أن أظلم عليهما الليل ؟ فعدلا إلى كثيب ؟ والقمر طافع
يضيء . فغنى ابن سريج من شعر عمر .

وما كاد ابن سريج يستتم الغنا ، حتى طلع رجل يركب فرساً عتيقاً ؛ أعجب به
الصوت ! فمال إلى صوته . قال الرجل لابن سريج : أيمكنك — أعزك الله — أن
تردّ هذا الصوت ؟ فأعاده ابن سريج ، قال الرجل : بالله أنت ابن سريج ؟ قال نعم .
قال : حياك الله ! وهذا عمر بن أبي ربيعة ؟ قال نعم . قال : حياك الله يا أبو الخطباء .
فقال له : وأنت حفياك الله . قد عرفتنا فهرّفنا نفسك . قال : لا يمكنني ذلك . فغضّب
ابن سريج وقال : والله لو كنت يزيد بن عبد الملك لما زاد . قال له : أنا يزيد بن عبد الملك .
فوَثَبَ إِلَيْهِ عَمَرُ فَأَعْظَمَهُ ؛ ونَزَلَ ابْنُ سَرِيجٍ إِلَيْهِ فَقَبَلَ رَكَابَهُ . وَنَزَعَ يَزِيدَ حَلْتَهُ وَخَاتَمَهُ ؛
وَدَفَّهُمَا إِلَى ابْنِ سَرِيجٍ .

وذات يوم وقف ابن سريج عند بستان في طريق الحج . وأخذ يعني :

لَرْنَ نَارَ بِأَعْلَى الْخَيْرِ — فَ^(١) دُونَ الْبَئْرِ مَا تَخْبُو

أَرْقَتَ لَذْكَرَ مَوْقِعَهَا فَنَّ لَذْكَرَهَا الْقَلْبَ

وما أن سمع الحاج هذا الصوت حتى أقبلوا عليه ، وتزاحموا . ورأى هذه الحال
رجل آخر ، وخاف أن ينصرف الحاج عن إتمام مناسك الحج ، فقال : يا هـذا قد

(١) اسم موضع والجيف ما انحدر عن غلظ الجبل ، وارتقاء عن سهل الوادي .

قطعت على الحاج وحبسهم ، والوقت قد ضاق ، فاتق الله وقم عنهم ، وكان أن قام ،
فسار الناس .

وكان ^(١)أحمد بن أبي داود يعيب الغناء ، ويطعن على أهله ، ودعاه المعتضي يوما ،
وكان معه إبراهيم بن المهدى ، فغنى — على إحدى الروايات :

طرفةك زائرةٌ في حيالها
يضاء تخلط بالحياء دلامها
هل تطمسون من النساء نجومها باكفكم أو تسترون هلامها

وطرب ابن أبي داود بهذا الغناء ، وشغله هذا الطرف عن كل شيء ، حتى سقط
من يده سوطه . فطلب من غلام له سوطه ، فقال له : قد والله سقط سوطى . قال
أحمد : فماشي كأن سبب سقوطه ؟ . فقال الغلام : صوت سمعته شغلنى عن كل
شيء ، فسقط سوطى من يدى . قال أحمد : فإذا قصته قصتى ! .

هذا جانب من طرب الخاصة بالغناء . وأسوق لك هذين الحادثين لطرب
السوقة بالغناء .

شخص معبد المغني إلى مكة . وفي طريقه اشتد به الحر والعطش . وصادفه
خباء فيه عبد : فمال إليه وقال : يا هذا اسكنى من هذا الماء . فقال : لا . قلت :
فأذن لي في السكن ساعدة ، قال : لا . فأنجت ناقتي ، ولنجأت إلى ظلها فاستترت به
وأخذت أغنى .

وما سمع العبد الغناء حتى احتمل معبداً وأدخله خباءه . ثم قال : أى بابي أنت
وأمى . هل لك في سوق السُّلْطَن ^(٢) بهذا الماء البارد ؟ . قلت : قد منعوني أقل من ذلك
وشربة ماء تجزئني . قال : فسكنى حتى رويت . فاما أردت الرحلة ، قال أى بابي أنت
وأمى الحر شديد ، ولا آمن عليك مثل ما أصابك . فأذن لي أن أحمل معك قربة من
ماء على عنقي وأسعي بها معك ، فكلما عطشت سقيتك صخنا ، وغذيتني صوتاً . قال :

(١) الأغانى ج ١٠ ص ١٠٦ (٢) شعير لا قشر له ، يتبردون بسوقه فى الصيف .

قلت : ذلك لات فوالله ما فارقني يسقيني وأغنيه ، حتى بلغت المنزل .

وكان اسماعيل بن المهران^(١) معاوكاً لرجل من ولد الزبير ، فدفع إليه درهين ، يبتاع له بهما لحمًا . فلقي جارية على رأسها حرة تغنى لحننا ، فسألها أن تعامله إياها فأبى إلا أن يعطيها درهين ، فأعطتها ، ورجع إلى مولاه بغير لحم ، فضربه ضرباً شديداً ، فأنسى اللحن . وبعد أيام دفع له درهين آخرين يبتاع بهما لحمًا ولقيته الجارية ، فسألها أن تعيد الصوت . فأبى إلا بدرهين . فدفعهما إليها . وغنته الصوت ، وأعادته حتى أخذه . ورجع إلى مولاه ولا لحم معه . فسأله : ما القصة في هذين الدرهين ؟ ، وحدده إسماعيل بالخبر ، وغناء الصوت . فقبل بين عينيه ، وأعتقه .

وإذا كانت هذه حال الغناء . يطرب له العرب ، وتهزّ له قلوب الجموع ، ويصل بهم الاعجاب إلى الرقص ، أو إلى حال أخرى تدل على شيء من الخفة والطيش . إذا كانت هذه هي الحال فإنه ليس بغرير علينا أن نقرأ أخباراً كثيرة تدل على ما كان لمعتنين والمعنىات من مكان كريم في نفوس الناس جميعاً ، ملوكهم ، وأمرائهم ، وحكامهم ، وجمهورهم . يكرمونهم ، ويقدرونهم ، ويجزلون لهم العطايا . القول ما يقولون ، والرأي ما يرون . ويكتفى أن يكون أحدهم مجذواً من خليفة أو ملك ، فإذا غنى في حضرة هذا الخليفة ، أو هذا الملك حصل العفو ، بل حصل الرضا .

كانت دنانير جارية ليحيى بن خالد البرمكي ، وسمع الرشيد صوتها ، فأعجب بها ، وأشتد عجبه ، فوهب لها هبات سنية ، وهب لها في ليلة عيد عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار . وعاتبه في ذلك عمومته ، قال لهم : مالي في هذه الجارية من أرب في نفسها ، وأنا أرب في غنائهما . فاسمعوها فإن استحققت أن يؤلف غناؤها وإلا فقولوا ما شئتم . ولما سمعوها عذروه ، ولم يقولوا شيئاً .

ودخل (١) إسماعيل بن المهران على الرشيد ، وغنأه هذه الآيات :

يارأك العيس التي وفدت من البلد الحرام
 قل للإمام أبي الإمام أخى الإمام ابن الإمام
 زين البرية إذ بدا فيهم كمحابي الظلام
 قالوا: وكاد الرشيد يرقص، واستخفه الطرف حتى ضرب بيديه ورجليه، وأمر له
 بعشرة آلاف درهم .

وكان يزيد بن عبد الملك مشغولاً بحبابة المغنية . وتبنى بها عمر بن هبيرة فعلت
 منزلته ، حتى كان يدخل على يزيد في أى وقت شاء . وما زالت حبابة تدنسه
 من يزيد ، حتى أصبح والياً على بلاد العراق .

(١) وحيد سليمان بن عبد الملك . وأقام مباراة بين المغنيين ، ومن فاز أعطاها بدراة
 وغناء ابن سريج هذه الأبيات وهي لعروة بن أذينة :

سرى همى وهم المـرء يـسـرى وـغـابـ النـجـمـ إـلـقـىـسـ (٢) فـتـرـ (٣)
 أـرـاقـبـ فـيـ المـجـرـةـ (٤) كـلـ نـجـمـ تـعـرـضـ لـلـمـجـرـةـ كـيـفـ يـجـرـىـ
 لـهـمـ لـاـ أـزـالـ لـهـ مـدـيـمـاـ كـانـ القـلـبـ أـسـعـ حـرـ جـرـ
 عـلـىـ بـكـرـ أـخـىـ وـلـىـ حـمـيدـاـ وـأـيـ العـيـشـ يـصـفـوـ بـعـدـ بـكـرـ
 فـأـمـرـ سـلـيـمانـ بـدـفـعـ الـبـدـرـةـ إـلـيـهـ .

وغضب (٥) الرشيد على إبراهيم الموصلى . خبسه مدة . ثم اصطحب يوماً ، فبينما
 هو على حاله إذ تذكره . فقال : لو كان الموصلى حاضراً لانتظم أمرنا وتم سرورنا .
 قالوا يا أمير المؤمنين . أَفْيَ بِهِ ، فماله ذنب كبير . فجئ به ، ولما دخل أطرق الرشيد .
 فلم ينظر إليه . وأوْمَأَ له من حضر أن يغنى ، فغنى ، فما تمالك الرشيد أن حرك رأسه
 مراراً ، واهتز طرباً ، ثم نظر إليه . وقال : أحسنت والله يا إبراهيم . حلوا قيوده ، وغضوه

(١) البدرة : كيس فيه عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار (٢) قدر .

(٣) ما بين طرف الإبراهيم وطرف المشيرة (٤) نجوم في السماء (٥) الأغانى ج ٦ ص ٢٠٥

باخلع . فَعَلَ ذَلِكَ . فَقَالَ : يَا سَيِّدِي رَضَاكَ أُولًا . قَالَ : لَوْمَ أَرْضَ مَا فَعَلْتَ هَذَا .
وَأَمْرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمَ .

وَكَانَ عُثَمَانَ بْنَ حَيَّانَ^(١) وَالْيَائِيًّا عَلَى الْمَدِينَةِ . وَأَشَارَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ وِجُوهِ النَّاسِ
أَنْ يَصْلَحَ حَالَهُمْ مِنَ الْفَسَادِ ، وَأَنْ يَطْهُرَهُمْ مِنَ الْغُنَاءِ وَالْزِنَا ، فَأَعْلَمُ النَّاسَ بِذَلِكَ .
وَأَمْهَلُهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . وَكَانَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ غَائِبًا ، وَقَدِمَ فِي الْلَّيْلَةِ الْآخِيرَةِ ، وَدَخَلَ
عَلَى سَلَامَةَ الْقَسِّ . فَسَلَّمَ عَلَيْهَا . وَأَعْلَمَهُ الْخَبَرُ ، وَكَانَ أَنْ قَابِلَ عُثَمَانَ بْنَ حَيَّانَ ، وَتَحَدَّثَ
مَعَهُ فِي أَسْوَابِ لِبْقٍ ، حَتَّى أَذْنَ لِسَانَةَ بِالْمَلْوَلِ بَيْنَ يَدِيهِ . وَكَانَتْ تَحْمِلُ سُبْحَةً ، وَتَظْهَرُ
شَيْئًا مِنَ الْخُشُوعِ . وَكَانَ أَنْ حَادَثَهُ ، وَظَهَرَ مِنَ الْحَدِيثِ عَلَمُهَا ، وَذَكَرُوهَا ، وَقَالَ لَهَا
ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : إِقْرَأْنِي لِلْأَمِيرِ ، فَقَرَأَتْ . فَقَالَ لَهَا إِحْدِي ، فَفَعَلَتْ . فَكَثُرَ تَعْجِبُ الْأَمِيرِ .
فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : كَيْفَ لَوْ سَعَهَا فِي صَنَاعَتِهَا ! . فَفَنَتْ .

سَدَنَ خَصَاصَ^(٢) الْأَخْيَمَ لِمَا دَخَلَهُ بِكُلِّ لَبَانِ^(٣) وَاضْعَفَ وَجْهَيْنِ

فَقَامَ عُثَمَانَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، وَقَعَدَ بَيْنَ يَدِيهِ . ثُمَّ قَالَ :

لَا وَاللهِ مَا مِثْلُ هَذِهِ تَخْرُجٍ ! . قَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ :

لَا يَدْعُكَ النَّاسُ يَقُولُونَ : أَقْرَأَ سَلَامَةَ ، وَأَخْرَجَ غَيْرَهَا . قَالَ : فَدَعُوهُمْ جَمِيعًا .
وَكَانَ أَنْ تَرْكُوهُمْ جَمِيعًا .

وَلَعِلَّنَا اسْتَنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى بَيَانِ أَنَّ الْغُنَاءَ مَظَاهِرٌ مِنْ مَظَاهِرِ التَّرْفَ وَالرَّخَاءِ . وَأَنَّهُ
يُزَدَّهِرُ وَيُنَتَّشِرُ إِذَا كَانَتِ الْأُمَّةُ فِي ظَلَالِ الدُّعَةِ وَالْقُوَّةِ ، وَالسَّلَامِ . وَيُذَبَّلُ وَيَتَضَاءَلُ
إِذَا تَقْوَضَ بَنَاءَ الْأُمَّةِ . وَضَعَفَتْ أَسْبَابُ الْمُنْعَةِ وَالسِّيَادَةِ .

وَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ يُحِبُّ الْغُنَاءَ ، وَيُمْيلُ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ فِي رَغْدٍ مِنَ الْعِيشِ وَفِي نَضَارَةِ
مِنَ الشَّبَابِ . وَفِي فُسْحَةِ مِنَ الْأَمَالِ . أَمَّا إِذَا فَدَحَتْهُ الْخَطُوبُ ، وَنَكَبَتْهُ الْأَيَّامُ ،

(١) الأغانى ج ٨ ص ٣٤٢ (٢) الخصاص : المزروع .

(٣) البابان . الصدر

فأصبح يرى في نور الحياة ظلاماً ، وفي بسمة الوجود كدرًا وعبوساً ، فإن مثل هذا لا يصل الغناء إلى قلبه ، وإذا وصل فإنه لا يفتح له ، ولا يجد فيه الراحة والرقة .

ويقول ابن خلدون :

وإذا قد ذكرنا معنى الغناء فاعلم أنه يحدث في العمران إذا توافر ، وتجاوز حد الضروري إلى الحاجي ، ثم إلى الكمال ، وتغدو في ذلك . فتحدث هذه الصناعة ، لأنها لا يستدعياها إلا من فرع من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش ، والمنزل ، وغيره . فلا يطلبها إلا الفارغون عن سائر أحوالهم تفتنا في مذاهب المزدوجات .

وهذا القول ينطبق تماماً على العرب وهم في العصر الأموي ، وفي العصر العباسي .

أما في العصر الأموي فقد كان عرب الحجاز على جانب من الثراء ، والدعة ورغبة العيش ، ولهذا ذاع بينهم الغناء ، كما ذاع الفرزل ، وسبعين ذلك .

وكانت الدولة قد استتب لها الملك ، وعاد إليها من فتوحاتها ، شيء كثير من القوة ، والرخاء ، وجني ثماره .

وزادت هذه الأسباب في العصر العباسي ، كما زاد اختلاط العرب بالفرس ، وكان لهؤلاء أثر جم في انتشار الغناء ، وفي تقدمه ، ورواجه .

أما في العصر الجاهلي فقد كان غناء . لأن العربي في هذا العصر وإن لم يبلغ ما بلغه في العصر الأموي والعصري من الرخاء والأمن ، وجاه الملك ، واختلاطه بأمم أخرى ، ولكنه مع ذلك قائم بعيشه ، لا يجد في الحصول على قوتة عناء ، يحبس نفسه ، ويذكر صفاءه . وترى لهذا غرداً طروباً . وكان حداء الإبل ، وهو نوع من الغناء . وكان النواح ، وهو قريب من الغناء ، أو هو ناحيته الكدراء العابسة . إذن كان الغناء منذ العصر الجاهلي ، ولكنه ليس على غرار ما نرى في العصر الأموي ، والعصري في كثير من التواحي .

ويختل إلى أن بين الفرزل والغناء آصرة تجعلهما متلازمين ، كأنهما نوع واحد ،

أو نوعان ، يغنى أحدهما الآخر ، ويكون عوناً له ويداً .

فالغناء يجده مادته في شعر الغزل ، والغناء يكون حلاً جميلاً إذا كان الصوت عذباً ، وإذا كان اللفظ حبيباً ، والمعنى رائعاً ، وكان صاحب الغناء جميلاً جذاباً .

قال ثعامة بن أشرس :

كنت عند المؤمن يوماً فاستأذن الغلام لمير . فكرهت ذلك . ورأى المؤمن الكراهة في وجهي . فقال : يا ثعامة ما بك ؟ . قلت يا أمير المؤمنين إذا غنى عمير ذكر مواطن الإبل ، وكشبان الرمل ، وإذا غنتنا فلانة ؛ انبسط أملي ؛ وقوى جذلي . وانشرح صدرى ، وذكريت الجنان والولدان . كم بين أن تغنيك جارية غادة ؛ كأنها غصن بان ؟ ترنو بمقفلة وسنان . كأنما خافت من يافوته . أو خرطت من فضة ؛ بشعر عكاشة القيني ؟ حيث يقول :

من كف جارية كان بنانيا من فضة قد طوقت عنديا (١)
فكأن ينهاها إذا ضربت بها أفت على الكف الشحال حسليا
وبين أن يغنيك رجل كث الاحية ؛ غلين الأصابع ، خشن الكف ؛ بشعر
ورقا ابن زهير حيث يقول :

رأيت زهيراً تحب كل كل خالد فأقبلت أسعى كالهبوول أبادره
وبين أن يحضرك ما تشتت النظر إليه ؛ ومن لا يقف طرفاك عليه ؟ فتبسم المؤمن ،
وقال : الفرق بينهما واضح ؛ وللنوح فسيح . ياغلام لاتاذن له . وأحضر أطيب فيناته
فظللنا في أمتع يوم .

وفي هذا المعنى يقول أبو بكر الشولى :

وغناء أرق من دمعة الصب وشكوى المقيم المهجور
شغل المرأة ، منظر ، ثم نطق فهو يصدى بظاهر وضمير

(١) العناب : شجر حبه سكب الزيتون أحمر حلو .

كل هذه الأسباب تجدها ظاهرة في الغزل ، ففي شعره أكثر الألفاظ حياة ، وأكثر المعاني روعة ؛ ولذلك غنى المغنون ؛ وغنت المغنيات بشعر الغزل ؛ وقل أن نجد غناء في غير شعر الغزل . وطبعى أن يكون ذلك فالغناء بهجة ، وطرب ، ومتعة ، والغزل بهجة وطرب ومتعة ؛ فلابد أن يجد الغناء من شعر الغزل ما يجعله أكثر بهجة وطرباً ومتعة .

ولهذا كان الغناء في باب الغزل دون سائر أبواب الشعر . إذ أنه ليس في أبواب الشعر الأخرى مجال من البهجة والطرب والمتعة . وأى طرب أو متعة نجد لها في الرثاء والزهد والهجاء ، والوصف والفخر ، والمدح ؟ . وإن كان هناك غناء في باب المدح فهو غناء يقصد به القربى إلى المدح ، وهو في العادة يكون ملكاً أو أميراً ، أو حاكماً ، فإذا سمع من يغنى بمدحه أجزل له المطاء ، ومدلله في البذل . وإن كان هناك غناء في الفخر فهو غناء يقصد به حفظ الهمم وبعث العزائم ، والإشادة بفضل الآباء والأجداد ، حتى يجد فيهم الأبناء والأحفاد القدوة الصالحة . وهذا الغناء تحتاج إليه الأم في دائرة ضيقه محدودة ، ولملك ترى أن الغناء في باب المدح والفخر وإن كان قليلاً يسيراً . ولكنه لا يكون باعثاً إلى المتعة والطرب كما يكون الغناء في شعر الغزل .

وقد يكون من أسباب ذلك : أن في الغزل خفة ونشوة ، تصل إلى الأسماع فترق لها وتطرب . وفي الغزل حياة حلاوة جميلة ، تعيش فيها . قلوب المحبين ، وهي غردة مبتهجة ، ومن ذا الذي لا تروقه تلك الحياة ؟ وفي الغزل ذكريات ، يصف فيها الشعراء حال المحبين . وقد يجد الناس فيها صوراً من حياتهم التي نعموا فيها بظلال الحب . فهم يطربون ويسعدون لأن هذه الحال توافق حالمهم ، ولأن هذا الشعور صورة من شعورهم ، وكان الشاعر عندهم بقوله ، وكان المغنی راح يغنيهم بما في هوى نفوسهم ، وإذا فات فريق من الناس أن ينعموا بظلال الحب فإنهم حين يسمعون شعره ، وحين يسمعون غناء في هذا الشعر ، يتهجون ولو على الأقل أكثر من ابهاجهم في أي غناء

من أى باب من أبواب الشعر الأخرى .

خرج الوليد بن يزيد إلى الصيد ، ومهه يزيد بن ضبة الشاعر ، وأصحاب الوليد
في يومه صيداً حسناً ، وطلب من يزيد أن يصف فرسه ، وصيده اليوم ، فقال في ذلك
قصيدة حلوية ، لم يبدأها بالنسبة ، فقال له الوليد : أحسنت يا يزيد الوصف ،
وأجدتها ، فاجعل لقصيتك تشبيهاً ، وأعطيه الغزال عمر الوادي حتى يغنيها .

قال :

إلى هند صبا قابي وهند مثلها يُصْبِي
وهند غادة غيداً من ^(١) جرثومة غالب
وما أن وجد الناس من الأدواء كالحب
لقد لجّ بها الإعرا ض والهجر بلا ذنب
ولما أقض من هند ومن جاراتها تتحجّي ^(٢)
إلى أبيات أخرى ، دفعها إلى المغنين ، فغنوه بها .

وقد قلنا : إن الغناء في غير الغزل قليل ، وذكرنا فيما سبق بعض الأمثلة ، ومن
هذا أيضاً أن غنى سليم بن سلام قول محمد اليزيدي في مدح الخليفة :

أتيتك عائذًا بك من — لك لما صافت الحيل

وحيرني هواك وبي لحيفي يضرب المشل
فإن سلمت لكم نفسى فما لاقيته جمل
وإن قتل الموى رجلاً فإني ذلك الرجل

ومات يزيد بن الملك ، ورزقت سلامه القس في موته ، فبكنته بهذه الأبيات ،
ونغتها ، فكان الرثاء مبكياً ، كما كان الغناء موجعاً .

(١) من أصل كريم (٢) حاجي .

وَفَعْلٌ مُّثِلٌ ذَلِكَ إِسْحَاقُ الْمُوَصَّلِيُّ حِينَ مَاتَ الرَّشِيدُ ، فَغَنِيَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

قد لعمرى بت ليملى	كأخى الداء الوجيع
ونجى" الهم منى	بات أدنى من ضلوعى
كلما أبصرت ربعاً	دارسا فاضت دموعى
مقفراً من سيد كا	ن لنا غير مُضيّع

卷之三

ورأينا في كتب الأدب أن كثيراً من الملوك والخلفاء تكون لهم حال من الحب مع إحدى النساء ، ويطلبون من الشاعر أن يصف هذه الحال ، ثم يطلبون من يغزها وهم في مجلس من مجالس اللهو والطرب ، فيكون هذا حلاً جميلاً .

ورأينا كذلك أن الصوت الجميل ، وأن المغنية إذا كانت حلوة وسيرة أناقت في نفوس الشعراء عاطفة ، تدفعهم إلى أن يقولوا فيها الشعر ، يصفون حسنهما وروعيتها : حسن الجمال وروعه الفن في الغناء .

ويخلو المنهنية وقد حمل الشعر وصفها وحسنها وسيرتها أن تبدع ما شاء لها الإبداع
والإتقان في أن تفني هذا الشعر على أحسن صورة من النغم ، والجرس .

ورأينا أن كان بعض المغنيات يرجون بعض الشعراء في أن يقولوا فيهن قولًا رقيقاً،
وطبعى أن يكون لهن في هذا الغزل مادة لغنائهن ، والغناء قريب إلى النفوس ،
قربها إلى ما يشوق الماطفة من فرح وطرب ، ويهز القلب من أنس وسرور ، ولذا
نرى الناس جميعاً — ما بعده عنةم مكاره الحياة — يستمعون إلى الغناء ،

ويرددون النغم الحلو الجميل حين يخالون إلى نفوسهم ، وحين يهتز بهم الإحساس إلى مظاهر البهجة والغبطة . وقد قلنا إن بين الفنان وشعر الغزل آصرة قوية ، وإن الفنان يجد في شعر الغزل زاده ومدّه ، لهذا كان من الطبيعي أن تتأثر بما يحمله إلينا الفنان من شعر الغزل ، تتأثر به في كل نواحيه . نعجب بالفاظه ومعانيه ، ونتذاكر أحوال الحسين ، ونتدارس تارikhem ، ونعرض أمامنا صفحات من أعمال الهوى ، ونتصور ما فيها من حلاوة أو سراقة ، ونقف حول ذلك موقف من الإعجاب ، والتحليل ، ومواقوف من النقد والدرس ، ونجاول أن نجد لها في نفوسنا ما يوافها ، حتى تكون أكثر روعة وجمالا ، أو لعلها في الحق الواقع تمثل حالا من أحوالنا ، فتكون حينذاك حاوية ، كأنها قيلت وصفاً لحالنا ، وكم يشوق النفس كل ما يتصل بها ! . وكانت سلامـة القـس عذبة الصوت ، كما كانت فاتنة الحسن والجمال ، وأثار هذا في نفس القـس الإعجاب بها ، بل والهياق بها ، فمدحها بـشعره؟ وسألـها أن تغـنيه فـفعلـت :

ما بال قلبك لا يزال يهـمه ذـكر عـاقـب غـيـرـن سـقـام
إنـالـقـ طـرقـكـ بـيـنـ رـكـابـ تـمـشـيـ بـعـزـهـرـهـاـ (١)ـ وـأـنـتـ حـرامـ
لـتـصـيـدـ قـلـبـكـ أـوـ جـزـاءـ مـوـدـةـ إـنـ الرـفـيقـ لـهـ عـلـيـكـ ذـمـامـ
ومـدـحـهـاـ الأـحـوصـ بـهـذـهـ الـأـبـيـاتـ فـعـنـهـاـ :

سلامـهـلـلـقـيمـ تـنـوـيلـ أـمـ قدـ صـرـمـتـ وـغـالـ وـدـكـ غـولـ
لاـ تـصـرـمـىـ عـنـىـ وـلـاـكـ إـنـهـ حـسـنـ لـدـىـ وـإـنـ بـخـلـتـ جـهـيلـ
أـزـعـمـتـ أـنـ مـوـدـتـ وـصـبـاـبـتـ كـذـبـ وـأـنـ زـيـارـتـ تـقـليلـ
وـقـلـ أـنـ تـجـدـ مـغـنـيـةـ لـمـ تـجـدـ مـنـ الشـعـرـاءـ مـنـ تـغـزـلـ بـهـاـ ،ـ وـوـصـفـ فـيـ شـعـرـ حـسـنـهـاـ
فـالـصـوـتـ ،ـ وـحـسـنـهـاـ فـيـ الـبـدـنـ ،ـ وـحـسـنـهـاـ فـيـ غـيرـهـذـينـ .

يقول عبد الرحمن بن أرطاة في جميلة - مولاية بني سليم - وقد تزوجت من موالى

ابن الحارث بن الخزرج :

(١) الزهر : آلة الطرب المعروفة بالعود .

إِنَّ الدَّلَالَ وَحْسَنَ الْغَنَى
وَتَلَكُّمَ جَيْلَةَ زِينَ النِّسَاءِ
إِذَا هِيَ تَزَانُ الْمَخْرَجَ
إِذَا جَئَتْهَا بَذَلَتْ وَدَهَا
وَكَانَتْ مَقِيمَ الْمَهَامِيَّةِ لَا تَخْرُجُ إِلَّا مَتَنَفِّيَّةَ، وَقَدَمَتْ يَوْمًا إِلَى ابْنِ عَبْيَدِ اللَّهِ بْنِ
الْحَسِينِ الْعَنْبَرِيِّ الْقَاضِيِّ، فَاحْتَاجَ إِلَى أَنْ يَشَهِّدَ عَلَيْهَا، فَأَمَرَّ بِهَا أَنْ تَسْفَرَ، فَفَعَلَتْ
فَقِيلَ لِعَبْدِ الصَّمْدِ بْنِ الْمُعَدَّلِ — وَكَانَ يَهْوَاهَا — لَوْرَأْيَتْ مَقِيمَ وَقَدْ أَسْفَرَهَا الْقَاضِي
لِرَأْيِتْ شَيْئًا عَجِيبًا ! فَقَالَ :

وَلَا سَرَتْ عَنْهَا الْقَنَاعَ مَقِيمَ
رَأَى ابْنَ عَبْيَدِ اللَّهِ وَهُوَ مُحَكَّمَ
وَكَانَ قَدِيمًا كَالْعَوْجَهِ عَابِسًا
فَإِنْ يَصْبِرْ قَلْبُ الْعَنْبَرِيِّ فَقَبْلَهِ
تَرَوْحُ مِنْهَا الْعَنْبَرِيِّ مَتَيَا
عَلَيْهَا طَرْفًا عَلَيْهِ مُحَكَّمَا
فَلَمَّا رَأَى مِنْهَا السَّبُورَ تَبَسَّمَا
صَبَا بِالْيَتَامَى قَلْبُ يَحِيَّى بْنِ أَكْثَارَا
وَقَالَ^(١) هَارُونَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَبْدَ الْمَلَكَ — ابْنَ ذِي الْزَوَانِدَ — فِي بَصِيصَ

جَارِيَةَ ابْنِ نَفِيسِ :

بَصِيصَ أَنْتَ الشَّمْسُ مِنْ دَانَةِ
سَبِيحَانَكَ اللَّهُمَّ مَا هَكُذَا
إِذَا دَعَتْ بِالْعَوْدِ فِي مَشْهَدِ
غَذَتْ غَنَاءً يَسْتَفِرُّ الْفَقِيْحَ
فَإِنْ تَبَدَّلَتْ فَأَنْتَ الْمَلَالِ
فِيهَا مَضِيٌّ كَانَ يَكُونُ الْجَمَالِ
وَعَاوَنَتْ يَمِنَى يَدِيهَا الشَّمَالِ
ذَفَّاً وَزَانَ الْحَدْقَ مِنْهَا الدَّلَالِ

وَقَالَ^(٢) الْعَبَاسُ بْنُ الْأَحْنَفَ فِي عِنَانَ جَارِيَةِ النَّاطِفيِّ :

لَوْ تَجْوِدِينَ لَصَبَّ
رَاحَ ذَا وَجْدَ شَدِيدٍ
وَأَخْيَ جَهَلَ بِمَا قَدِ
لَيْسَ مِنْ أَحْدَثِ هَبَرَا لَصَدِيقَ بَسَدِيدٍ

(١) نَهَايَةُ الْأَرْبَعَ جَهَ صَ ٨٠ (٢) نَهَايَةُ الْأَرْبَعَ جَهَ صَ ٧٣

ليس منه الموت إن لم تصليه بيعي
وقال إبراهيم الموصلى في ذات الحال شعراً كثيراً ، غنى فيه ، منه :
أذاتَ الحال قد طالْ بمنْ أستقْمِنَه الوجعُ
وليس إلى سواكم في الـ ندى يلقي له فـزعَ
أما يمنعك الإسـلاـ م من قتـلـي ولا الورـعـ
وما ينفكـ لـ فيـكـ هـوى تـفـتـرـهـ خـدـاعـ
ويقولـ :

جزى الله خيراً من كلفت بمحبه وليس به إلا التهوة من حُبِي
و قالوا قلوبُ الغانياتِ رقيقةٌ
فما بال ذاتِ الحال قاسية القلب
وفال عقیدَ مولى صالح بن الرشيد في دنانير :

يا دنانيير قد تنكر عقلی
شغف شافعی إليك ولا
أنا بالله والأمير وما آ
ما أحب الحياة ياحب إن لم
يجمع الله عاجلا بك شهيلي
وقول ابراهيم بن المدبر في عبس :

ألا يا عَرِيبُ وَقِيتَ الرَّدِي
 فَإِنَّكَ أَصْبَحْتَ زِينَ النِّسَاءِ
 فَقَرْبُكَ يَدْنِي لِذِيَّدِ الْحَيَاةِ
 فَتَعَمَّلُ الْأَنْيَسُ وَنَعَمَ الْجَلِيسُ
 وَبِقُولِ الْقَسْرِ فِي سَلَامَةٍ :
 وَجَنَّبَكَ اللَّهُ صَرْفَ الزَّمْنَ
 وَوَاحِدَةَ النَّاسِ فِي كُلِّ فَنِّ
 وَبَعْدُكَ يَنْفِي لِذِيَّدِ الْوَسْنِ^(١)
 وَنَعَمَ السَّمِيرُ وَنَعَمَ السَّكَنُ

أهابك أن أقول بذلت نفسى ولو آتى أطیع القلب فالأ

(١) الوسن : فتور ينقدم النوم

حياة منك حتى سُلْ جسمى وشقّ على كهانى وطلا

ويقول ابن الروى في وحيد المغنية :

فؤادى بها مُعنى عَيْد
ومن الطبى مقلنان وجيد
دين ذاك السواد والتوريد
وهي لعاشقين جهد جهيد

يا خليلي ! تيمتنى وحيد
غادة زانها من الفصن قد
وزهاها من فرعها ومن الخ
فهى برد بخندها وسلام

ويقول في مظلومة :

مظلوم ما أنت بظالمـة في حكم أهل الشرق والغرب
بل إنما المظلوم عبد لكم أصبح مقتولا بلا ذنب

هذا جانب من الغنـيات . وجـانب من الغـزل فيـهن . وهـناك مـغنيـات أـخـريـات .
ما زـهـن الله بـحظـ من الجـالـ . من أمـثالـ : عـزـةـ المـيلـاءـ . وـحـبـابـةـ . وـدـقـاقـ . وـقـلمـ الصـالـحـيـةـ
وـشـارـيـةـ . وـبـذـلـ . وـمحـبـوـةـ .

وبجانب هذه الكثرة من المغنيـات نـرى من مشـهـورـيـ المـغـنـينـ أمـثالـ :

سعـيدـ بنـ مـسـجـحـ . مـعـبدـ . الفـارـيـضـ . مـحـمـدـ بنـ عـائـشـةـ . ابنـ حـرـزـ . ابنـ سـرـيـجـ .
مـالـكـ بنـ أـبـيـ السـمـعـ . يـونـسـ الـكـاتـبـ . حـنـينـ . سـيـاطـ . عـمـرـ الـوـادـيـ . ابنـ جـامـعـ . يـحيـيـ .
ابـنـ مـرـزوـقـ . يـزـيدـ حـوـراءـ . فـلـيـحـ . اـبـرـاهـيمـ الـمـوـصـلـيـ . اـسـحـاقـ بنـ اـبـرـاهـيمـ . عـلـوـيـةـ .
مـحـدـدـ بنـ الـأـشـعـثـ . عـمـروـ بنـ بـانـهـ .

فـهـؤـلـاءـ جـمـيعـاـ منـ مـغـنـيـاتـ وـمـغـنـيـاتـ لـهـمـ أـثـرـ كـبـيرـ عـلـىـ الغـزلـ ، فـهـمـ قدـ نـشـرـواـ
فـيـ أـغـانـيـهـمـ رـقـةـ الغـزلـ ، وـعـاطـفـتـهـ بـيـنـ القـلـوبـ ، فـراـحتـ بـهـاـ مشـوـقـةـ طـرـوـبـةـ ، وـكـثـيرـ
مـنـ هـؤـلـاءـ شـعـرـاءـ ، وـأـكـثـرـ شـعـرـهـمـ فـيـ الغـزلـ ، يـلـعـبـونـهـ ، وـيـبـعـثـونـهـ إـلـىـ الـأـفـئـدةـ
وـالـأـسـعـاءـ نـهـاـ حـلـواـ لـذـيـداـ ، وـكـثـيرـ مـنـ شـعـرـاءـ الغـزلـ كـانـ شـعـرـهـمـ أوـ طـائـفةـ مـنـهـ وـحـيـاـ
مـنـ هـؤـلـاءـ المـغـنـينـ وـالـمـغـنـيـاتـ . ذـلـكـ أـنـهـمـ أـنـسـواـ إـلـيـهـمـ ، وـطـرـبـواـ إـلـىـ غـنـيـهـمـ ، فـتـسـابـقـواـ

في أن ينظموا الشعر ، حتى يكون غناء ، يحمله الآثير إلى كل مكان ، وإلى كل قلب .
وإن الملوك والحكام كانت لهم أحوال وأسباب ، أكثرها في الحب والهوى ، أرادوا
أن يسجلها الشعر ، وأن ينقلها الغناء ، فكان لهم ما أرادوا ، ومنه الشيء الكثير .
أما المغنيات فكان لهم فوق ذلك أثر آخر ، هو أنهن كن جميلات ، فاتنات في الحسن ،
فاجتمع حولهن الشراهم ، فظربوا بحلمن ، وعدوته غنائم ، فاهتزت قلوبهم
— وهي حساسة مرهفة — بالشعر ، وكان جيلا ، جمال المغنيات . عذبا ،
عدوته الخائنة .

وأمل هذا كله يفسر لك أن بين الغناء والغزل آمرة قوية ، تجمعهما في رباط
وثيق . وحيث يكون الغناء يكون العزل .

البَابُ الْثَالِثُ

شُعْفُ الْعَرَبِ بِالْغَزْلِ

كان الغزل في الشعر حبيباً إلى نفس العربي ، قريباً إلى هواه منذ القدم ، وما زال ينمو ويرق بنمو الزمن ورق الحضارة ، حتى وصل إلى غايتها في العصر العباسي .

ولعله يصور لك هذا الحب قول محرز العكلي :

يظل فوادي شاخصاً من مكانه لذكر الفوانى مستهاماً متيناً

إذا قلت: مات الشوق مني، تنسمت به أريجيات المسوى فتنسما

وقول مجذون بن عامر :

فلا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر حبيباً ولم يطرب إليك حبيب

وقول غيلان الثقفي :

وإذا كات النسيب بسامي لدّ في سلامي وطاب النسيب

وقول كثير :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الموى فكن حجرأً من يابس الصخر جاماً^(١)

وكان^(٢) المفضل الضبي يسير مع المهدي فسألة أن يحدثه حديثاً عجيباً، فسأل المفضل:

أى الحديث عجيب؟

قال المهدي : حديث النساء .

(١) الأمالى ج ٢ ص ٢٦ (٢) - المفضليات - مقدمة من ٨

لا يكاد يخوا شاعر في كل عصر من أن يجول في الغزل وأن يكون له فيه حظ
يتناسب هواه ، وهوئ جميرة الناس ، التي تسمع شعره ، وتعجب به .
ولاتكاد تخوا قصيدة من بدئها بالغزل ، عدا قصائد الرثاء . فإن لها شأنًا من الحزن
والبكاء لا يوافق شأن الغزل من بهجة ومتعة وسرور .

وقد ذكر ابن قتيبة ، كما قلنا ، العلة في ذلك والدافع الذي أوحى إلى العرب أن يسيراوا
على هذا الفرار . حتى الهجاء كثيراً ما نرى الشاعر يقدمه بأبيات من الغزل . وعلة
ذلك أن الغزل يصل إلى السمع ثم إلى القلب فيكون بردًا وسلاماً ، حتى إذا جاء الهجاء
كان قاسياً مقدعاً عنيفاً .

وقد أشار إلى هذا المعنى ابن الرومي في قوله^(١) :

ألم تر أنى قبل الأهاجي أقدم في أوائلها النسيبا
لتغمرق في المسامع ثم يتلاو بهائى ثم رقا يكوى القلوب با
كساعة أتت في إثر غيث ونحكت البيض يتبعه التمبيضا
حدثنا على بن يحيى المنجم قال : سمعت من لا أحسن من الرواة يقولون : أحسن
الناس ابتداء قصيد في الجاهلية اسرؤ القيس ، حيث يقول :
ألا عِمْ صبا حَّا أَيْهَا الطَّالِ الْبَالِ
وحيث يقول :

فَفَانِيكَ مِنْ ذَكْرِي حَسِيبٍ وَمَنْزِلٍ
وَفِي الإِسْلَامِيْنِ الْفَطَّامِيِّينِ حيث يقول :

إِنَّا نُحَمِّلُكَ فَاسْلِمْ أَيْهَا الطَّالِ
وفي المحدثين بشار حيث يقول :

أَبِي طَالِبٍ بِالْجَزْعِ أَنْ يَتَكَلَّا وماذا عليه لو أجاب متقى

(١) ديوان ابن الرومي ص ١٣٥

وبالفرع آثار هند وباللوى سلاعْبٌ ما يُعرفن إلا توهماً

وحدث على بن يحيى المنجم وإن كان متوجهًا إلى بيان حسن البد، في القصائد ولكن بجانب ذلك بيان إلى أن بداية هذه القصائد كلها كانت غزلًا، وكانت تصويراً دقيقاً لناحية من نواحي الغزل، وعن بقاء الأطلال والدمن.

وقد من شأن يزيد بن حبيب الشاعر كان مع الوليد يوماً في صيد، وصفه في قصيدة عصماء. ولكن لم يبدأها بالنسبي، فردها الوليد، ليجعل في أولها تشبيهاً حتى يغنى به، وكان أن فعل.

وكان الرشيد^(١) يستقبل الشعراء بالرقة في يوم جمعة، وكانوا ثمانية. فأخذوا ينشدونه ولما جاء دور أشجع السلمي، وكان قد نظم قصيدة في مدحه وابتداها بالنسبي كا هي العادة — وكان وقت الصلاة قد أزف وخاف إن أنشده القصيدة من أولها حانت الصلاة ولم يسمع ماقاله فيه مدحًا ترك التشبيب وأنشده من وضيع المديح، فضحك الرشيد وقال له: خفت أن ينحوت وقت الصلاة فينقطع المديح عليك، فبدأت به وترك التشبيب، وأمره بأن ينشد التشبيب، فأنشده إياه. فأمر لكل شاعر بعشرة آلاف درهم، وأمر لأشجع بضعها.

وقد بلغ حبهم لغزل أنهم يؤثرون الشاعر ويقدمونه ويفضلونه إذا كان ذا حظ من الغزل والنسيب. وقد اختلف علماء الأدب كثيراً في أول الشعراء أفضل: «جرير والفردق والأنططر». دأثر جماعة جريراً على صاحبيه. وكان الذي جعلهم يحكمون له بالغلبة والسبق أنه كان في الغزل محلياً محبوداً.

ولعل أبلغ دليل على تقدير شعراء الغزل وعلى تكرييمهم حتى وهم أموات ما حدثنا

به هشام بن عبد الملك الخراوي قال:

كنا بالرقة مع هرون الرشيد فكتب إليه صاحب الخبر بموت الكسائي وإبراهيم

الموصلى والعباس بن الأحنف في وقت واحد، فقال لأبنه المأمون : اخرج فصل عليهم .
خرج المأمون في وجوه قواده وأهل خاصته وقد صفووا له . فقالوا له من ترى أن يقدم ؟
قال الذي يقول :

يا بعيد الدار عن وطنه هائماً يبكي على شجنه
كما سجدَ البكاء به زادت الأسقامُ في بدنِه
قيل له : هذا . وأشاروا إلى العباس بن الأحنف فقال : قدموه . فقدم عليهم .
بل قد وصل بهم الأمر حيناً من الزمن أنهم كانوا يتفاخرون . وأن قبيلة غلبت في هذا
التفاخر قبيلة أخرى لأنها رزقت شاعراً كان مجيداً في الغزل .
سئل رجل من قبيلة عذرة^(١) : أتم أرق قلوبًا أم بنو عامر؟ قال :
إنا لأرق الناس قلوبًا ، ولكن غلبتنا بنو عامر بمجدهم .
بل هذه عِشْرِقَةُ الْحَمَارِيَّة^(٢) ، وكانت ظريفة وفيها بقية من الشباب ، تفاخر بأنه
كان لها الغلبة والسبق في حلبة الهوى . قالت :

جريت من العشاق في حلبة الهوى ففتقهم سبقاً وجئت على رسلي
فما لبس العشاق من حمل الهوى ولا خلعوا إلا الشياطَ التي أبلى
ولا شربوا كأساً من الحب مُرَّةً ولا حلوةً إلا شرابُهُمْ فضلي
كما بلغ من جهم للغزل أن تنتقل أشعاره إلى أسماءهم في سرعة خطأه فيتناشدوها
في كل حفل وناد ، ويتدَاكروا أخبارها وحوادثها ، ويتدارسوها بحثاً وتحليلاً .
أما شفف نساء العرب بشعر الغزل فلا يحتاج إلى بسط أو بيان .

فالغزل وإن كان فيه تشمير بالمرأة ، وهذا ينافي ماطبع عليه العربي من الحافظة على
العرض ، فإن فيه إشهاراً لها ، وإشادة بمحاسنها ، وتكريراً لفعاليها . وكم أصابت من ذلك خيراً !
وإذا كان حب الثناء من طبيعة الإنسان فهو في طبيعة المرأة أقوى

وأكثـر ، فالغـيرة تدفعـها إـلـى أـن تكونـ خـيرـاً مـن غـيرـها ، والـدلـال يـدفعـها إـلـى أـن يـكونـ
حـظـها مـن الجـمال لـا يـدـانـيه حـظـ . وـكـم رـأـيـنا مـن نـسـاء بـارـعـات فـي الـحـسـن ! لـم يـجـدـنـ التـقـديرـ
وـالـإـعـجابـ ، فـذـبـلتـ نـصـارـاةـ حـسـنـهـنـ ، وـتـهـلـ غـصـنـ هـذـا الجـمالـ النـزـىـ كـانـ قـائـماًـ مـيـادـاًـ .
تـسـمـعـ المـرـأـةـ الـعـرـبـيـةـ شـعـرـ الغـزلـ ، وـهـيـ بـحـكـمـ فـطـرـتـهاـ ، وـبـحـكـمـ تـرـيـتهاـ ، وـبـحـكـمـ ماـيـحـيطـ
بـهـاـ مـنـ مـقـضـيـاتـ الـبـيـئةـ ، تـنـدوـقـ هـذـا الشـعـرـ وـيـصـلـ إـلـىـ سـعـمـهاـ ، ثـمـ إـلـىـ قـلـبـهاـ ، فـتـعـجـبـ بـهـ
وـتـطـرـبـ . وـإـذـاـ كـانـ هـذـا الشـعـرـ مـقـولـاـ فـيـ غـيرـهاـ فـلـمـ لـاـ يـقـالـ فـيـهاـ ؟ أـلـيـسـ بـذـاتـ حـسـنـ
وـجـهـالـ ؟ فـلـمـ لـاـ يـتـحدـثـ الشـعـرـ عـنـ حـسـنـهاـ وـجـهـالـهاـ ؟ أـلـيـسـ بـذـاتـ زـهـوـ وـدـلـالـ ؟
فـلـمـ لـاـ يـتـرـجـمـ الشـعـرـ عـنـ زـهـوـهاـ وـدـلـالـهاـ ؟
وـمـاـ السـبـيلـ إـلـىـ ذـلـكـ ؟

إـنـهـاـ لـاـ تـحـجـبـ نـفـسـهاـ ، بـلـ تـكـشـفـ عـنـ وـجـهـهاـ الـمـشـرـقـ الـوضـاحـ .
إـنـهـاـ لـاـ تـقـيمـ فـيـ دـارـهـاـ . بـلـ تـنـقـلـ ، وـتـسـافـرـ ، وـتـرـتـحلـ .
إـنـهـاـ تـنـهـبـ إـلـىـ الـحـجـ فـيـراـهاـ الشـعـراءـ ، وـيـتـحدـثـونـ عـنـ جـهـالـهاـ .
إـنـهـاـ تـجـلسـ فـيـ الـتـنـزـهـاتـ وـلـاـ تـرـىـ مـنـ الـحـرـجـ أـنـ تـدـعـوـ شـاعـرـاًـ مـنـ شـعـراءـ الغـزلـ
تـسـمـعـ إـلـىـ شـعـرهـ فـيـهـزـ قـلـبـهاـ بـخـفـقـةـ الـحـبـ . وـتـلـكـ هـىـ أـمـنـيـةـ الـحـيـاةـ .
وـإـذـاـ كـانـ الرـجـلـ الـعـرـبـيـ مـشـغـوـلـ بـحـبـ الغـزلـ لـأـنـهـ صـافـ الـذـهـنـ ، مـتـوـقـدـ الطـبـعـ ، رـقـيقـ
الـعـاطـفـةـ ، فـالـمـرـأـةـ الـعـرـبـيـةـ أـكـثـرـ شـغـفـاًـ بـهـ ، لـأـنـهـاـ أـكـثـرـ صـفـاءـ وـأـشـدـ توـقـداًـ ، وـأـقـوىـ
حـسـاسـيـةـ . لـذـلـكـ كـنـ يـسـتـمـعـنـ إـلـىـ شـعـرـ الغـزلـ ، يـنـدوـقـهـ وـيـتـدارـسـهـ كـاـيـتـدارـسـهـ الرـجـالـ .
هـذـهـ عـائـشـةـ^(١) بـنـتـ طـلـحةـ بـعـدـ أـنـ تـأـيـمـتـ ، كـانـتـ تـقـيمـ بـعـكـةـ سـنـةـ وـبـالـمـدـيـنـةـ سـنـةـ
وـتـخـرـجـ إـلـىـ مـالـهـاـعـظـيمـ بـالـطـائـفـ ، وـقـصـرـ كـانـ لـهـاـ هـنـاكـ ، فـتـنـزـهـ فـيـهـ وـتـسـمـعـ إـلـىـ النـمـيـرـىـ
حـيـثـ يـنـشـدـهـاـ الـكـثـيـرـ مـنـ أـشـعـارـ الغـزلـ .

(١) الأـلـغـانـيـ جـ ٦ مـنـ ٢٠٣

(٢) مـاتـ عـنـهـاـ زـوـجـهـاـ وـلـمـ تـنـزـوـجـ سـواـهـ .

وهند^(١) والباب خرجتا إلى متزه لها بالعقيق وبينماها تتحدثان إذ أقبل خال القسرى فنیاه الأمانى إذا هو أحضر عمر بن أبي ربيعة، وكان أن حضر عمر وجلس يتحدث إليهن وإلى سائر النساء في هذا المكان وينشد هن من شعره الغزلى حتى المساء. وغاضرة^(٢) أم ولد لبشر بن مروان كانت بالمدينة وقد مرت بها السائب راوية كثير، ولما عرفت أنه من أهل الحجاز سأله : هل يروي لكثير شيئاً؟ قال : نعم . قالت : أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحب إلى من أن أرى كثيراً ، وأسمع شعره . وفي نهاية الخبر رغبت إلى كثير وكان مع السائب أن يخرج إلى العراق ، ويلقي بشر بن مروان ، وتضمن له إن فعل مائة ألف درهم . ثم أعطته عشرة آلاف درهم وأعطت السائب خمسة آلاف درهم .

وهذه^(٣) عنبرة بنت شرحبيل يلتقي بها امرؤ الفيس مع صاحبات لها من نساء العرب ويحتمل عن به بعد أن ترك غدير « دارة جلجل » وفي هذا المجلس كان طعام ، وكان شراب ، وكان حديث لهو وغزل ومحون .

وزر المرأة العربية تفري الشاعر العربي بشتى الوسائل حتى يكون لها الحظوة في أن يشبع بها ، وأن ينقل الشعر إلى أسماع الناس وأفلاستهم اسمها وذكراها . كانت بلال^(٤) امرأة ينزل بها الناس فنزل بها رجلان من قريش ، كما نزل نصيب الشاعر . أما القرشيان فقد أعطيها جزاء نزوتها مالا . ولم يكن مع نصيب شيء ، فقال لها : اختارى إن شئت أن أضمن لك مثل ما أعطيتك إذا قدمت ، وإن شئت قلت فيك أية أنت تدفعك . قالت : بل الشعر أحب إلى ف قال : —

ألا حي قبل البين أم حبيب
واين لم تكن منا غداً بقريب
لئن لم يكن حبيبك حبّاً صدقته
فا أحد عندى إذا بحبيب

(١) الأغانى ج ١٩ ص ٥٦

(٢) الأغانى ج ١ ص ٣٤٦

(٣) آداب اللغة العربية ج ١ ص ١٠٤

تهام^(١) أصابت قلبه ملائكة^(٢) غريب الموى، ياويخ كلّ غريب
 وحيجت أم المؤمنين^(٣) بنت عبد العزيز بن مروان وزوجة الوليد بن عبد الملك
 فأرسلت إلى كثيرٍ وإلى وضاح اليمين أن ينسباها. أما كثير فقد هاب الأمر وخاف
 مغبته، فلم يشبب بها بل شباب بمحاريتها غاضرة فقال:
 شجاً أطعماً غاضرة الغوادي^(٤) بغیر متشورة، عرضاً فؤادي
 أغاضر لو شهدت غداة بتم^(٥) حنو العائدات على وسادي
 أويت^(٦) لعاش^(٧) ق لم تشكميه بوأدة تانع^(٨) كالزناد
 أما وضاح فنسب بها فبلغ ذلك الوليد فطلبه فقتل. وفي رواية أخرى جفاه ودبر
 في قتله.

كما حيجت عاتكة^(٩) بنت معاوية، وبينما كانت بمكة بذى طوى، وقد اشتد الحر
 وانقطع الطريق، فكشفت وجهها — من بها أبو ذهبل الجمحي فوق طويلاً ينظر
 إليها، وإلى جمالها وهي غافلة عنه، وقال فيها بضعة أبيات شاعت بمكة، وغنى فيها المغنون
 حتى سمعتها عاتكة إنشاداً وغناء فألججتها، وبعثت إليه بكسوة.
 ولذلك نرى نساء العرب يبكين شاعر الغزل إذا مات بكاءً مرسياً، لأن في موته
 خسارة لا تعدلها خسارة. في موته خسارة هذا الغزل الذي كان لهواً لمن ومتעם، وكان
 وصفاً لمحاسنها، وإشادة بما وبهن الله من حسن وجمال. ثم كان تصويراً لعاطفتهن
 وشعورهن. تصويراً لأحاديثهن ومحافلهن. كان صورة من صور الحياة، تمثلهن أصدق
 تمثيل فكيف لا يحزن على هذا الشاعر؟ وكيف لا يبكيه؟ وكيف لا يطلبن من الله
 ضارعات خير عوض بديل.

مات عمر بن أبي ربيعة فبكاه نساء مكة بكاءً شديداً، وقالت إحداهن:

(١) نسبة إلى تهامة. وقيل «سهام» وهو عندي أحسن. (٢) الأغاني ج ٦ من ٢٢١
 (٣) أى رأيت لها وأشفقت عليه. (٤) الأغاني ج ٧ من ١٢١

من لِكَة^(١) وشعابها ، وأباطحها ، وزهها ، ووصف نسائها وحسنون وجهنون
ووصف ما فيها ! فقيل لها :

خفّضى عليك فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضى الله عنه — أى العرجى —
يأخذ مأخذة ويسلك مسلكه . فقالت — أنسدوها ، فساحت
عينها وتحمكت وقالت : — الحمد لله الذي لم يُصِعْ حرَمه .
ومات كثير كما مات عِكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد .

قالوا :

فاجتمعت قريش في جنازة كثير ولم يوجد لعكرمة من يحمله .

وقالوا :

وغلب النساء^(٢) على جنازة كثير ييكينه ، ويذكرون عزرة في ندبهن له . وأقبل
محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يشق طريقه ويضرب النادبات بهمه ،
ويقول : تحيين يا صاحبات يوسف ، فانتدبت له امرأة منه . فقالت يابن رسول الله
لقد صدقت . إنما لصواحبات يوسف ، وقد كنا له خيراً منكم له . وأوصى محمد بعض
مواليه أن يحييه بهذه المرأة بعد انصرافه . فأتى بها وقال لها محمد أنت القائلة : إنك
لي يوسف خير منا . قالت : نعم ! تومني غضبك يابن رسول الله ؟ قال : أنت آمنة من
غضبي فأيني . قالت : نحن يابن رسول الله دعوناه إلى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع
والتنعم ، وأنت معاشر الرجال أقيتموه في الجب ، وبعثتموه بأنفس الأثمان وحبستموه
في السجن ! فلينا كان عليه أحنى وبه أرأف ؟ فقال محمد : الله درك ! ولن تعالب
امرأة إلا غلبت .

وحين مات مجذون بنى عامر قالوا :

(١) الأغاني ج ١ من ٣٨٧

(٢) الأغاني ج ٩ من ٣٧

لم تبق فتاة^(١) من بنى جعدة ولا بنى الحَرِيش إلا خرجت حاسرة صارخة عليه
تنديه . واجتمع فتيان الحَرِيش ي يكون عليه أحر بكاء ، وحضرهم حى ليل معزين وأبواها
وهم فكان أشد القوم جزعاً وبكاء عليه ، وجعل يقول : ما عامت أن الأمر يبلغ
كل هذا ، ولكنى كنت امرأاً عريباً أخاف من العار ، وقبح الأحداثة ما يخافه
مثل ، فزوجتها ، وخرجت عن يدي ، ولو علمت أن أمره يجرى على هذا ما أخرجتها
عن يده ، ولا احتملت ما كان على في ذلك .

قالوا : وما روى يوم كان أكثر باكية وباكيا على ميت من يومئذ .

وكذلك فعل النساء حين مات جميل .

نعا الناعي بهذه الآيات التي قالها جميل وهو يلقط النفس الأخير :

صلع^(٢) النَّعَيْيِي وما كفني بجميل وثوى بمصر ثواباً غير قبول
ولقد أجر الذيل في وادي القرى نشواتَ بين مزارع ونخيل
قوى بشينةٌ فاندبي بعوبل وابكي خليلك دون كلٍّ خليل
وما سمعت بشينة نعى الناعي حتى أنته حزينة باكية القلب ، وقالت : —
يا هذا والله لئن كنت صادقاً لقد قتلتني ، ولئن كنت كاذباً فضحتني .

وكان صادقاً إذ أخرج إليها خالتها فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها ، وصكت وجهها ،

واجتمع نساء الحَرِيش يبكيهن معها ويندينه .

وفي هذا تقول بشينة :

وإنَّ سلوى عن جميل لساعةٌ من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميلُ بن معمر إذا مت بأسماء الحياة ولينا
وهذه طائفة من الأقوال والأمثال والأراء تبين أيضاً مدى شغف العرب بالغزل :

(١) الأغاني بـ ٢ ص ٩٠

(٢) صدع : جاهر وصرح

روى أن دخل كعب بن زهير على النبي — ص — قبل صلاة الصبح فشل بين
يديه وأنشد:

بانت سعاد فقلبي اليوم متسلول
متيم إثرها لم يُفْد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحروا
إلاً غن غضيض الطرف مكحول
هيفاء ، مقبلة عجز زاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول
وخرج كعب بعد غزله في هذه الأبيات وأبيات أخرى إلى مدح النبي — ص —
فكساه برداً اشتراه منه معاوية بعشرين ألفاً.

والحسين بن علي بن أبي طالب وقد استشفع به قيس ليتزوج لبني فكان المحبين
شفيعاً رحياً ، وكان أن جمع بين قلبين تحاباً وتصافياً ، وقال لقيس حين جاءه :
أنا أكفيك . وقد كفاه فساد إلى أبي لبني ، فلما بصر به وثب إليه ، وقال: يا بن رسول الله
ما جاء بك ؟ ألا بعشت إلى فأتيتنيك . ولما كاشفه بما جاء به قال: يا رسول الله ما كنا
لنعصي لك أمراً . وكان أن قبل أبوها زواجه منه ، ولكن رغب في أن يخطبها أبوه
ذریح حتى لا تكون سبة وعار عليهم . فأتى الحسين رضي الله عنه ذريحاً وقومه ، ورحب
إليه أن يخطب لبني لابنه قيس فقال :

السمع والطاعة لأمرك ، وقت هذه الخطبة بين قيس ولبني بفضل ما فعل
الحسين بن رسول الله .

وكثيراً ما كان ينشد شعر الغزل في المساجد ، وفي حضور أمّة العلم والفقه والدين ،
يسمعونه ، ولا يرون في ذلك بأساً .

كان عبد الله بن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق ،
وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة فقال له ابن عباس :
أنشنا ، فأنسدنا ،

أمن آلم نعم أنت غاد فُبِكِرْ غداة غد ألم راح فُبِجَرْ

حتى أتي على آخرها فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال :

الله يابن عباس !!

إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقصى البلاد، ونسألك عن الحلال والحرام

فتتقاتل علينا، ويأتيك غلام متعرف من متصرف قريش فينشدك :

رأيت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيخسر ، وأما بالعشى فيخسر

فقال : ليس هكذا ! قال : فكيف قال ؟ فقال : قال :

رأيت رجلاً أما إذا الشمس عارضت ^(١) فيخسر ، وأما بالعشى فيخسر ^(٢)

فقال : ما أراك إلا وقد حفظت البيت ! قال أجل ! وإن شئت أن أنشدك

القصيدة أنشدتك إليها .

وكتيراً ما نقرأ شعر الغزل لجماعة من رجال الفقه والعلم والقضاء أمثال شريح

القاضي، وعبد الله بن المبارك، وعروة بن أذينة، وعبد الله بن عتبة بن مسعود .

قال عروة بن أذينة :

قالت وأبشرها وجدى وبخت به قد كنت عندى تحت الستر فاستتر

أنت تبصر من حولي؟ فقلت لها : غطى هواثِ وما أتي على بصرى

وقد وقفت عليه امرأة فقالت له : أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح ؟

وأنت القائل :

وإذا وجدت أوار الحب في كبدى غَدَّوت نحو سقاء الماء أبتعد

هذا بَرَدت بيرد الماء ظاهره فمن لنار على الأحساء تنقد ؟ !

والله ما قال هذا رجل صالح !

قالوا : كذبت عدوة الله عليها لعنة الله . بلى . لم يكن مرأئياً ولكنكـه كان

مصدراً فنفت !

(١) قابلت (٢) بيرد

شغف العرب بالغزل وفاض به الشعر ، وأزره الملوك والأمراء والحكام ، وأثابوا عليه ورأوا فيه صنفلاً للنفوس وتهذيباً للrigdan ، فأشاروا على المؤذين أن يرووه لأولادهم ، حتى تعذب ألسنتهم ويرق إحساسهم . ثم لم ير فيه الدين بأساً إذا كان عفأً بريئاً ، فقد سمعه النبي ، وقد أنشدوه في بيوت الله ، وقد أصغى إليه جمورة من رجال الفقه والدين ، ورأينا أن جاشت صدور بعضهم بقليل منه .

ولكنا مع هذا نقرأ في بعض شعر العرب ، ونرى من بعض أعمال ملوكهم وخلفائهم مالا يدل على هذا الشغف الذي تحدثنا عنه :

قال معاوية^(١) لعبد الرحمن بن الحكم :

يأخي إنك شهرت بالشعر فليأكل والتشبيب بالنساء : فإنك تعرُّ الشريفة في قومها والعفيفية في نسبيها . والمحاجة : فإنك لا تندو أن تعادي به كريماً أو تستثير به لثيا . ولكن اخر بيت قومك ، وقل من الأمثال ما توقر به نفسك ، وتؤدب به غيرك .

وقال عبد الملك بن مروان لشاعر : أنشدني ، فأنشده قصيدة

التي يقول فيها :

ومُضِّرُ الْكَسْحُ يطويه الضجيجُ به طَى الْحَمَائِلَ لَا جَافٍ لَا فَقِيرٌ^(٢)
فقال له عبد الملك : يا نصيبي ، من هذه ؟ قال : بنت عملى نوبية لورأيتها
ما شربت من يدها الماء .

فقال له : لوغير هذا قلت لضررت الذي في عينيك .

ونهى المهدى بشاراً عن الغزل وأنذره بالموت إن لم يكف عنه وفي ذلك

يقول بشار :

يا منظراً حسناً رأيته من وجہ جاریۃ قدیتھ

بعثت إلى تسوسنی برد الشباب وقد طويتھ

(١) الأغانی ج ١ ص ٤٥١ (٢) شعر : الشتكي شفاره

والله رب محمد
ماين غدرت ولا نويته
أمسكت عنك وربما
عرض البلاء وما ابتغيته
إن الخليفة قد أبى
إذا أبى شيئاً أبىته
ونخضب رخص البناء
ن بكى على وما بكنته
ويشوفني بيت الحبيب
قام الخليفة دونه
ونهانى الملك الهمام
فصبرت عنه وما قلنته
لا بل وفيت فلم أضع
عهدأ ولا رأياً رأيته

قالوا :

وضرب المهدي أبا العتاهية بسبب عشقه « عقبة » وفي ذلك يقول
أبودجان الشاعر :

لولا الذي أحدث الخليفة في العش ساق من ضربهم إذا عشقاوا
لبحث باسم الذي أحب ولكن في أمرؤ قد ثناني المفرق
ودخل النصيب على عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة فقال له :
إيه ياأسود ! أنت الذي تشهر النساء بنسبيك . فقال إنى قد تركت ذلك يا أمير
المؤمنين ، وعاهدت الله ألا أقول نسيباً .

وكان قد نسّك فأثني عليه القوم وقالوا فيه قولًا جميلاً .

فقال له : أما إذ أثني عليك القوم فسل حاجتك .

فقال : يا أمير المؤمنين - لى بنيات سويداوات أرغم بهن عن السودان ، ويرغب
عنهم البيضان فإن رأيت أن تفرض لهن فافعل . ففعل .

فكيف السبيل إلى التوفيق بين ما ذكرنا وهذه الآراء والأقوال ؟

يقول الأستاذ العقاد^(١):

إن شعر بشار هو شعر المتتحدثين والمتتحدثات في مجالس الله والفراغ ، فهو مادة الحديث في تلك المجالس ومادة الحديث عنها ، وهو وسيلة الإغراء بها ، ورسول الدعوة إليها . ومن هنا كان إغراؤه بالفساد ومحاكاة ما يتخيله ويزويه بين الظرفاء والظريفات . أما شعر كثير وأمثاله فهو كالرسالة الخاصة من رجل واحد إلى امرأة واحدة ، وهو وإن أغري بشيء فلا يغري المرأة بأن تذهب إلى ملقاء الرجال الكثيرين والنساء الكثيرات ، ولكنها يغريها بعلاقات قلبية كالعلاقة بين كثير وعزبة ، وجميل وبشينة ، وعروة وعفراء ، وقيس ولبني ، وليس هذا مما يدفع العاشقة إلى مجالس الظرفاء والظريفات ، بل لعله مما يدفع إلى العكوف والاعتزال .

ويقول^(٢) الدكتور طه حسين بكل :

ومن الغريب أن هؤلاء الشعراء وال فلاسفة الذين كانوا يلقون في العصر العباسي ضرورةً من المحن تختلف قوتها وضفتها باختلاف الخلفاء والوزراء كانوا محبيهم إلى هؤلاء الخلفاء والوزراء . فكثير من هؤلاء الخلفاء والوزراء كان يحب شعر بشار ويأخذ لشعر أبي نواس ، ومع ذلك فقد ضرب بشار حتى مات ، وحبس أبو نواس في عصر الرشيد ، كما حبس في عصر الأمين ، ولو أدركه المأمون لقتله ولو كان إعجاب المأمون بأبي نواس شديداً جداً .

ومصدر هذا التناقض في سيرة الخلفاء والوزراء مع الشعراء وال فلاسفة أن هؤلاء الخلفاء ومشيرיהם كانوا يحييون حياتين مختلفتين: حياة للشعب يحتفظون فيها بحمل الدين ومجده وعظمة الخلافة وقوتها السياسية، فهم من هذه الناحية محافظون. وحياة لأنفسهم ونسلهم في القصور ومن وراء الحجب يتذمرون فيها لأنفسهم حريتها الفطرية، فيلهون ويلعبون، وينادمون ويشربون، ويقتربون ضروراً من الآثام .

(٢) حديث الأربعاء ج ٢ من ١٣

(١) شاعر الفزل من ٧٩

وفي رأي أن الغزل البرى، حسن وجميل . ونقرؤه في كثير من الشعر العربي ،
حتى من غير العذريين .

ولم يعرض أحد لهذا بالقدر ، أو النم ، أو التجريح .
 فهو إما أن يكون رسالة بين قلبيين ؛ تتمثل فيها الإخلاص ، والوفاء ، وصفاء الروح ،
وطهارة القلب .

وأكرم بهذا من مثل طيبة ، ومن صفات نبيلة !
وهو إما أن يكون صورة للخيال الفسيح ، والمعنى الدقيق ، واللفظ العذب .
وأكرم بهذا من فن ! له روعته وتأثيره .

أما الغزل الماجن ، الذي يثير الشهوة ، وتحريك له العاطفة الجامحة ، فهو المقصود
بهذا النهي ، والنم ، والتجريح .

وقد يؤكد هذا المعنى أنتا تعرف في شعر بشار ، وفي شعر أبي نواس لوننا من الغزل
الماجن . وهذا سر ما أصابهما من حرج ، وعنت ، وتضييق .
على أن شعرها ليس كله في الغزل الماجن ، حتى يكون كله ذميا في أعين الناس ،
وفي أعين المحاكمين . بل في شعرها معاشر أخرى ، وأخيلة أخرى ، هي حسنة في
عيوننا ، كما كانت حسنة في عيون هذا العصر الذي عاش فيه .
ولا اعتبر هذا تناقضًا في حياة هؤلاء الحكماء .

إن اختلاف الحكم على بشار وأبي نواس ، والإعجاب بشعرها تارة ، والإعراض
عنده طوراً ليس باعثه تناقض سيرة الخلقاء . يختفظون بجلال الدين ، ومجده الخلافة ،
فيضيقون على بشار وأبي نواس . وينخلون إلى أنفسهم ، ويتركون لها حرية ، فيروقهم
شعر بشار وأبي نواس . ولكن باعثه لون الشعر . فإن كان ماجنًا فاجرًا كرهوه ،
وذموه ، كما نكرهه الآن ونذمه . وإن لم يكن كذلك أحبوه ، وارتضوه ، كما نحبه
الآن ونرتضيه .

الباقِيُّ اللَّائِعُ

أثر الغزل

لعله بان لك فيما تقدم مدى شغف العرب بالغزل ، وأنهم جروا على سنته منذ البداوة ، وظل قائماً بينهم في عصر يولونه مزيداً من العناية وحسن التقدير .
أشدوه في بيوت الله وامتدحوه بمثل هذه الأقوال التي قدمت شطراً منها لطافة من رجال العلم والفقه والدين .

ولا يخفى ما في الغزل من آثار كريمة تهذب النفس ، وتصقل الحسن ، وتوقف المعم ، وتبعد المروءة . كما لا يخفى أن بعض الملوك والحكام والأمراء اخذوا الشعر ، ومنه الغزل ، أداة صالحة ل التربية أبنائهم ، وتزويدهم بهذه الآثار .

كان ذو الرياستين ^(١) يبعث مولى له وأحداثاً من أهله إلى شيخ علم بخراسان ، له أدب وحسن معرفة بالأمور ، فقال لهم يوماً : أنتم أدباء وقد سمعتم بالحكمة ، ولكن حداه ونعم قال : فهل منكم عاشق ؟ قالوا : لا ، قال : اعشقاً ، فإن العشق يطلق للإنسان ويفتح حيلة البليد والبخيل ويعث على التلاطف ، وتحسين اللباس ، وتطيب الطعام ، ويدعو إلى الحركة والذكاء وتشريف المهمة .

وقال ذو الرياستين إن بهرام جور كان له ابن وكان يرشحه للأمر من بعده ، ولكنه نشأ ناقصاً للحكمة ، ساقط المروءة ، خامل النفس ، سيء الأدب ، ففمه ذلك ، فوكل به من المؤذين والمنججين والحكماء من يلزمه ويعلميه ، وكان يسألهم عنه ، فيبحكون له

(١) المستطرف ج ٢ ص ١٣٥

ما يغمه من سوء فهمه ، وقلة أدبه ، إلى أن سأله بعض مؤدييه يوماً فقال له المؤدب :
قد كنا نخاف سوء أدبه ، خدث من أمره ما صيرنا إلى الرجاء في فلاحة . قال :
وماذا الذي حدث ؟ قال : رأى ابنة فلان المرزبان فعشقتها فغلبت عليه فهو لا يهدأ
إلا بها ، ولا يتشغل إلا بها .

قال بهرام : الآن رجوت فلاحة .

وقال ^(١) الرشيد يوماً لجلسائه : أنشدوني شعراً حسناً في امرأة خفرة كريمة .
فأنشدوا وأكثروا . ثم أنسده ابن مصعب قول محمد بن بشير المخارجي :
بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسيط جُنوح ليل مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد إن الحسان مظنة للحسان
فقال الرشيد : هذا والله الشعر . لا ما أنسدتموني سائر اليوم ، ثم أمر مؤدب
ابنيه محمد الأمين وعبد الله المأمون فرواها الآيات .

ورأى ^(٢) سعيد بن مسلم ابناً له قد شرع في رقيق الشعر وروايته فأنكر عليه ،
فقيل له : إنه قد عشق . فقال دعوه فإنه يلطف ، وينظر ، ويظفر .

وسئل ^(٣) أبو نوفل هل يسلم أحد من العشق ؟ فقال : نعم ، الجلحف الجاف الذي
ليس له فضل ولا عنده فهم . فأما من في طبعه أدنى ظرف أو معه دمابة أهل الخجاز
ورقة أهل العراق فهيئات !

ولم كان للغزل هذه المنزلة الرفيعة ؟

الغزل ضرب من ضروب الشعر يحمل اللفظ العذب ، والمعنى الشائق ، والخيال
الرائع . وفي ذلك خير للأدب ومتعة للأدباء .

(١) الأغانى ج ١٤ طبعة قدية من ١٥٣

(٢) زهر الأدب ج ٤ ص ٨٩

(٣) نهاية الأرب ج ٢ ص ١٣٩

والغزل يمثل المرأة ، ويصفها ، ويحدثنا عن حسنها وجمالها . والمرأة زينة الحياة وبهجهتها ، فالحديث عنها لذيد ، ووصفها حلو جميل .

يقول الدكتور أحد ضيف^(١) :

إن النساء منبع من مصادر الشعر ، والشعراء مدینون لهم بأفضل الصفات لديهم ، وهي وصف شعور الناس . والشاعر الذي يشعر بالحب لا يتكلم عن نفسه فحسب وإنما يجمع آلام العشاق وأنيتهم فيتألم ويثن معهم . وليس أعزب من هذه الآلام ولا أحب إلى النفس من سماع هذا الأنين . إن الشاعر يصوغ بكلماته اهتزازات القلوب ، ورنات ما يجول بها من المعانى ليدفعها إلى النفوس فتصبو إليها ويدفعها بين العشاق ، فيرى كل قلبه ، وكأنه ينظر في مرآة يرى فيها صورته . وذلك لا يكون إلا في الشعر . وإذا كنا نجد في الشعر ما يروق عن أنفسنا ، ويدرك عنها عناء العمل ، وأعباء الحياة فإن للغزل في الترويح عن النفس حظاً عظياً لا يعدله حظ المدح أو الم賛 أو الوصف أو الحماسة أو الأدب أو الرثاء .

والحياة ثقيلة الأعباء ، والأعمال كثيرة الأشواك . وما أحوجنا إلى ما يذهب عننا الهم والحزن ! .

على أن الباحث المدقق حين يقرأ شعر الغزل ، وحين تتأثر عاطفته بما يحوى من آيات الحب والمحب قد يرى فيه لوناً آخر من ألوان المجال .

يرى أمثلة حية لرقة الحس ، وحدة الذهن ، والتضاحية ، والطموح ، والوفاء ، والصبر .

وإليك البيان :

الفصل الأول

رقة الحس

ليس من شك في أن الغزل لغة القلوب. لذلك كان الغزل ينادي القلوب، وكانت القلوب تهفو إليه وتصبو.

لا أريد هذه القلوب القاسية التي لا تتحركها إلا المادة، ولا يشيرها إلا روح الانتقام،
بل أريد القلوب الحية الطموحة التي ترى الجمال أيّاً كان نوعه، فتهتزبه وترنو إليه.
إن الله قد وهب المرأة جمالاً فاتناً، وخلق لنا قلوباً. فكيف لا تفتح لها
وهبها الله؟ .

إن من شأن القلوب أن ترق وتلين .

إن من شأن القلوب أن تعجب وتطرد .

فكيف بها أمام المرأة؟ أمام فقتلتها وزينتها. أمام دلماً وبجالها!
إنها لاشك ترق إليها، وتعجب بها، وقد ينقلب الإعجاب إلى حب وغرام .
والمرأة رقيقة لينة .

والرجل حتى يستحوذ على لها وهوها لا بد أن يكون مثال الرقة واللين .

والمرأة ذات تجنّ ودلال :

تهجر الرجل وتطلب أن يسعى إلى ودها .

وتطالم الرجل وتطلب أن يعترف أنه المذنب الملوم .

وتسمى إلى الرجل ولا تعرف أنها أساءت .

وتقسوا على الرجل ولا تعرف أنها قشت .

والرجل أمام هذا كله لا بد أن يكون سرهف الحس صاف القلب .

فإذا حدثها كان عذب الحديث .

وإذا ناجها كان رقيق النجوى .
ييلهم حزنه وألامه ، في قوة وروعة تأثير .
يتوصل إليها بماء العيون وخفقات القلوب .
لا يشكو منها آلاماً ، فهي لا تبعث الآلام !
ولا ينسب إليها ذنباً ، فهي لا ترتكب الذنوب .
ولا يرد إليها قولًا ، فهي ذات الحول والسلطان !
الاترى في هذا كله الحس الرقيق ، والطبع الصافي ؟ .

بلى .

تصفح أحوال المحبين واحدة واحدة . فإنك ترى في كل حال أمثلة للرقابة والابن
والملودة والرجحة .

وافرأ غزل المحبين . فإنك ترى كيف يكون الرجل حين يتتحدث إلى حبيبه ،
وحين يناجي طيفها وخيمها . وحين يشكو إليها حرقة الحب ولوعة الفراق . بل حين
تتقرح العيون ، وتصرخ الوجوه ، وتذبل الأجسام .
ترى ذلك كله ويروقك ما ترى ، وتتنمنى أن تكون بين المحبين ، حتى تكون
لك هذه العاطفة الرقيقة ، وهذا القلب النق الصافي .

وقد سرك أن بعض الناس ينتقصون الحب لما فيه من سهاد ونحوه ، وحيرة
وقلق ، وحزن وألام . ولا يخفى أن هؤلاء على جانب من الغفلة والجهل ، فإن هذه
العيوب التي تنقصوا بها الحب هي في الحقيقة من حسناته ومحامده ، فهي مظهر
من مظاهر العاطفة ورقة القلب .

وماذا تكون الحياة إذا خلت من العاطفة والقلب ؟ .

للحياة مظهران يسعى الناس جاهدين إليهما : مظهر المادة ، ومظهر الروح . وكلما
تسامي الناس وتصافت نفوسهم كانوا أقرب إلى مظهر الروح . فلم لا تكون هذه

الأحوال بين الحبّين مظهراً من مظاهر الروح؟ . وهو الذي ينشدُه كثيرون من الناس
فلا يجدونه ، وقد وجده الحبّون ونعموا به ، وإن جرّ عليهم ألواناً من النّقمة والمعذاب .

وصدق بشار إذ يقول :

فقلت: دعوا قلبي وماختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى
ولا تسمع الأذنان إلا من القلب
وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا
وألف بين العشق والعاشق الصبّ
ثم تعال لننظر من أحوال الحبّين ومن غزل الحبّين :

كان الصيد عادة من عادات العرب يتّخذون منه أدلة للتسليمة ، وسبيلًا للحصول على الغذاء . وكثيراً ما كانوا يصيّدون الطباء . ولكننا نرى كثيراً من الحبّين يطلقون سراحها ، ويفكّون قيودها ، فقد عرّفوا في الحب مرارة الأسر والضيق ، فكانوا مثال الرحمة والحنان ، ثم عرّفوا في الحب قيمة الحسن والجمال ، وفي الطباء عيون تشبه عيون الحبيب ، ومن أجل هذه العيون تكرّم العيون جميعاً ، فلا يصيّب أصحابها ذل وھوان .

قالوا :

مر المجنون^(١) برجلين قد صادا ظبية ، فربطاها بحبـل وذهبـا بها ،
فـلما نظرـا إلـيـها وهـيـ تـركـضـ فيـ قـيـودـ منـ الـحـبـالـ دـمـعـتـ عـيـنـاهـ ، وـقـالـ لهاـ :
حـلـلـاـهاـ ، وـحـذـاـ مـكـانـهاـ شـاهـةـ مـنـ غـنـىـ ، فـأـعـطـاـهـاـ ، وـحـلـلـاـهاـ فـوـتـتـ تـعدـوـ هـارـبةـ

وفي ذلك يقول :

أيا شـبـهـ لـيـلـيـ لـاـ تـرـاعـيـ فـإـنـيـ
لـكـ ، الـيـوـمـ مـنـ وـحـشـيـةـ لـصـدـيقـ
لـعـلـ فـؤـادـيـ مـنـ هـوـاهـ يـفـيـقـ
وـيـاـ شـبـهـ لـيـلـيـ لـوـ تـلـبـيـثـ سـاعـةـ
فـأـنـتـ لـلـيـلـيـ ، لـوـ عـلـمـتـ ، طـلـيـقـ
تـفـرـ ، وـقـدـ أـطـلـقـتـهـ مـنـ وـثـاقـهـاـ

(١) الأغانى ج ٢ ص ٨١

وخرج الوليد^(١) يتضيّد ذات يوم فصادت كلابه غزالاً فأتى به ، فقال خلوه ، فرأيت أشيه منه جيداً وعينين بسامي ، ثم أنشأ يقول :

ولقد صدنا غزالاً سانحاً قد أردنا ذبحه لما سنح^(٢)

فإذا شبهاك ما نذكره حين أزجي طرفه ثم لمح

فتركتناه ، ولولا حبكم فاعلى ذاك لقد كان انذبح

أنت يا ظبي طليق آمن فاعده في الغزلان مسروراً وروح

وكان لكثير^(٣) غلام تاجر فباع من عزوة بعض سلعه ، ومطالنه مدة ، وهو

لا يعرفها فقال لها يوماً : أنت والله كما قال مولاي :

قضى كل ذي دين فوق غريمها وعزوة ممطول معنى غريها

فانصرفت عنه خجلة — فقلات له امرأة — : أتعرف عزوة؟ قال : لا والله .

قالت : فهذه والله عزوة . فقال : لا جرم والله لا آخذ منها شيئاً أبداً ولا أقتضيها .

وعرف كثير الخبر فرق لرقته ، وجازاه على إحسانه فأعترفه . ووهب له المال الذي

كان في يده .

يقولون : لا يعرف الشوق إلا من يكابده .

وقد عرف المحبون الشوق لأنهم كابدوه ، وذاقوا حلوه ومره ، فأكرم بعضهم

بعضاً ورحم بعضهم بعضاً .

كم رأينا أنهم يجتمعون ويتحدون بعضهم إلى بعض فيذكرون ما يقع بينهم وبين هوى

نفوسهم؟ فإن كان خيراً طربوا له وفرحوا به ، وإن كان بؤساً بكنته العيون وتقطرت له القاوب .

قال العباس بن الأحنف :

رق قلب لأهل العشق إنهم إذا رأونى وما ألقى يرقونا

(١) الأغاني ج ٧ ص ٤٨

(٢) يقال سنح الطائر أو غيره : أتى من يعينك إلى يسارك .

(٣) الأغاني ج ٩ ص ٢٨

وكم رأينا ما فعله كثير حين كان يرسله جميل إلى حبيبته بشينة ليأخذ منها موعداً
أو يلهمها ما في نفسه من حب وهيام . والحب أدرى بما يشجع الحبين .

وكم كثيراً ما كانوا يلتقطيان ويتذاركوان النسيب فتشجعهما غصص الموى .

التقيا^(١) ذات مرة فقال كثير : يا جمـيل أترى بشـينة لم تسمع بـقولـك ؟

يـقـيلـكـ جـمـيلـ كـلـ سـوءـ ، أـمـالـهـ
لـدـيـكـ حـدـيـثـ أـوـ إـلـيـكـ رـسـولـ
وـقـدـ قـلـتـ فـيـ حـبـ لـكـ وـصـبـابـتـيـ
نـخـاسـنـ شـعـرـ ذـكـرـ هـنـ يـطـولـ
فـإـنـ لـمـ يـكـنـ قـوـلـ رـضـاـكـ فـعـلـمـيـ
هـبـوبـ الصـبـابـاـيـاـ بـهـنـ كـيـفـ أـقـولـ
فـاغـلـبـ عـنـ عـيـنـيـ خـيـالـكـ لـحـظـةـ
وـلـاـ زـالـ عـنـهـاـ وـانـتـيـالـ يـزـوـلـ

قال جمـيلـ : أـتـرـى عـزـةـ يـاـ كـثـيرـ لمـ تـسـمـعـ بـقـولـكـ ؟ .

يـقـولـ العـدـاـ : يـاعـزـ قدـ حـالـ دـونـكـ
شـبـاعـ عـلـىـ ظـهـورـ الـطـرـيقـ مـؤـصـمـ
فـقـلـتـ لـهـاـ : وـالـلـهـ لـوـ كـانـ دـونـكـ
جـهـنـمـ مـاـ رـأـتـ فـوـادـيـ جـهـنـمـ
وـكـيـفـ يـرـوعـ القـلـبـ يـاعـزـ رـائـعـ
وـمـاـ ظـلـمـتـكـ النـفـسـ يـاعـزـ فـيـهـ مـنـعـمـ
فـالـلـوـاـ : فـبـكـيـاـ قـطـعـةـ مـنـ اللهـ شـمـ اـنـصـرـفـاـ .

والتقى عمر بن أبي ربيعة بجمـيلـ : فقال له عمر : أـنـشـدـنـيـ ، فـأـنـشـدـهـ :

خـلـيـلـيـ فـيـماـ عـشـتاـ هـلـ رـأـيـاـ ؟ قـتـيـلاـ بـكـيـ منـ حـبـ قـاتـلـهـ قـبـلـ

شـمـ قـالـ جـمـيلـ : أـنـشـدـنـيـ يـاـ أـبـاـ الـحـطـابـ . فـأـنـشـدـهـ :

أـلـمـ تـسـأـلـ الـأـطـلـالـ وـالـمـتـرـبـعاـ بـيـطـنـ حـلـيـاتـ دـوـارـسـ بـلـقـعـاـ

وـرـىـ مـشـلـ هـذـهـ النـجـوـيـ بـيـنـ الـحـبـوـتـيـنـ .

وـكـانـ بـهـمـاـ تـجـتـمـعـانـ فـيـ خـلـوةـ مـنـ الرـقـبـاءـ ، وـفـيـ هـدـأـةـ مـنـ شـوـاغـلـ الـحـيـاةـ ، فـتـنـاجـيـ
كـلـ وـاحـدةـ الـأـخـرـىـ ، وـتـحـدـشـاـ أـحـادـيـثـ الـغـرـامـ وـالـمـوـىـ . مـاـذـاـ فـعـلـ حـبـيـبـ قـلـبـهـ ؟ ،

وماذا فعلت هي؟ وماذا قال لها؟ وماذا أجبت؟ وماذا كتب لها؟ وماذا ردت كتابه؟

هذه النجوى أكثر من تلك روعة.

لأنها صورة عن عاطفة المرأة . وهي — كاعرف — قوية ، نائرة ، جامحة .

ثم انظر كيف يكون المحبوب أمام حبيبته .

يقول عبد الله بن طاهر :

نَحْنُ قَوْمٌ تَلِينَا الْخَدْقَ النَّجَلَ ، عَلَى أَنْنَا نَاهِنَ الْحَدِيدَا
طَوْعَ أَيْدِي الظَّبَاءِ تَقْتَادُنَا الْعَيْنَ وَنَقْتَادُ بِالْطَّعَانِ الْأَسْوَدَا
نَمَلَكُ الصَّيْدَ ثُمَّ تَمَلَّكَنَا الْبَيْضُ الْمَصْوَنَاتُ أَعْيَنَا وَخَدُودَا
تَتَقَقُّ سِخْنَنَا الْأَسْوَدُ وَنَخْشِي سَخَطَ
الْخَسْفِ^(١) حِينَ يَبْدِي الصَّدُورَا
فَتَرَانَا يَوْمَ الْكَوْرِيَّةِ أَحْرَا
وَيَقُولُ ابْنُ الرَّوْمَى^(٢) :

لَوْكَانَ كَمْلَ حُسْنَهُ إِسْجَاحَهُ^(٣)

حَتَّى أَضْرَرْ بِمَقْلَتِي إِلَاحَهُ

حَتَّى أَضْرَرْ بِوْجَنْتِي تَسْفَاجَهُ

أَصْبَحَتْ مَلَوْكًا لِأَحْسَنِ مَالِكٍ

لَمْ يَعْنِهِ أَرْقٌ وَفِيهِ لَقِيَتِهِ

كَلَا، وَلَا دَمْعَى وَفِيهِ سَفَحَتِهِ

وَيَقُولُ يَزِيدُ بْنُ الطَّشَّيْرِيَّةِ :

أَنَا الْهَامِمُ الصَّبُّ الَّذِي قَادَهُ الْمَوْى

بِرْتَهُ دَوَاعِي الْحُبِّ حَتَّى تَرَكَهُ

وَيَقُولُ الْبَحْتَرِي^(٤) :

أَلَا هُلْ أَتَاهَا بِالْمَغْيِبِ سَلَامِي

وَهُلْ عَامَتْ أَنِي ضَنَيْتُ وَأَنْهَا

إِلَيْكَ فَأَمْسَى فِي حِبَالِكَ مُسْلَمًا^(٥)

سَقِيَاهُ وَلَمْ يَتَرَكْنَ لَهُمَا وَلَا دَمَا

وَهُلْ خُبْرُتُ وَجْدِي بِهَا وَغَرَامِي

شَفَائِيْ مِنْ دَاءِ الضَّنْيِ وَسَقَائِي

(١) الحشف ولد الفزان (٢) ديوان ابن الروى للأستاذ كيلاني ص ٢١٣

(٣) يقال أسبج الرجل : ترفق وسهل المفاظه (٤) الأغانى ج ٨ ص ١٦٥

(٥) يقال أسلم : انقاد (٦) ديوان البحتري ص ٢٢٢

تشتت على دل وحسن قوام
بلا سبب يوم اللقاء كلامي
حشاشة^(١) جسم في تحول عظامي
سِجَامًا^(٣) على الخدين بعد سِجَام

ومهزوزة هز القضيب إذا مشت
أحلت دمي من غير جرم وحرمت
فداوك ما ألقيت مني فإنه
صل مخرماً قد واتر^(٢) الشوق دمعه
ويقول^(٤) ابن زيدون :

أم كيف تخلف وعدك
رِضا فلم تتمدك
ما ليس في الحب عندك
كتلول ليلي بعدي
فلست أسلك ربك
أصبحت في الحب عبدك

أني تضيع عهديك
وقد رأتك الأماني
يا ليت شعرى وعندي
هل طال ليلاك بعدى
سأني حياتي أهبا
الدهر عبدي لما

فأنت ترى من هذه الأمثلة أن الرجل ضعيف أمام حبيبه ، وإن كان في ميدان الوفى بطلاً مغواراً ، وأنه عبد ذليل لها ، أصابه بسبها السقم والضنى . ومع ذلك فإنه يحبها ويهرها ، ومع ذلك فإنه يفديها بما أبقيت من حشاشة جسمه ، يهرب لها حياته فإنه لا يملك أن يرد لها سؤالاً ، وهي البخيلة الممنعة في حبه ووصاله .

ليست العبودية عند الحبيبين عيباً ، يكسر من أنفthem وعزّة نفوسهم ، فذل الحبيبة لا يفوقه عز السلطان . ألا ترى ابن زيدون يقول وقد أصبح في الحب عبداً : إنه

ملك الدهر وساد الناس جميعاً ؟

وانظر ما يجري بين الحبيبين :

يقول أبو إسحاق الموصلى :

(١) أى بقية جسم (٢) أى والإنزال دمعه (٣) سِجَام الدمع : سال .

(٤) بلاغة المرء في الأندلس ص ٨٢

حَذَرْتُ قلبي أَن يعود إلى الموى
فأَبْجَابِي لَا تَخْشَ مِنِي بَعْدَمَا
حَتَّى إِذَا دَاعَ دُعَاهُ إِلَى الموى
كَذُبَّالَةُ أَخْمَدَتْهَا فَكَلَا دَنَا

وَيَقُولُ الْمَذْلُولُ :

إِذَا ظَلَمْتَ يَوْمًا وَإِنْ كَانَ لِي عَذْرٌ
لِي الْهَجْرُ مِنْهَا مَا عَلَى هَجْرِهَا صَبَرَ
عَلَى هَجْرِهَا مَا يَلْغَنُ بِي الْهَجْرُ
وَيَقُولُ^(١) ابْنُ الرَّوْمَى .

أَبْكَيْتَنِي فَبَكَيْتَ
مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنِيتَ
وَقْلَتْ لِي أَمْضَ عَنِ
مَصَاحِبَا فَضَيَّتَ
وَلَوْ أُمِرْتَ بِأَنْ أَقْضَى الْحَيَاةَ قَضَيْتَ
أَضْعَتَنِي فَرَعَيْتَ
وَخَنْتَنِي فَوَفَيْتَ
أَطْعَتَ فِي الْأَعْدَادِي
وَكُلُّهُمْ قَدْ عَصَيْتَ
وَيَقُولُ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ^(٢) :

كَدَتِ يَوْمُ الرَّحِيلِ أَقْضَى حَيَاتِي
لَا أُطِيقُ الْكَلَامَ مِنْ شَدَّةِ الْخَوْ
ذَرْتُ عَيْنَهَا وَفَاضَتْ دَمَوعِي
وَيَقُولُ قَيْسُ بْنُ ذَرِيْحَ^(٣) :

وَإِنِّي لِأَهْوَى النَّوْمَ فِي غَيْرِ حَيْنِهِ
لَعَلَّ لِقاءً فِي النَّاسِ يَكُونُ

(١) الأغانى ج ١ ص ١٩٥

(٢) ديوان ابن الروى للأستاذ كيلاني ص ٩٢

(٣) الأغانى ج ٩ ص ٢١٤

فيما ليت أحلام المنام يقين
وأني بكم لو تعاين ضئيف
سواك وإن قالوا بلى سَيِّلين

تحدثني الأحلام أني أراك
شهدتُ بأنِّي لم أَحْلُ عن مودةٍ
وأن فؤادي لا يلين إلى هوى
ويقول جميل^(١) :

من الشوق أستبكي الحمام بك ليها
دعاء حبيب كنت أنت دعائيا
سلوا ولا طول التلاق تقابلا
ولا كثرة الناهين إلا تماديا
أظل إذا لم ألق وجهك صاديا
وفي النفس حاجات إليك كما هي

وما زلت يا بشن حتى لو انتي
إذا خدررت رجلي وقيل شفاوها
وما زادني النَّاسِيُّ المفرّق بعدكم
وما زادني الواشون إلا صبابه
ألم تعلم يا عذبة الريق أنتي
لقد خفت أن ألقى المنية بفترة
ويقول وضاح العين^(٢) :

وأنا أمرؤ لخروج سرك خاشى
والطف لإخوتى الذين تماثى
والسرى يا وضاح ليس بفاشى

قالت فزورنا قات كيف أزوركم
قالت فـكـن لـعـومـتـي سـاما مـعاـ
فتـزـورـنـا مـعـهـمـ زـيـارـةـ آـمـنـ
ويقول مردادس بن همام الطائي^(٣) :

وزرتك حتى لامنى كل صاحب
عليهم ولو لا أنت مالان جانبي

هو يـتـكـ حتـىـ كـادـ يـقـتـلـنـيـ الـموـىـ
وـحتـىـ رـأـوـاـ مـنـيـ أـدـانـيـكـ رـقةـ
وـمـاـذـاـ نـرـىـ فـهـذـهـ الـأـبـيـاتـ ؟ـ
ـرـىـ بـعـضـ أـمـثـلـةـ لـرـفـقـةـ بـيـنـ الـأـحـبـابـ .ـ

(١) الأغانى ج ٨ ص ١٢٦

(٢) الأغانى ج ٦ ص ٢١٧

(٣) ديوان الحماسة ج ٢ ص ١٦٣

فالقلب الرقيق يلبي دعاء الحبيب ،
والقلب الرقيق يرضى بظلم الحبيب لأنه يخاف بصرها . وكم في المجر من ألم وعداب !
والقلب الرقيق يطيع الحبيب مهما كان ظلماً ، ويرى وده مهما كان
للعد خائناً .

والقلب الرقيق يتسم لحبه للمعاذير فيما تقول وتفعل . فهو حبيب في نظر
الحبيب تدلل ، وعداب الحب في نظر الحبيب ابتلاء .

والقلب الرقيق حين يلم بصاحبه دائمًا يدعوه الحبيب فيزول ما به من أوجاع .
وبعد الحبيب يذكر في قلبه نار الشوق والحنين ، كما أن كثرة لقائه لا يجعل للملل
سبيلًا إلى نفسه . بل يسعى الوشاة للحقيقة بينه وبين حبيبه فلا يزيد ذلك
إلا حباها وكلفها بها .

يظل طول أيامه لا يطفئ غلة عطشه إلا أن يرى وجهها الصاحك الوسيم . يخاف
أن يأتيه الموت بغتة وفي نفسه حاجة إليها . وما أكثر حاجات الحبيبين !

والقلب في سبيل الحبيب يلطف مع الأخوة ، ويرق للأعمام ، حتى يزورها منهم ،
وهو آمن مطمئن ، لا يخاف العيون .

بل يكون لـِيَنْ الجائب مع العواذل والوشاة حتى لا يحولوا بينه وبين الحبيب ،
حين يود أن يراه وما أكثر ما يود أن يراه ! وإنما لنرى من مظاهر الرقة أن الحبيب
يضرع إلى حبيبه ويتسل إليه بما يكنه قلبه من حب وغرام ، وما يجره عليه هذا الحب
من آلام وأسقام ، لعل الحبيب يكون رحيمًا شفيفاً، فيجود له بالوصال ، وكم في الوصال
من لذة ونعم ! .

يقول بشار بن برد^(١) :

يا عبدُ الله فرجي كربَى فَقَدْ بَرَانِي وَشَفَّنِي نصْبِي

من حبكم والمحب في تعب
وضيقـت ذرـعاً بما كـلـفت به
وحرـ حـزـنـ في الصدر كالـهـبـ
فـقـرـ جـيـ كـرـ بـهـ شـجـيـتـ بـهـ
ويقول :

أـنـىـ يـاـ عـبـدـ مـنـ لـحـ وـدـمـ
رـفـهـىـ يـاـ عـبـدـ عـنـيـ وـاعـامـىـ
لـوـ توـكـاتـ عـلـىـ لـاـ نـهـدـمـ
إـنـ فـيـ بـرـدـىـ جـسـماـ نـاحـلـاـ
خـتـمـ الـحـبـ لـهـ فـيـ عـنـقـ
مـوـضـعـ الـخـاتـمـ مـنـ أـهـلـ الدـمـ
ويقول الأحوص^(١) — في سلامـةـ القـسـ :

أـسـلـامـ هـلـ لـتـيـمـ تـنـوـيلـ
أـمـ هـلـ صـرـمـتـ وـغـالـ وـدـكـ غـولـ
لاـ تـصـرـفـ عـنـ دـلـالـكـ إـنـهـ
حـسـنـ لـدـىـ وـإـنـ بـخـلـتـ جـمـيـلـ
أـزـعـمـتـ أـنـ صـبـابـتـيـ أـكـذـوبـةـ
يـوـمـاـ وـأـنـ زـيـارـتـيـ أـكـذـوبـةـ
أـزـعـمـتـ أـنـ صـبـابـتـيـ أـكـذـوبـةـ

كـانـ زـىـ منـ مـظـاهـرـ الـرـقـةـ مـاـ يـكـونـ بـيـنـ الـحـبـيـنـ مـنـ حـدـيـثـ .ـ وـحـدـيـثـ الـحـبـيـنـ حـلـوـ
لـذـيـذـ ،ـ لـأـنـهـ يـتـرـجـمـ عـنـ اـحـسـاسـهـمـ وـشـعـورـهـمـ ،ـ وـلـأـنـهـ يـعـبـرـ عـمـاـ تـكـنـهـ قـافـبـهـمـ مـنـ لـوـعـةـ
وـحـرـقـةـ ،ـ وـغـرـامـ ،ـ وـهـيـامـ .ـ وـلـذـاكـ كـانـ الـحـدـيـثـ عـذـبـاـ رـقـيـقاـ .ـ وـلـذـاكـ كـانـ عـنـدـ الـمـرـأـةـ فـتـأـ
مـنـ فـنـونـ الـبـجـالـ ،ـ رـغـبـ فـيـ الـحـبـيـنـ ،ـ وـامـتـدـحـهـ شـعـراءـ الغـزلـ .ـ

وـإـنـيـ أـضـرـبـ هـنـاـ بـعـضـ الـأـمـثـلـةـ ،ـ وـحـيـنـ أـتـحدـثـ فـيـ الـكـتـابـ الـثـالـثـ عـنـ شـئـونـ
الـغـزـلـ وـشـجـونـهـ سـتـرـىـ مـنـ الـحـدـيـثـ قـوـلـاـ مـفـصـلـاـ :ـ
قالـ الـهـذـلـىـ^(٢) :

فـنـلـنـاـ سـقـاطـاـ مـنـ حـدـيـثـ كـانـهـ
جـنـىـ النـجـلـ أـوـ أـبـكـارـ كـرـمـ تـقـطـفـ
حـدـيـثـاـ لـوـ أـنـ الـبـقـلـ يـوـلـ بـمـشـلـهـ
زـهاـ الـبـقـلـ وـاـخـضـرـ الـعـصـاءـ^(٣) الـمـصـيـفـ
وـقـالـ اـبـنـ الرـوـىـ^(٤) :

وـحـدـيـثـهـ السـحـرـ الـحـلـلـ لـوـأـنـهـ
لـمـ يـجـنـ قـتـلـ الـعـاشـقـ الـمـتـحـرـزـ

(١) الأغانـيـ جـ ٨ـ صـ ٣٣٧ـ (٢) الـبـيـانـ وـالـتـبـيـنـ مـنـ ١٩١ـ (٣) الـمـضـاهـ :ـ شـجـرـ لـهـ شـوكـ

(٤) زـاـيـةـ الـأـرـبـ جـ ٢ـ صـ ٧١ـ

إِنْ طَالَ لَمْ يُمْلِلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزْتْ
وَدَ الْمَحْدُثُ أَنْهَا لَمْ تُوجِزْ
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ :

وَكُنْتَ إِذَا مَاجَتْ سَعْدِي بِأَرْضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي وَيَدِنُو بِعِيدِهَا
مِنَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضَ وَدَجَلِسِهَا إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحَدُونَةَ لَوْتَيِّدِهَا
فَأَنْتَ تَرَى مِنْ هَذَا كَلَهُ أَنْ فِي شِعْرِ الغَزْلِ صُورَةً صَادِقَةً عَنْ حَالِ الْمَحْبُوبِ .
تَتَبَيَّنُ فِي هَذِهِ الْحَالِ : كَيْفَ يَكُونُ الْحَسْنُ الْمَرْهُفُ ، وَالْمَاعِظَةُ الرَّقِيقَةُ ، وَالْمَطْبَعُ
الصَّافِ ، وَالْقَلْبُ النَّقِيقُ ؟

ولم كان الحبيب تروقه الحرية ؟

ذلك لأنه يروقه أن يكون حراً طليقاً في حياة المهوى.

يلقى خبيثه حيث شاء . ويطلب وصلها ورضاها في كل وقت . ينعم معها بالابتسامة الحلوة ، والحديث العذب . ويكره القيود ، وما أكثر قيود الحب ! فالدلائل ، والرحيل ، والعواذل ، والوشاة ، والغيرة ، كل هذه قيود ، بغية ضمه إلى قلب الحبيب ، ثقيلة على نفسه .

ومن هنا كان المحبون أحراً كراماً، يبغون كل ما هو حركٍ .

ولم كان الحبيب حلو الحديث ؟

ذلك لأنَّه يزيد كسب الرضا ، وأنَّ يصل إلى القلب ، ويستثير كوامن النفس ،
ولن يكون كذلك إلا إذا أُوتِي حسن القول ، وحلاؤه الحديث ، ورقة التعبير ،
وجمال المعنى .

(١) مثيرة الأحزان .

ولم كان الحبيب يقبل ظلم الحبيب؟

يقبل ظالمها في كل شيء : تسىء فيحسن ، وتصد فيصل ، وتخون فيق .
ذلك لأن القسول الطيب ، والعمل الطيب يميلان القاوب فترق ، وتصفو .
وفي ذلك كسب للرضا ، وكسب للوصال .

رأيت لم كان الحب رقيق العاطفة ، مرهف الوجدان ، طيب الإحساس؟
وهل رأيت أن الحبوبة لا ترضى من حبيها أن يكون غليظ القلب ، جاف الطبع ،
إذن لا نفضت من حوله ، وانقطع ما بينهما من ود ، وعاشا في احتراب ، يولد بينهما
ألواناً من الشرور والآثام .

وهيئات أن يقوم في هذه الحرب صفاء ، ووفاء !

الفصل الثاني

سعة الحيلة

يجدنا شعر الغزل عن أعمال المحبين ، وهي تتطلب فطنة وذكاء ، وتتطلب حيلة ودهاء ! .

وإذا كانت الحاجة تتفق الحيلة ، كما يقولون ، فما أكثر حاجات المحبين ! .
هوفي حاجة إلى رضاها ، فليکدح ذهنه حتى ينعم بهذا الرضا .
هو في حاجة إلى عفوها ، فليس لك شئ الوسائل حتى يمحو من قلبها آثار الخطيئة وال مجران .

هوفي حاجة إلى أن يلقاها حتى يفوز بلذة اللقاء ، وما يوحيه من حديث ونجوى .
وما السبيل إلى ذلك ؟
إن عيون العواذل ترقبه ، وعيون النهار تفضحه ، وعيون الأهل والأقارب
تحرسها وترعاها .

فكيف بالمحب أن يفقأ هذه العيون ، وأن يتخبط هذه الأسوار ، وأن يكافح هذه الصعاب ؟

إنها بعيدة الدار . ارتاحل بها أهلها ، خوف الفضيحة والعار ، أو انتقل بها زوجها
حيث بلده وهو ناء بعيد .
فليرتاحل . ولكن كيف الوصول إليها ؟ فليعمل الحيلة حتى يفكر في طريق
الوصول ، ثم في طريق اللقاء .

وحين اللقاء ، كيف يحذر عيون الرقباء ، وما أكثرها ؟ !

إن للمحبين لغة يعرفونها ويفهمونها ، لغة الحركات والإشارات والغمزات واللاحظات ، فإذا لم يكونوا أهل فطنة وذكاء ما عرفا حل هذه الرموز .
يعيشون حيناً حتى لا يعرف العذول أن هناك قلوبًا تتحقق بالحب فلا يفصحها ، ولكن يعلمها حتى تنسجم بالحب فترة من الزمن ، بل يتتجاوزون هذا العبوس إلى اللوم والتعنيف ، وبالغة في التخفي والخيطة ، بل يتتجاوزونه إلى القطيعة والهجر حتى لا ينكشف أمرهم بين الناس .

يقول عمر بن أبي ربيعة :

فَلَمَا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ
وِجْهَ زَهَاهَا الْحَسْنُ أَنْ تَقْنَمَا
تَبَاهَنْ بِالْعِرْفَانِ لِمَا رَأَيْنَى
وَقَالَ: امْرُؤٌ بَاغَ أَكْلَ^(١) وَأَوْضَعَا

ويقول العباس بن الأخفف :

إِلَّا مَسَاطِرَةُ الْعَدُوِ الْكَاشِحُ
أَبْقَى لَوْصَلَكِ مِنْ دُنُونُ فَاضْحَى
وَعَلِمَتْ أَنْ تَسْتَرِي وَتَبَاعِدِي

ويقول :

يَا لِلرِّجَالِ الْعَاشَقِينَ تَوَاقُفُهَا
وَتَخَاطُبًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَا
حَتَّى إِذَا خَافَا الْعَيْنَ وَأَشْفَقَا
جَعْلَا الإِشَارَةَ بِالْأَنَمَلِ سُلْمًا
وَإِنَّا لَنَرِى فِي أَحْوَالِ الْمُحْبِينَ وَفِي أَيَّاتِ الْغُزلِ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْثَلَةِ ، نَعْرِفُ فِيهَا
حَدَّةَ الْذَّهَنِ ، وَسُعَةَ الْحَمِيلَةِ ، وَقُدرَةَ الْفَكْرِ وَالْعُقْلِ .

نَرِى أَنَّ كَثِيرًا مِنْ رِجَالِ الْغُزلِ يَحْتَالُونَ حِينَ يَزُورُونَ هُوَيَ نُفُوسَهُمْ ، فَيَتَنَكَّرُونَ
فِي أَزْيَائِهِمْ وَيَغْيِرُونَ هَيَّئَتِهِمْ حَتَّى لَا يَفْتَصَحُ أَمْرُهُمْ ، وَحَتَّى يَفْوِزُوا بِمَا يَتَغَيَّرُونَ .

هَذَا جَهْمِيلُ^(٢) بْنُ بَعْمَرِ الْعَذْرَى أَتَى بِثِينَةَ لَيْلًا فِي ثِيَابِ رَاعِي لَبَعْضِ الْحَىِ وَيَمْ

(١) أَعْيَاهُ السَّفَرُ وَأَسْرَعُ فِي السَّيْرِ .

(٢) الْأَغْنَانِ ج ٨ ص ١١٣

دارها سائلًا ، يتظاهر أمام الناس بأنه يسأل الصدقة والعطاء وكان في الحق يسائل
الود والوصل .

انتهى ناحية حيث كانت حبيبة قلبه تكرم ضيفانها ، ولو درت لأسرعت إليه
بقلبها . وقد سأله : من أنت ؟ فقال : مسكين ! فجلس وحده ، فعشت ضيفانها وعشته
وحده ، ثم جلست هي وجارية لها على صلاهما واضطجع القوم متبحرين .
وأراد جميل أن يسمعها صوتها حتى تعرف أمره .

قال :

هل البائس المقرر داني فمصلط من النار ، أو مُعطى لخافاً فلا بأس
فقالت بخاريتها : صوت جميل والله أذهبى فانظرى . فرجعت إليها فقالت :
هو والله جميل ! فشهقت شهقة سمعها القوم فأقبلوا يجرون ، وقالوا : مالك ! فطرحت برداً
لها من حبرة في النار وقالت : احترق بردى ، فرجع القوم ، وأرسلت بخاريتها إلى جميل
بغاءتها به ، وجادت له باللقاء .

انظر ماذا فعل جميل ؟ وماذا فعلت بشينة ، وكيف التقى ؟ .

الأ يدل هذا على ذكاء ، وفطنة ، وسعة حيلة ؟

وكان العرجي ^(١) يحب أم الأوقص . خرج ذات يوم إلى جنبات الطائف متزهاً
فيبصر بها في نسوة جالسة فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب ، دفنته الحيلة إلى مادفعت
إليه جميلاً إذ رأت أم الأوقص معه سقاء ابن فرفع إليه العرجي ثيابه وأخذ قعوده ولبسه ،
ولبس ثيابه وسر قريباً من النسوة ، فصحن به : أمعك ابن ؟ قال : نعم ، وما إلينه
وجعل يتأمل أم الأوقص ، وينظر أحياناً إلى الأرض ، كأنه يطلب شيئاً ، وهن يشربن
من اللبن ، فقالت امرأة منهن : أى شيء تطلب يا أمراكي في الأرض ؟ ، أضاع منك
شيء ؟ قال : نعم ، قلبي . فلما سمعت أم الأوقص كلامه نظرت إليه ، وكان أزرق

(١) الأغاني ج ١ ص ٣٩٦

فرفته . فقالت : العرجى ورب الكعبة ! وثبت وسترها نساوها ، وقان : انصرف عنا
لا حاجة بنا إلى لبنيك .

فضى منصرفًا وقال في ذلك :

أقول لاصحاجي ، ومثل ما بي
شكاه المرء ذو الوجد الأليم
إلى الأخرين مثلهمما إذا ما
تاوبه مورقة المسموم
لحييني والبلاء لقيت ظهرًا
بأعلى النقع^(١) أخت بني تميم

وزرى كثيراً من رجال الفزل يحتالون في سبيل وصال الحبيبة ، فيرساون الرسل
ويغرونهم بالمعريات ، ويرساون لهم الفكرة الصائبة ، والحقيقة البصيرة ، ويطلبون منهم الفطنة
واليقظة والحدر . وهؤلاء الرسل كم يحتالون ؟ حتى يصلوا إلى ما يريدون .
انظر وتأمل .

ماذا فعل قيس حق رأى حبيبه لبني ؟

طالت علة قيس ، وطال عذابه بفارق لبني . فليطلب الشفاء بالقرب منها .

ارتحل إلى المدينة وأتى امرأة من موالي بني زهرة يقال لها — بُريكة — ولم يشأ
أن ينزل رحله حتى وعدته أن تقضى حاجته كائنة ما كانت ، فنزل ودنا منها فقال :

أذكر حاجتي ؟

قالت — إن شئت .

قال — أنا قيس بن ذريح .

قالت — حييك الله وقربك ! إن ذكرك بلديد عندنا في كل وقت .

قال — وحاجتي أن أرى لبني . نظرة واحدة كيف شئت .

قالت — ذلك لك على[َ] .

فأقام عندها فترة من الزمن وأخذت أمره على الناس حتى لا ينكشف السر .

(١) موضع قرب مكة .

وهنا رسم الخطة ، ودبرا الفكرة ، وأعمالا الحيلة .

فإذا كان ؟

كان أن زارت بريكة لبني وزوجها ، وكان أن حملت معها كثيراً من المدايا .
وكان أن لاقتها وزوجها بهذا ، حتى يأنس بها ، كما أشار بذلك قيس .
نفذت بريكة هذه الخطة ، وكانت لبقة فطنة ظريفة ، وأكثرت من الزيارة حتى
أنس بها زوج لبني .

وحين شعرت بريكة ببارقة الأمل قالت لزوج لبني : اخبرني عنك : أنت خير
من زوجي ؟ قال : لا . قالت : فلبني خير مني ، قال لها : لا . قالت : فما بالى أزورها
ولا تزورني ؟ قال : ذلك إليها .

فأتهما ، وسألتهما الزيارة وأعلمتها أن قيساً عندها ، فأسرعت لبني إلى أن تلقى
حبيبهما ، وكان ما كان من شكوى وبكاء ، ومن شمون وشجون .
 وأنشدتها هذه الأبيات التي قالها في علة فراقها :

أعلى من نفسي بقابيا حشاشة على رمق والمعائدات تعود
فإن ذكرت لبني هششت لذكرها كاهش للشدي الدّرور وليد
أجيب بلبني من دعاني تجلدا وبي زفات تنجللى وتعود
وماذا فعل عمر بن أبي ربيعة حتى رأى هواه كلّم المخزومية ؟
كانت كلّم^(١) هذه تضرب رسيل عمر وتوذيه حتى لا يعودوا إليها . ولكن عمر
أعمل الحيلة حتى يصل إلى كلّم . ابتاع أمّة سوداء . وكانت لطيفة رقيقة ، وأحسن إليها
وكساحها وأنسها وعرفها خبره . وقال لها : إنّ أوصلت لي رقعة إلى كلّم فقرأتها فافت حرّة
ولك معيشتك ما بقيت . فقالت : أكتب لي مكتابة^(٢) وأكتب حاجتك في آخرها .

(١) الأغانى ج ١ س ٢٠٤

(٢) أن يكتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه مقططاً فإذا أداه صار حراً .

فعل ذلك عمر .

وهنا جاء دور هذه الأمة السوداء ، وجاء دور لباقيها وفطنتها وذكائها .
 ذهبت واستعانت ببعض بنات جنسها ، ولعلها ذكرت الحرية ، فرق لها قلبهـا
 حتى أدخلتها على سيدتها كلامـ، وكان أن حادتها ولاطفتهاـ وكانت رقيقة في الحديث
 لبقة في الملاطفة دفعت إليها المكتابة ، وتولـت إلـيـها أن تقرأـها ، وأن يصـيبـها من هذه
 القراءـةـ خـيرـ ، فعاـهـدـتهاـ وأعـطـتهاـ الـكتـابـ فإذاـ أولـهـ :

من عاشِقِ صَبَّرْ يُسِرَّ الْهَوَى
 إِلَيْكَ لِلْحَمْنَ وَلَمْ أَعْلَمْ
 فِي غَيْرِ مَا جُرْمَ وَلَمْ أَمْثُمْ
 مِنْيَنَا فِي آيَةِ الْمُحْكَمَ
 وَلَمْ يُقْدِهَا نَفْسَهُ يَظْلِمْ
 وَأَنْتَ ثَارِي فَتَلَافَّ ذَمِي
 وَحَكْمِي عَدْلًا يَكْنِي بَيْنَنَا
 وَجَالِسِينِي مَحْلَسًا وَاحْدَادًا
 وَخَبْرِيَنِي : مَا النَّذِي عَنْدَكُمْ

قد شـفـهـ الـوـجـدـ إـلـىـ كـلـمـ

رـأـتـكـ عـيـنـيـ فـدـعـانـيـ الـهـوـىـ

قـتـلـتـنـاـ،ـ يـاـ حـبـذاـ أـتـمـ،ـ

وـالـلـهـ قـدـ أـنـزـلـ فـيـ وـحـيـهـ

مـنـ يـقـتـلـ النـفـسـ كـذـاـ ظـالـماـ

وـكـانـ كـلـمـ حـينـ قـرـأتـ هـذـاـ الشـعـرـ قـلـبـهاـ ،ـ وـلـكـنـ خـافتـ أـنـ يـكـونـ منـ عـمرـ
 مـلـقاـ وـنـفـاقـاـ فـدـفـعـتـ رـسـوـلـهـ هـذـاـ الـقـلنـ دـفـعـاـ كـرـيـماـ .ـ قـالـتـ :ـ يـاـ مـوـلـاتـيـ :ـ يـاـ عـلـيـكـ
 مـنـ اـمـتـحـانـهـ ؟ـ وـمـاـ زـالـتـ بـهـاـ حـتـىـ أـخـذـتـ مـنـهـاـ مـوـعـدـاـ لـلـقاءـ .ـ وـتـلـاقـيـاـ وـمـكـثـ عـنـدـهـاـ
 شـهـرـاـ لـاـ يـدـرـىـ أـهـلـهـ أـنـ هـوـ ؟ـ ثـمـ تـرـزـجـهـاـ وـأـنـجـبـ مـنـهـاـ وـلـدـيـنـ أـحـدـهـ جـوانـ .ـ

فـأـصـبـحـتـ حـرـةـ طـلـيقـةـ جـزـاءـ ماـ فـعـلـتـ مـنـ حـيـلـةـ وـذـكـاءـ وـتـدـبـيرـ .ـ

وـاسـتـطـاعـ عـمـرـ بـهـذـاـ كـلـهـ أـنـ يـصـلـ إـلـىـ مـاـ يـرـيدـ ،ـ وـإـلـىـ أـكـثـرـ مـاـ يـرـيدـ .ـ

وـالـفـضـلـ فـذـلـكـ يـرـجـعـ إـلـىـ هـذـهـ الـأـمـةـ السـوـدـاءـ ؟ـ وـلـوـلـاـ مـاـ كـانـ لـهـذـهـ الـأـمـةـ

من ذكاء وفطنة وحسن تدبير ما أفلحت في الوصول إلى ما تبغى ، ويبلغى عمر .
كيف أثرت على خادم كلثوم حتى أدخلتها عليهما ؟
في ذلك حيلة ، وحسن تدبير .

ثم كيف أثرت على كلام نفسها حتى أصفت إلى قوله ، وقرأت كتاب عمر
وكان من قبل جامعة نافرة ، تؤدي الرسل ، وتذكره ذكر عمر ؟
في ذلك حيلة ، وأية حيلة !

خافت كلام أن يكون شعر عمر فيها نوعاً من الملائكة والرياء لا يتحمل قليلاً حالياً ، وحبيباً صافياً ، فعاد لها شيء من النفور والجموح ، بعد أن كاد يرق له القلب . ولكن هذه الأمة السوداء استطاعت أن تزيف عن كلام هذا الخوف ، واستطاعت أن تزين أن تختبره ، وتقتحمه ، لعلها تظفر بخير من وراء هذا الامتحان .

وَكَيْفَ تَعْرِفُ الْحَسِيبَةَ أَمْ حَسِيبَهَا، وَأَنَّهُ جَاءَ يَسْعَى إِلَيْهَا، طَالِبًاً وَدَهَا وَوَصَالَهَا.

كان جميل^(١) ابن عم أخذني يومه على حب بثينة لوما عنيفاً، ولما رأى ألاً مناص
من همامة بها رق له وكان عنده في رؤيتها فلما جاء إلى رجل من رهط بثينة، وأخبره
الخبر واستمعده كثيارة، وسألته مساعدته فيه.

فقال له : لقد جئتني بإحدى المظاہم . ويحك ! إن في هذا معادتی الحی " جيئعاً
إن فطن به . فقال : أنا أتحرز في أمره من أن يظهر . ثم أتياه وأقاما عنده ، وأرسل
إلى بشيطة بوليدة له بخاتم جميل ، فدفعه إليها فاما رأته عرفت وجاءته وتحدثا ليلتهما ،
وفى ليل آخرى .

وفي مرة أخرى أرسل لها كثيراً يسألها موعداً ولقاء ، ولم يجعل العالمة بيته
وبيتها خاتماً يرسمه إليها بل أبياتاً من الشعر تسمعها ثم يجيب على هذا السؤال ، وأبواها
حاضر لا يعرف من الأمر شيئاً .

لقي جميل بشينة آخر مرة حيث كانت تغسل ثيابها في مكان يقال له « وادي الدّوم » فذكر هذه العالمة في بضعة أبيات خاطب فيها عزة ، وكان الأولى أن يكون الخطاب إلى بشينة ، ولكن هي الحيلة حتى لا يعرف أبوها وحتى لا يتضح الأمر . قال ينشد أباها وبشينة تسمع :

فقلت لها : يا عز أرسل صاحبي إليك رسولا ، والموكل مرسلا
بأن تحجلي بيني وبينك موعداً وأن تأسيني ما الذي فيه أفعل
وآخر عهدي منك يوم لقيستني بأسفل وادي الدوم والثوب يُغسل
قالوا : فضررت بشينة خدرها وقالت أخسا ! فقال لها أبوها مهيم^(١) يا بشينة .
فقالت : كلب يأتينا إذا نوم الناس من وراء الراية ، ثم قالت للجارية : ابغينا من
الدومات حطباً لنذهب لكثير شاة ونشويها له ، ولكن كثيراً كان عجولاً لأن صاحبه
جميلاً ينتظره في شوق ولهفة ، وما كان كثير يريد قري ولكنه أراد موعداً جميلاً .
وقد ظهر بما أراد ، فلما ذهب إلى جميل ليزف إليه بشرى أن بشينة ستلقاه وأن موعدها
الدومات . وفي هذا احتيال وذكاء . لا ينكر كثير نفسه إيجابه بهما . فيقول : مارأيت
مثل علم أحدها بضمير الآخر ! ما أدرى أيهما كان أفهم .

وكان أن تواعد عمر أبي ربيعة^(٢) مع بنت محمد بن الأشعث الكندية حتى يلقاها
وجعل الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد — إن لم يكنه أن يرسل رسولاً
يعلمها بمصيره إلى المكان الذي وعدها وذلك قوله :

واية ذلك أن تسمع إذا جئتم ناشداً ينشد
ولجا إلى رجل اسمه بُدِيْح ليكون رسولة إليها فأبي . وقال :
مثلي لا يعين على مثل هذا .

ولكن عمر كان صاحب حيلة وفطنة ودهاء فغريب بغلته بعيداً ثم جاء بدليحا

(١) كلمة يهانية معناها : ماذا بك ؟ (٢) الأغانى ج ١ ص ٨٨

نفسه ، وقال له : قد أضلالت بغلتي فانشدها لى في زفاف الحاج ، وذهب بدبيع عن طيبة قاب فتشدتها فرجت بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية وأتت عمر لموعده وعرف بدبيع أن خدعة عمر ، وقال له : سحرتني وأنا رجل ! فكيف برقة النساء وضعف رأيهم وما آمنك بعدها ولو دخلت الطواف ظننت أنك دخلته لبلية !

فأنت ترى من هذا : ماذا فعل جميل حتى علمت حبيبته بحضوره ليراها ، إذ دس إليها طوراً خاتمه مع وليدة لا تكاد تبين ، وطوراً علامة ضمنها كثير بضعة أبيات من الشعر . وماذا فعل عمر حتى علمت هواه بموعد اللقاء ، إذ دس لها من ينشد ضياع بغلته ، ولم يكن هناك فقد ولا ضياع ، بل كان موعد ولقاء !

وماذا نرى من حيل النساء ؟ وهن أصحاب فطنة وخداع وذكاء !

المرأة دائمًا ذات وسوسه وشك وأوهام . فهى أقرب في حبها إلى القلق والخيرة والاضطراب . مهمما أظهر الرجل من حبه وعطشه وهياقه . ومهما كان له من سمعه وصفاته ونحوه خير شاهد ودليل . فإن المرأة تهمه بما ليس فيه ، تهمه بكراهيتها والإعراض عنها ، وهو الذى يذوب قلبه في سبيل حبها وتذبل زهرة شبابه كلها ، وشوقا إليها .

وهل ترى مثل كثير في حبه عزة ؟

وهل ترى مثل مجانون بنى عاص في حبه ليل ؟

إننا نضرب بهذا الحب أصدق الأمثال في القوة والتماسك ووحدة البناء .

ومع ذلك لا نرى من عزة ولا نرى من ليلي قناعة ورضا ، ويذهب بهما ضعف هذا الرضا إلى اتهام صاحبيهما ، وإلى أن يحتالا حتى يعرفا مدى هذا الاتهام من خطأ أو صواب ، ومن كذب أو صدق .

وكيف السبيل ؟

أما عزة (١) فقد أغرت بثينة صاحبة جميل أن تتصدى لـ كثير وتطمئنه في نفسها

حتى تسمع ما يحبها به . فأقبلت بثينة إلى كثير وعزة تمشي وراءها مخفية ، وعرضت عليه الوصل ، ولكن كثيرا كان أكثر وفاة لصاحبته وأكثر حبا لها ، فلم يتحقق لثينة سؤلها ، وأعرض عنها في أدب ورق وقال :

رمتنى على عمد بثينة بعد ما تولى شبابي وارجحن^(١) شبابها
وقال :

ولكنا ترمين نفساً مريضة لعنة منها صفوها ولبابها
وليلي حيث كان الحب بينها وبين المجنون لا يزال غصاً حديث العهد . أرادت
أن تحتمل حتى تعرف مدى حبه لها وكلفه بها ، وأنها المجنون ذات يوم وكانت تمجلس
بغناه بيتها وعندها جويريات يتهدثن معها ، فجعلت تُعرض عن حديثه ساعة بعد
ساعة وتتحدث غيره ، وزاد الطين بلة ، كما يقولون ، أنها أقبلت على فتي من الحي
فحدثته فترة طويلة ، وسارته طويلا ، وظاهرت بمحنته والانتناس به .

فعلت ليلى هذا حتى تعرف حال المجنون ، ولم تكن حالة في حاجة إلى معرفة
وبيان ، ولكنها المرأة لا تكاد تصدق إلا بعد بحث واحتياط . أما المجنون فقد أكفره
وجهه ، وزاد وجيب قلبه ، وتطاير الشرف بريق عينيه ، ولم تمهله ليلى على هذه الحال
طويلا شفقة عليه ، ورحمة به ، فأعلنت حبها له ، وأنشأت تقول :

كلانا مُظہر للناس بغضنا وكل عنده صاحبه مكين
تبلغنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثم هوئ دفين
وتمكن الحب بين قلبيهما وأصبح لنا في هذا الحب أصدق الأمثال .
وترى نوعا آخر من حيل النساء لا تبلو به المرأة حبيبها ، ولكن تصونه من
العدوان والأذى .

كان توبة بن الحمير يحب ليلى الأخيلية ، وكان يلقاها حتى شهر أمره فعاتبه

(١) اهتز شبابها نصاراة وحسنا .

أخوها وقومها فلم يعتصب^(١)، وشكوه إلى قومه فلم يقلع، فتضالموا إلى السلطان فأهدر دمه
إن أتاهم ، وعلم بذلك ليلي .

فكيف تخبره لي؟ وكيف تحتمل في هذا الخبر؟

إن زوجها كان غيوراً عليها، وحلف لئن لم تعاشه بعبيئه ليقتلنها ، ولئن اندرته بذلك ليقتلنها . وكان من عادتها أن تبرق حين تلقاءه .

وخرج ذات صر إليها وكان أهلها يرصدونه وخافت عليه السوء والأذى فخرجت
وجلست في طريقة ، ولما اقترب منها ألت البرق عن رأسها ، فقطن لما أرادت وعلم
أن قومها يتربصون به ، وكرّ راجعاً ، وبذلك نجا من الموت .

وفي ذلك يقول :

وَكُنْتَ إِذَا مَا جِئْتَ لِلَّيْلَ تَبَرَّقْتَ
فَقَدْ رَأَبْنِي مِنْهَا الْفَسَادَةُ سُفَورُهَا
وَلَوْلَا فَطْنَةُ تُوبَةِ ، وَلَوْلَا حِيلَةُ لِلَّيْلِ لَكَانَ الْبَلَاءُ الْمُظْبَمُ .

ثم اقرأ هذه الأبيات لعمر بن أبي ربيعة :

(١) أى لم يرضهم .
(٢) جم أصيل وهو العشى .

ما سُمِّيَ القلب إلا من تقلبه ولا الفؤاد فؤاداً غير أن عقلاً
هذه الأبيات قالها عمر في وداع الثريا ، حين انتقلت إلى الشام مع زوجها
سَهْيل بن عبد العزيز .

إقرأ هذه الأبيات ، وتأمل هذه الأنفاظ :

لَا تَعْنِيَ بِهِ جَدْلًا . وَلَيْسَ يَنْفُى عَلَى ذَى الْلَّبِ مِنْ هَرْلَا . أَرَادَتْ بِهِ بَخْلًا لِأَعْذَرِهَا .
لَنْ تَعْدِمَ الْعَلَلَا . وَلَا الفُؤُادَ فُؤُادًا غَيْرَ أَنْ عَقْلًا .

أَلَا تَدْلِي هَذِهِ الْعَبَارَاتِ عَلَى وِسْعَةِ الْحَيْلَةِ ، وَيَقْظَةِ الْعَقْلِ ؟

إِذَا وَقَعْتَ خَصْوَمَةً بَيْنَ الْمُحْبِينَ فَالْغَلْبَةُ لِمَنْ يَتَسَلَّحُ لَهَا بِالْحَيْلَةِ وَالْفَطْنَةِ ، وَفَضْلَاحَةِ الْقَوْلِ .
وَإِذَا سَجَرَتْ بِيَنْهُمْ أَحْوَالُ فَإِنْ ذَا الْلَّبِ يَسْتَطِعُ أَنْ يَمْيِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الْطَّيِّبِ ،
وَأَنْ يَعْرِفَ الْجَدَنَ مِنَ الْهَزْلِ .

وَإِنَّ الْمَرْأَةَ فِي كَثِيرٍ مِنْ شَجَونِ الْحُبِ تَتَلَمَّسُ الْأَسْبَابَ ، حَتَّى يَكُونَ لَهَا الْعَذْرُ
فِي الصَّدِ وَالْمَهْبَرَانِ .

وَإِنَّ الْمُحْبِينَ عُقُولًا ، وَعُقُولًا مَرْهَفَةً ، تَسْتَطِعُ أَنْ تَدْرِكَ بِهَا الْأَمْوَرَ ، وَأَنْ تَتَبَيَّنَ
الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ .

ثُمَّ تَأْمِلُ الْقَضِيَّةَ الَّتِي تَحْدَثُنَا عَنْهَا هَذِهِ الْأَبِيَّاتِ :
أَوْ بِعِبَارَةِ أُخْرَى كَيْفَ تَكُونُ الْمَرْأَةُ وَاسْعَةُ الْحَيْلَةِ ، إِذَا تَهْمَمُ الرَّجُلُ لِيَكُونَ لَهَا الْعَذْرُ
فِي أَنْ تَجْفَوْهُ ، وَكَيْفَ يَدْفَعُ الرَّجُلُ عَنْ نَفْسِهِ هَذِهِ الْآثَامِ ؟

تَقْسُوُ الْمَرْأَةُ عَلَى حَبِّيهَا وَتَهْجُرُهُ تَدَلَّلًا مِنْهَا وَتَجْنِيًّا ، وَقَدْ يَتَذَلَّلُ لَهَا الرَّجُلُ وَيَتَوَسَّلُ ،
فَتَقْمَعُنَّهُ فِي الْجَفْوَةِ وَالْمَهْبَرِ ، حَتَّى يَزْدَادَ بِهَا الرَّجُلُ كَلْفًا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
وَزَادَنِي شَغْفًا بِالْحُبِّ أَنْ مَنَعْتَ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَى الإِنْسَانِ مَا مُنْعِا
وَكَذَلِكَ حَبِيبَةُ عَمَرٍ تَهْجُرُهُ ، وَلَا تَجِدُهُ بِالْوَصْلِ ، ثُمَّ تَرْسِلُ إِلَيْهِ رَسُولاً
تَلَوْمَهُ وَتَعْنَفَهُ وَتَرْجُرَهُ .

ماذا فعل عمر حتى يلقى هذه العاصفة من اللوم والتقرير؟
لم يفعل شيئاً.

ولكنها المرأة تمعن في تعذيب الرجل، وفي اتهامه بالسوء حتى يعود إليها أكثر ما يكون تذلاً وتسلاً.

أرسلت إليه رسولها بعد أن أوحى إليها أن تكون فطنة حذرة، وأن تكون لينة رقيقة، حتى لا تثير غضبه، فإنه يكره العذل، وأوصتها أن تبته هذه الدعوى التي تتلخص في أن الوشاة سبّوها لدى عمر وانتقصواها، وأساءوا إليها واحتفل عمر بهذه الإساءة، كأنه يصدقها، فلم يدفع عن الثريا هذه المنكرات، وإن هذا الكلام نقل إليها من صدوق أمين، دون زيادة أو نقصان.

كيف يغضى عمر عن قول الوشاة؟ إنه لظلوم.

وكيف لا يفعل مثل فعلها، إذا جاءها واثي ينتقصه؟ فإنه لا يعود إلا كثيراً حزيناً.
إنه إذن كاره، جاف القلب، يستحق منها البعد والبعد، والهجران.
هذه هي الدعوى وتلك هي المدعية.

فماذا يرى المدعى عليه؟

يرى عمر أن ذلك كله حيلة، لا تجوز في شرعة العقلاء.

قالت: اسمعى فلقد أبلغت في لطف وليس يخفى على ذي الاب من هزلا
ويرى أن الثريا بهذه الحيلة تريد أن تبرأ مامه هجرها له وبعدها عنه،
حتى يكون لها العذر فيما فعلت، وذلك شأنها تلباً إلى الحيلة، حين تضيق
بها السبيل.

هذا أرادت به بخلا لأعذرها وقد أرى أنها لن تعد العلا
ويرى أن للرجل عقلاب ينير له مسالك الحياة، ويتجنبه مواطن التلف والخطلل،
وعقل عمر لا يصدق هذه الأحابيل، ولا تجد إلى عقله سبيلاً.

وأقرأ ما يقول أبو نواس^(١) :

لما جفاني الحبيب وامتنعتْ
عنى الرسالات منه والخبرُ
ذَكْرُ حبيبي والمهم والفسْكُرُ
في خلوة والدموع تنحدر
أَقْرَحْ جَهْنَمِي الْمَكَاهِ وَالسَّهَرُ
صدر حبيبي وأنت مقتدر
ولا جرى في مفاصلِي السَّكَرُ
أَرْوُحُ فِي درسِه وأبتكر
أَزَالَ دهرِي بالخير آتَمْ
حتى أتاني الحبيب يعتذر
أفضل ما كان قبلَ يهتجِرُ^(٢)
عندِي لإيليس ما لها خطَرُ

ألا تضحك معى حين تقرأ هذه الأبيات؟ لأنها تدل على ظرف ودعاية حاوية.

ثم ألا تعجب معى حين تقرأ هذه الأبيات؟ لأنها تدل على معنى دقيق، وتصوير
رقيق وخيال جميل .

ثم تدل على يقظة واحتياط ، وحسن تدبير .

أبو نواس هبره الحبيب فماذا يفعل؟

يشتد به الشوق حتى كاد يقتله ، فهل يسلم نفسه إلى الرضا والخنوع؟

ليس أبو نواس بالرجل الخامل ، حتى يقنع بالذل والهوان ، وليس بالرجل الغافل
الذى تعيبه الحيلة ، وينقصه الرأى السديد .

لابد أن يختال حتى ينعم برضاء الحبيب .

(٢) يقال هبره واهتجبره بمعنى جفاه .

(١) عصر المؤمن ملحق ج ٣ ص ٢٢٣

فكيف الحيلة؟

يعرف أن إبليس يغرى الإنسان ويفويه حتى ينساق إلى هواه .
 فلم لا يتخذ من الشيطان رسـولـه للحـيـبـ، حتى يـزـينـ له الوـصالـ بـعـدـ الجـفـوةـ ،
 والرضا بعد الصـدـودـ؟

فـكـيـفـ وـصـلـ أـبـوـ نـوـاـسـ إـلـىـ الشـيـطـاـنـ؟
 دـعـاهـ فـيـ خـلـوـةـ ، وـبـكـيـ بـيـنـ يـدـيـهـ ، وـكـشـفـ لـهـ عـنـ آـلـمـهـ وـأـسـقـامـهـ ، لـهـ
 يـرـقـ وـيـرـحـمـ .

ثـمـ بـيـنـ أـنـهـ مـنـ أـشـيـاعـهـ وـأـتـبـاعـهـ ، فـهـوـ يـقـولـ الشـعـرـ وـيـسـمـعـ الـغـنـاءـ ، وـيـخـتـسـىـ الـخـمـ ،
 وـمـنـ الـحـقـ عـلـىـ إـبـلـيـسـ أـنـ يـسـاعـدـ شـيـعـتـهـ وـتـابـعـيـهـ .

ثـمـ أـنـذـرـهـ إـنـ لـمـ يـكـنـ رـسـولـهـ إـلـىـ حـبـيـبـهـ أـنـ يـتـخـلـىـ عـنـ نـصـرـتـهـ وـتـأـيـيـدـهـ ، بـلـ يـجـاهـدـهـ
 وـيـغـالـيـهـ ، فـيـقـرـأـ الـقـرـآنـ ، وـيـلـزـمـ الصـومـ وـالـصـلـاـةـ ، وـيـفـعـلـ الـخـيرـ .

رـقـ إـبـلـيـسـ لـقـةـ حـالـهـ ، وـخـافـ أـنـ يـنـتـقـصـ وـاحـدـاـ مـنـ مـرـيـدـيـهـ ، فـأـنـيـ الـحـيـبـ ، وـأـخـذـ
 يـوـسـوـسـ لـهـ ، حـتـىـ جـاءـ بـعـدـ قـلـيلـ مـنـ الزـمـنـ ، يـعـتـدـرـ إـلـىـ أـبـيـ نـوـاـسـ ، وـكـانـ مـنـ قـبـلـ
 أـبـيـاـ جـوـحـاـ .

ثـمـ اـقـرـأـ مـاـ يـقـولـ بـشـارـ^(١):

يـاـ مـنـظـرـاـ حـسـنـاـ رـأـيـتـهـ
 مـنـ وـجـهـ جـارـيـةـ قـدـيـتـهـ
 بـعـثـتـ إـلـىـ تـسـوـمـيـهـ
 ثـوـبـ الشـبـابـ وـقـدـ طـوـيـتـهـ
 وـالـلـهـ رـبـ مـحـمـدـ
 مـاـنـ غـدـرـتـ وـلـانـوـيـتـهـ
 أـمـسـكـتـ عـنـكـ وـرـبـاـ عـرـضـ الـبـلـاـ وـمـاـ اـبـغـيـتـهـ
 إـنـ اـخـلـيـفـةـ قـدـ أـبـيـ
 وـإـذـاـ أـبـيـ شـيـئـاـ أـبـيـتـهـ

(١) عـصـرـ الـأـمـوـنـ مـلـحقـ جـ ٢ـ صـ ٢٦٥

وَخَصْبٌ (١) رَّخْصٌ (٢) الْبَنَا
نَبَكَ عَلَىٰ وَمَابَكِيْتُهُ
وَيَشْوَقَنِي بَيْتُ الْحَبِيبِ إِذَا أَدَّكْرْتُ وَأَيْنِ بَيْتُهُ
قَامَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ فَصَبَرَتْ عَنْهُ وَمَا قَيْمَتُهُ
وَنَهَانِي الْمَلَكُ الْهَمَامُ عَنِ النَّسَاءِ وَمَا عَصَيْتُهُ
لَا بَلْ وَقَيْتُ فَلِمْ أُضْعِنْ عَهْدًا وَلَا رَأِيْتُهُ
فَإِنَا نَرِي بِشَارًا وَقَدْ مَنَعَهُ الْمَهْدِيُّ عَنِ الْغَزْلِ كَيْفَ يَكْدُحُ الْذَّهَنَ؟ وَكَيْفَ يَحْتَالُ؟
حَتَّىٰ يَقُولَ هَذَا الشِّعْرُ .

وَفِي هَذَا الشِّعْرُ غَزْلٌ .

فِيهِ ذَكْرُ بَجَالِ الْمَرْأَةِ وَأَنَّهُ يَفْدِي هَذَا الْبَجَالَ بِرُوحِهِ .
وَفِيهِ مَا يَقْعُدُ بَيْنَ الْحَبَيْبِ أَوْلُ الْأَسْرِ مِنْ سُومٍ ، وَإِغْرَاءٍ ، وَمَنَاغَةٍ .
وَفِيهِ شَوْقٌ لِبَيْتِ الْحَبِيبِ وَمَا فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ ذَكْرِيَّاتٍ وَشَجَونَ .
أَلِيسْ هَذَا كَلْهُ غَرْلَا؟

بَلْ ..!

وَلَكِنْ بِشَارًا كَانَ مَا كَرَّا خَيْثَا فَقَطَاهُرَ بَأْنَهُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا طَاعَةِ الْخَلِيفَةِ
وَإِذْعَانًا لِأَسْرِهِ .

خَافَ بِشَارٌ أَنْ يَنْالَهُ مِنَ الْمَهْدِيِّ مَكْرُوهٌ ، وَمَالَ إِلَىٰ أَنْ يَشْبُعَ فِي الْغَزْلِ هُوَ نَفْسُهُ ،
فَقَطَّلَفَ ، وَتَحَاوَلَ ، حَتَّىٰ كَانَ مِنْهُ غَزْلٌ عَلَىٰ هَذِهِ الصُّورَةِ الرَّائِعَةِ الْجَمِيلَةِ فَلِمْ يَغْضَبِ الْخَلِيفَةُ
وَلِمْ يَتَعَرَّضْ لِأَذَادَهُ .

وَنَرِي فِي شِعْرِ الْغَزْلِ أُمَّةٌ كَثِيرَةٌ نَقْرَأُ فِيهَا كَلَامَ الْحِيَلَةِ وَالْعُقْلِ ، وَالْعِلْمِ ، وَالْجَهَلِ ،
بَلْ نَرِي أَنْ بَعْضَ الشُّعُرَاءِ يَضْيِيقُ ذِرْعًا فَيَنْشَدُ النَّاسُ أَنْ يَتَغَوَّلَهُ حِيَلَةُ ، حَتَّىٰ يَصْلِي
إِلَى حُبِّ الْمَرْأَةِ وَرِضَاهَا .

(٢) رَخْصُ الْبَنَانِ : نَاعِمُ لِينُ الْمَلَمْسِ .

(١) خَصْبٌ يَدُهُ بِالْحَضَابِ لَوْنَهَا .

قال الشاعر ^(١):

شَكُوتُ قَوْلَتْ كُلُّ هَذَا تِبْرُؤُ
فَلَمَا كَتَمَتْ الْحُبُّ قَالَتْ لَشَدَّ ما
وَأَدْنُو فَتَعْصِيَنِي ، فَأَبْعَدَ طَالِبًا
فَشَكَوَاهُ تَؤَذِّيَهَا وَصَبَرَاهَا
فِيهَا قَوْمٌ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْرُفُونَهَا
وَقَالَ الْأَعْمَى التَّطْبِيلِي ^(٢):

فَانْظُرْ بِعْقَلِكَ إِنَّ الْعَيْنَ كَاذِبَةٌ
وَلَا تَقْسِلْ كُلُّ ذَى عَيْنٍ لَهُ نَظَرٌ
وَقَالَ الْعَبَاسُ بْنُ الْأَحْنَفَ ^(٣):

لَوْ كَنْتَ عَاتِبَةً لَسْكَنْ رَوَعَتِي
لَكِنْ مَلِيَّتُ فَلَمْ تَكُنْ لِي حِيلَةٌ
وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصَلِي ^(٤):

وَعَلِمْتُنِي كَيْفَ الْهَوَى وَجَهَتْهُ
وَأَعْلَمُ مَالِي عَنْدَكُمْ فَيَرِدَنِي
وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْمَلُوحَ — الْجَنُونُ —

يَدْنِي لَنَا تَكْلِيمَ لَيْلِي احْتِيَالُهَا
بِأَوْلَ بَاغِ حَاجَةً لَا يَنْمَلِمَا

أَتَيْنَ الذِّي يَأْتِينَ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَجْلِي

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ :
فَقَمْنَ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا الْأَلْبَ أَنَّا

(٢) بِلَاغَةُ الْعَرَبِ ص ٦٩

(٤) مِعْجمُ الْأَدْبَارِ ج ١ ص ١٨٠

(١) تَزِينُ الْأَسْوَاقَ ص ١٠

(٣) الْأَغَانِي ج ٨ ص ٣٥٥

ولعل القارئ حين يدرك هذا كله يؤمن مع أن للعقل شأنًا عظيمًا في الغزل ،
 وأن المحب إذا لم يكن ذا فطنة ، وذكاء وحيلة ، وتدبر ، لم يكن أهلاً لهذا الغزل .
 وقد قدمت لك أن من شئون الغزل ما يتطلب الفطنة وسعة الحيلة ، وأن في لغة
الغزل إشارات وحركات يتطلب فهمها فطنة وسعة حيلة ، وأن في شعر الغزل ما يصف
رجال الغزل ونساءه بالفطنة وسعة الحيلة . وفوق ذلك فالغفلة صفة ذميمة لا يرضاهما
المحب في حبيبه ولا الحبيبة في حبوبها ، ومن شأن الحبيبين أن يتبعا كل ما هو
ذميم سقيم .

وفي حياة الغزل سمو وفن وجمال ولا يحيى هذه الحياة ولا ينعم بظلها الوارفة
الكريمة إلا الأذكياء النابهون .

قلنا إن من أثر الغزل العاطفة . ونقول هنا إن من أثره العقل أيضاً .

وقد يصح أن نتساءل :

كيف يجتمع القلب والعقل في الغزل؟ وهو أمران قد يكون بينهما شيء من التباعد والتنافر . فنحو العاطفة يصبح أسير عاطفته ، لا يبالى ما تأتى به صروف القدر ، لا يفكّر في شيء إلا في أن يروي ظمأنه ، ويسبّع غليله ، وذو العقل يزن مسائل الحياة وزناً دقيقاً ويحسم لكل شيء حسابه ، ولا يأبه في كثير لمسائل القلب والروح .

لا شك في هذا التباعد بين القلب والعقل، ولكنني لا أرى هذا التباعد بينهما في حياة الغزل؛ بل أرى أنهم يتساندان ويتعاونان لخير الرجل والمرأة؛ ذلك أن القلب إذا غلبه الحب فإن العقل لا يعرقل هذا الحب، ولا يقف في سبيله، بل يسعى جاهداً في أن يغذى عاطفته، ويتحقق لها ما ترنو إليه وتصبو.

الفصل الثالث

الطموح

الطموح هو الرغبة في الوصول إلى الأمل البعيد .
وفي سبيل تحقيق هذا الأمل لا بد أن يركب صاحبه الأخطار والأهوال .
فالمجندي في ساحة القتال حين يكون بعيد الأمل لا بد أن يجاهد ويناضل
ولو أدى ذلك إلى حتفه وهلاكه . وحينئذ يكون له الفوز والنصر البين . فإذا خاف
الشدائد ، وتقاعس منه العزم وفترت الهمة أصابته الخيبة والإخفاق .
وكذلك المحب حين يهفو قلبه إلى الحبيب لا بد أن يكون طموحاً حتى يظفر
بتتحقق ما يريد .
فإن في الحب آلاماً . وإن في الحب أهوالاً . وإن في الحب نضالاً . فإذا لم يكن
الحب طموحاً وقف عند أول صدمة يلقاها من الحبيب وبذلك يموت حبه قبل
أن يولد وتنطفئ جذوره قبل أن تشتعل .
أما إذا كان طموحاً فإن عزمه لن يتثنى ، وإن قوته لا تضعف أمام غصص
الحب ، مما كانت مريدة المذاق ، فإن قوة عزمه تصرخ الخطوب ، وإن نور أمله
ليكشف له ظلام الطريق ، ويهديه سواء السبيل .
يلقى من الحبيب هرراً طويلاً ، فيحتمل ، حتى تدنو ساعة الوصال .
يقف العواذل يدهنه وبين الحبيب سداً منيعاً ، فلا يقتطع من رحمة الله ، بل يجاهدهم
حتى يظفر باللقاء .
يقسوا الأهل والأقرباء ويلومونه كما يلومونها ، ويقفون حجر عثرة في سبيله كما

(١) مثيرة الأحزان .

يقفون في سبيلها . ولكن الأمل يحدوها إلى تحطم هذه الأحجار حتى تلاقى القلوب .
يحولون بينه وبينها ، بالرحبيل تارة وبالزواج طوراً ، وهم بذلك يحولون بين الأجسام
أما الأرواح فهى تتآخى وتتناجى . حتى الأجسام لا يحولون بينها . فإنه يرتحل إليها
ويتحمل عناء السفر حتى يلقاها وتلقاه .

ما أكثر قيود الحب !

وما أكثر آلامه !

والرجل الطموح فهون أمامه عظام الأمور . وبسمة الأمال يهون أمامها كل
صعب جموح ، فما بالنا إذن نسخر من هؤلاء الأحباب ، وزرميمهم تارة بالسفة ، وتارة
بانخبيل ، وتارة بالجنون ؟ .

ولم لا نقول : إن لهم في الحياة رسالة عقدوا العزم على أدائها ، يسوقهم الأمل ،
ويحدوهم الرجاء ؟

ولكنها رسالة شاقة عنيفة لأنها تتصل بالقلب ، تتصل بالروح ، تتصل بالمرأة
وهي سر الحياة . صدمتهم في هذه السبيل رياح عاصفة هوجاء ، فأبوا في كفاحها بلاء
حسيناً ، نشيد الآن بأثاره ، ونتحدث عن ذكراه .

وإن لزوى في الحب ضرباً من الطموح .

فالحب لا يفتأ طلب حبيبه ، وي jihad في سبيل طلبه ، ولا يجد اليأس سبيلاً
إلى قلبه حتى يظفر بلقائه .

يقول جحيل العذرى :

أفق أيها القلب الالحجوج عن الجهل ودع عنك جحلاً لاسبيل إلى مجھل
فأو تركت عقلي معى ما طلبتها ولكن طلابها^(١) لافتات من عقلى

(١) طلب إياها .

ويقول قيس بن ذريح :

خليلي إني ميت أو مُكَلَّمٌ
لبيتى بسرى فامضيا وذراني

ويقول عمر بن أبي ربيعة :

أمسى بأسماء هذا القلب معهوماً
إذا أقسوه صحا يعتاده عيداً

فما أمل ولا توف المواعيد
آخرى على موعد منها فتحلى فني

ويقول أبو نواس :

الم تر أنى أفتئت عمرى
بطلبها ومطلبها عسير

فاما لم أجده سبباً إليها
يقربني وأعيتها الأمور

حججتُ وقلت قد حججت جنان
فيجمعنى وإياها المسير

فإن جميلاً يأبى عليه طموحه إلا أن يطلبها، وأن يسعى في طلبها، ولو كانت عزيزة
المنال . وكأنه شق بهذا فيخاطب قلبه الجحوج بأن يرعوي عن حبه . ولكن هيهات !
ويجعل طلبه إليها بأنها سلبته عقله ، والأمر ليس كذلك . إنما هو الطموح يدفعه
إلى أن يراها ، ولو أباح الوالى قتله إن فعل .

وقيس — كما حدثنا الرواة — حين قال هذا البيت — يرتحل متعللاً بالصيد ليرى
لبنى ، فلما أعنياه الجهد ، ولم يرها ، ولم يجد من يرسله ، قال له رفاته : قد عرفنا ما أردت
پاخراً جننا معك . إنك لم ترد الصيد وإنما أردت لقاء لبني . وقد تعذر عليك فانصرف
الآن . ولكن طموحه أبى عليه أن يربح المكان حتى يراها ، وقد تم له ما أراد .
و عمر لا يمل حبوبته مهما تجنت وأخلفت فهو لا يزال يطلب وصالها حتى
يغادر به .

وأبو نواس أعنيه الأمور في طلبها ، ولكن أبى عليه طموحه إلا أن يجتمع بها
في الحج إلى بيت الله . والمحب يعيش بالأمل في وصال الحبيب ، الذي يراه قريباً
وإن رأوه بعيداً ، والذى لا يقنع فيه بالقليل ، والقليل منه جميل .

ويقول محرز^(١) العكلى :

كفى حَزَنَا ألا يزال يعودنا على اليأس طيفٌ من خيالكِ يا نعمٌ
وأنتِ مكان النجم متّا وهل لنا من النجم إلا أنْ يُقابلنا النجم
ويقول ابن الروى :

سَعِدَتْ مقلتي بوجهكِ لولا أنها أعقبت بطول الشهاد
ليس فيها كسيت من حلل الحسن ولا في هوای من مستزاد
ويقول عمر بن أبي ربيعة :

فَعِدَى نائلًا وَإِنْ لَمْ تُنْيِلِ إِنَّهُ يَنْفَعُ الْحُبَّ الرَّجَاءُ
ويقول كثير :

ولست براضٍ من خليل بنائل قليل ولا أرضي له بقليل
ويقول جحيل :

وقد تلقى الأشتات بعد تفرق ولا تدرك الحاجات وهي بعيد
يرى محرز أن محبوبته منه بمكان النجم يقابلها وينعم برؤياه .

وابن الروى يرى أنها بالغة في الحسن والجمال إلى حد أنه لا يقبل المزید .
والحب كما يقول عمر ينفعه الطموح ، ولذا يطلب من حبيبته أن تدعه بالوصال
ولو لم تجد به .

والحب كما يقول كثير طموح لا يرضى في هذا الوصال بالقليل .
وطموح الحب كما يقول جحيل يحمل صاحبه على أن يرتفع اللقاء بعد طول افتراق
ويدرك الحاجة ، ولو كانت بعيدة المال .

والحب طموح يترفع بحبيبته إلى مكان رفيع كريم ، فهى تسكن السماء ، وهى
فائقة الحسن والجمال ، وهى سيدة الناس ، وهى أكرم من أن تباع وتشترى بمال .

يقول العباس بن الأحلف :

هـ الشـمـسـ مـسـكـنـهـ فـعـزـ الـفـؤـادـ عـرـاءـ جـمـيـلـاـ

فـلـنـ تـسـتـطـعـ إـلـيـهاـ الصـعـودـ

وـ يـقـولـ عـمـرـ بـنـ أـبـيـ رـبـيعـةـ فـيـ زـيـنـبـ بـنـتـ مـوـسـىـ يـذـكـرـ نـسـوـةـ مـعـهـاـ :

قـدـ فـزـنـ بـالـحـسـنـ وـالـجـمـالـ مـعـاـ

يـذـصـنـ يـوـمـاـ لـهـ إـذـاـ نـطـقـتـ

وـ يـقـولـ قـيـسـ بـنـ الـلـاـوحـ الـجـنـونـ فـيـ حـبـيـتـهـ لـلـيـلـ :

أـلـاـ إـنـ لـيـلـ كـالـنـيـحةـ (١)ـ أـصـبـحـتـ تـقـطـعـ إـلـاـ مـنـ ثـقـيـفـ حـبـالـهـ

فـقـدـ حـبـسـوـهـ مـحـبـسـ الـبـدـنـ وـابـتـغـيـ بـهـ الـرـبـحـ أـقـوـامـ تـسـاحـتـ (٢)ـ مـاهـاـ

نـرـىـ أـنـ الـعـبـاسـ يـسـمـوـ بـحـبـيـتـهـ ،ـ فـيـجـعـلـ هـاـ فـيـ السـمـاءـ مـسـكـنـاـ .ـ

وـبـرـيدـ بـهـذـاـ أـنـ يـجـعـلـهـ عـرـيـزةـ الـنـالـ ،ـ وـأـنـ لـيـسـ بـمـسـتـطـعـ أـنـ يـصـعـدـ إـلـيـهاـ ،ـ وـلـيـسـ

بـمـسـتـطـعـةـ أـنـ تـنـزـلـ إـلـيـهـ ،ـ وـلـأـطـنـ الـعـبـاسـ وـهـوـ الصـبـ الـثـيمـ يـقـفـ حـيـالـ مـحـبـوـتـهـ هـذـهـ

عـاجـزاـ ،ـ وـلـاـ بـدـ أـنـ سـيـسـعـيـ لـهـ مـهـمـاـ طـالـ بـهـ الـجـهـدـ ،ـ حـتـىـ يـصـلـ إـلـىـ عـلـيـاـهـاـ

وـيـنـاجـيـهـ وـتـنـاجـيـهـ .ـ

وـنـرـىـ عـمـرـ يـصـفـ مـجـلـسـ نـسـوـةـ ،ـ وـهـنـ يـتـحـدـثـ وـيـلـهـنـ مـحـبـوـتـهـ ،ـ وـإـنـهـ لـيـسـمـوـ بـهـذـهـ

الـمـحـبـوـبـةـ حـتـىـ يـجـعـلـهـ سـيـدـةـ النـاسـ ،ـ تـتـحـدـثـ فـيـصـفـ إـلـيـهـاـ النـسـوـةـ كـاـ يـصـفـ الـمـحـكـومـ

إـلـىـ الـحـاـكـمـ وـالـرـعـيـةـ إـلـىـ الرـاعـيـ .ـ

أـمـاـ قـيـسـ —ـ الـجـنـونـ —ـ فـإـنـهـ يـسـخـرـ بـالـمـالـ وـيـهـنـ بـهـؤـلـاءـ الـدـينـ يـعـتـبـرـونـ الـرـأـءـ

سـلـعـةـ تـبـاعـ وـتـشـتـرـىـ .ـ فـإـنـهـمـ قـدـ زـوـجـواـ لـيـلـ إـلـىـ رـجـلـ مـنـ ثـقـيـفـ دـفـعـ مـنـ الـمـهـرـ قـدـرـاـ عـالـيـاـ،ـ

زـوـجـهـاـ وـارـتـحـلـ بـهـاـ .ـ لـيـلـ حـبـيـةـ نـفـسـهـ يـحـبـسـوـهـاـ كـاـ تـحـبـسـ النـاقـةـ الـتـىـ لـاـ تـمـلـكـ مـنـ أـمـرـهـاـ

(١) النـيـحةـ :ـ بـفـتـحـ الـيـمـ —ـ الشـأـءـ أـوـ النـاقـةـ يـعـطـيـهـاـ صـاحـبـهـ رـجـلاـ يـشـرـبـ لـيـهـاـمـ يـرـدـهـاـ إـذـاـ انـقطـعـ

(٢) مـنـ السـحـتـ وـهـوـ الـلـاـحـمـ .ـ الـلـبـنـ ،ـ وـكـثـرـ اـسـتـعـماـهـاـ فـيـ كـلـ موـهـوبـ .ـ

حولا ولا قوة ، يحبسونها كارهة مرغمة لأنها أسلمت قلبها إلى قيس ، ولا ترضي سواه
بدليل . من أجل قليل من المال يحبسون هذا القلب النقي الصاف بعيداً عن حبه و هو
ألا ينس هذا المال !

لقد صدق قيس إنه يسمو بالحب فوق ما في الدنيا من عَرَضٍ ومالٍ، إنه لا يباع
بِشُمْنٍ، ولا يعدهُ جزاءً.

والحب طموح يرتفع بمحبه إلى المثل الأعلى . فحبه لا يماثله حب ، ولا يبلِّي إذا طال
به العهد . هو امتزاج بين روحين لا يفصل بينهما الموت عراه .

يقول وضاح الدين في حبيبته روضة .

قست ما كان قبلنا من هوى النا
 لم أجد حبها يساكه الحب
 كل حب إذا استطال سيبلى
 لم يزده تقادم العهد إلا
 جدًّاً عندنا وحسن احتلال
 وهوى روضة المني غيرُ بالى
 ولا وجدنا كوجد الرجال
 س فما قست حبها بمنشال

ويقول قيس بن ذريح :

تسلق روحى روحها قبل خلقنا
 ومن بعد ما كنا نطاوأً وفي المهد
 فزاد كا زدنا فأصبح ناماً
 وليس إذا متنا بمنصرم العهد
 ولتكنه باق على كل حادث
 وزأرنا في ظلمة القبر واللحد
 نرى في هذه الآيات أن وضاحاً إذا قاس حبه في روضة بحب من كان قبله من الناس
 لم يجد له مثيلاً، وأن حبه لها غير بال، بل يزيد به تقادم العهد جدة ونماء .
 أماقيس فإنه قد جعل حبه امتزاجاً بين روحين، قبل أن يخلقا في النطفة والمهد .
 ثم جعله باقياً خالداً لا تتجاوز عليه أحداث الزمن من زوال وفناء .

هذا وإن الحبوب ليتسامى في جميع صفاته وأحواله حتى ينال رضا الحبيب فهو يكون دائمًا مثال الأنفة في هندامه ، مثال الرقة في حديثه . مثال النبل في سجالياه .
يطلب العلا ويسعى إلى الجدحتى يرضى طموح نفسه، وحتى تحمد عند الحبيب فعائله .

وصدق كثير إذ يقول :

لتحمدَ يوماً عند لِيلى شمائله
ويرتاح لالمعروف في طلب العلا

الفصل الرابع

التضحيّة

كل شيء في هذه الحياة يحتاج إلى طلب ، وكل طلب يحتاج إلى كد وعمل ، ويلقى الإنسان في سبيل هذا العمل كثيراً من الصعوبات والمشقات . فإذا احتملها ، وإذا أذلاها ، وإذا غلبها فهو ذو العزم وهو ذو التضحيّة والقوة . وإذا لم يتحمّلها وناء بأعبائها الثقال فهو ضعيف النفس ، فاتر الهمة . وسيكون له هذا الحظ المسكود من الخيبة والإخفاق .

وقد عرفت فيها سبق أن المحبين طموحاً ، يدفعهم هذا الطموح إلى الكد والجهد والعمل ، حتى يصلوا في حبهم إلى تحقيق ما يريدون ، أو حتى ينالوا رضا الحبيبة ووصلها دون هذا الرضا أحمال ثقال ، وأهوال جسام .

في الحب لذة ومتعة ، تدفع بالأحباب أن يضخوا بالرخيص والغالى .

في الحب صفاء ووفاء . يدفع بالمحبين أن يضخوا بما ملكت أيديهم ، ولو كانت أرواحهم ، وهي أغلى ما في الوجود .

في الحب أعمال تتطلب الجهد العنيف ، والعزم القوى ، والتضحيّة البالغة ، والشجاعة النادرة .

فماذا يفعل المحبوب حين يفارقه الحبيب ؟

وماذا يفعل المحبوب حين يهجره الحبيب ؟

إنه يتوجع ويتألم ، ويشوّقه الحنين إلى أن يذكره وأن يتتصوره ، وقد يجره ذلك إلى أن يهجر النوم ، ويرعى النجوم ، وأن يرتحل وينتقل ، حتى يراها وتراه ، ويلاقى في رحيله ضرباً من المصاعب والآلام .

وكم في هذا من أكدار يشقى بها الحبيب !

إنها ستنال من راحتته فلا يطيب له عيش ، ولا يهدأ له بال .

إنها ستنال من جسمه فهو مصفر الوجه ، ناحل الجسم ، دامع العيون .

ولكن المحبوب يضحي في سبيل الحبيب ، فيحتمل هذه الأكدار ، ويأسو

هذه الجراح .

وماذا يفعل المحبوب حين يرقبه العواذل ، وحين يرصده الأهل والأقارب ؟

إنهم يضيقون عليه الخناق ، ويحيمطونه بألوان من القلق والفزع ، والتهديد والوعيد .

إنهم يطلبون دمه ، ويجدون من الحكم عوناً على إهدار هذا الدم البريء ، فلن

يكون منهم قصاص ، ولن ينالوا جزاء .

ولكن يضحي المحبوب في سبيل الحبيب . فليحارب هؤلاء جميعاً ، ولি�غالب

هؤلاء جميعاً . وكم يلقى في هذه الحرب وفي هذا الغلام ضرباً من المخنة والبلاء ؟

بل إننا لنقرأ في سير الأحباب أن كثيراً منهم قد لقى حتفه في سبيل الحب .

ليس هناك دليل أبلغ في التضحية من أن يجود المحبوب بنفسه ، والجود بالنفس

أقصى غاية الجود .

وإذا كان لنا أن نظرب لهذا الفتى الذي خر في ميدان الوعى ، دفاعاً عن الوطن ،

فلم لا نظرب لهؤلاء الذين خروا صراعاً في ميدان الحب وفاء للحبيبة .

إن هؤلاء جميعاً كبار النفس ، عظام الآمال ، ذوي عزم وشجاعة .

فلم لا نظرب لهؤلاء الأحباب الذين ماتوا في سبيل الحب ، ماتوا أطهاراً أبراراً ،

ماتوا كراماً أحرازاً . فلنترحم عليهم ، ولنقرأ في صفحات حياتهم مثلاً كريمة للتضحية

في البطولة والشجاعة .

وإن الحديث عن التضحية يتطلب الحديث عن الشجاعة . فالشجاعة تدفع المحب

إلى أن يجاهد ويعالب ، إلى أن يناضل ويقاتل ، وفي ذلك مصائب وألام ، فهو يضحي

باحثاتها وبما يلقى في سبيلها . أما الجبان العديد فإنه يخاف هذه الآلام ومرارتها في النفس ، ويدفعه هذا الخوف إلى أن يحجم ويستسلم ، إلى أن يقنع بالقليل ، وأن يرضى بالذل والهوان .

ولذلك نرى المحبوب يفخر بشجاعته ، وهو أهل لهذا الفخار ، فهذه الشجاعة هي الوسيلة التي تجعله يكتمل آلام الحب وصراع الهوى ، ولو لا الشجاعة ما استطاع إلى حياة الحب سبيلاً .

كيف يرضى المحبوب حبيبه إذا لم يكن شجاعاً ، يغالب آلام المجر والفراق ، والتسلل وال遁ع ؟

كيف يرضى المحبوب حبيبه إذا لم يكن شجاعاً يغالب آلام السفر ، وألام السهر ، ويجهاد قسوة الرقباء من العواذل والأقرباء ؟ .

إنه لن يستطيع ذلك إلا إذا كان له من الشجاعة حظ كبير .

كم ينال المحبوب رضا حبيبه إذا عرفت أنه شجاع لا يخاف الردى ، ولا يهاب المنون ! ذلك لأن الحبيبة يروقها أن يكون حبيبها سباقاً إلى كل حميد كريم ، ولن يكون ذلك إذا لم يكن شجاعاً .

والحبيبة يروقها أن يتفاني الحبيب في حبها ، وأن يجهاد في هذه السبيل جهاداً شاقاً عنيفاً . وإن يستطيع ذلك إذا لم يكن شجاعاً .

وكم كان لهذا أثره في نفوس الحبين ، فهم يخاطرون لينالوا رضا الحبيب .

وهم يبالغون في هذه الخاطرة حتى يكون لهم من هذا أقوى نصيب . بل كم دفع هذا الشعور إلى الغلبة والفوز !

* * *

ولعلك تقرأ في أحوال الحبين وفي شعر الغزيلين بعض هذه الألوان التي تمدنا عنها في معانٍ التضاحية والشجاعة .

فالجنون — قيس بن الملوح — في سبيل لقاء حبيبه ليلي كات يعشى بيته رغم أنهم كانوا يتحولون بينه وبينها . ولم يكتفهم ما كانوا يفعلون به من عنف وأذى فشكوه إلى والي فأهدر دمه ، ولما أخبروه لم ير عه ذلك ، وقال : الموت أروح لي فليتهم قتلوني ! . وكان من أثر الحب في نفسه أن أصابته لوعة في عقله فترك الطعام والشراب . فذهبت أمه إلى ليلي . وقالت لها : إن قيساً قد ذهب حبك بعقله ، وترك الطعام والشراب فلو جئتني وقتاً لرجوت أن يشوب إليه بعض عقله . فقالت ليلي : أما نهاراً فلا آمن قومي على نفسي ولكن ليلاً . فأنت له ليلاً ، وتحدث طويلاً ، ونصحته أن يتقي الله ، وأن يبقى على نفسه . ولعله كان آخر لقاء بينهما .

وجيل المُذري لق حبيبته بشينة ذات يوم وأخذها يتحدثان أحاديث الهوى وكان الحديث طويلاً ، لأنك كان بعد غيبة وفارق ، فطال غياب بشينة . ولما طال غياب بشينة عن بيتهما بحث عنها أبوها وأخوها حتى هجموا عليهما حيث كانوا يلتقطيان . ولكن شجاعة المحب غلبت شجاعة الأخ والأب فوثب عليهما جيل ، وانتصرا عليهما سيفه ، وشد عليهما فاتقياه بالهرب وأخذت بشينة تنشده أن ينصرف وتقول له : إن أقت فضحتني ، ولم الحى أن يلحقوك ، ويأبى جميل الهرب ويقول لها : أنا مقيم وأمضى أنت وليصنعوا ما أحبوا ، وما زالت تناشد وتوسل إليه حتى انصرف .

وذهب في يوم آخر ومعه صديق له ليり بشينة وقد أجهدهما السفر وما أصابهما من جوع وعطش ولما كان اليوم الثالث من سفرها ألقيا عصا التسيير وكان الرجال غيبياً ، وأخذ جميل يتحدث إلى نسوة الحى ، ولكن الحديث لم يدم طويلاً فقبل جماعة من الرجال ، وكان والي قد أباح دمه إن وجد في بلادهم ، فقالوا له : ويحك أنت وتقديم ! فهزى بهم وسخر منهم . وكان بينه وبينهم جهاد ونضال أبي فيه بلاء حسناً ، ثم قفل راجحاً بعد أن ذاق من هذا النضال أهواه ، وبعد أن سار ست ليال وستة أيام ما التفت إلى طعام .

وأراد الخروج إلى الشام فهجم ليلاً على بئينة فقالت له :
أهلكتني والله ، وأهلكت نفسك ! ويحك أما تخاف ؟ فقال لها : هذا وجهي
إلى الشام إنما جثتك مودعاً ، خادثها طويلاً ، ثم قال لها وهو يبكي :
لنا منك رأى يابسين جميل
الا لا أبالي جفوة الناس ما بدا
وما لم تطعنى كاشحاماً أو تبدلى
بنا بدلاً أو كان منك أهول
وقيس بن ذريح : حين حالوا بينه وبين حبيبته لبني قد جد به الوجد ، وبلغت
به الصباية حتى مرض ، وأعياه المرض إلى أن كان يشرف على الموت . فقال له أبوه .
يا بني . الله الله في نفسك ، فإنك ميت إن دمت على هذا . فقال :
وفي عروة ^(١) المُدرى إن مت أسوة ^(٢) وعمرو بن عجلان ^(٣) الذي قتلت هند
وبى مثل ما ماتا به غير أنتي إلى أجل لم يأتني وقته بعد
ولكن قيساً لا يسلو لبني ، فهو يسعى إلى رؤيتها رغم أنه طلقها . فشكأ أبوها
أمره إلى الحاكم فأباح دمه ، إن تعرض لها ولا بلغ أباها انذير عاتبه وتوجهه ، وقال له :
انتهى بك الأمر إلى أن يهدى الحاكم دمك : ولم يعبأ قيس بلوم أبيه ولا بإهداه
دمه . وقال :

إن تك لبني قدأتى دون قربها
فإن نسيم الجو يجمع بيننا
أرواحنا بالليل في الحى تلتقي
وتجمعننا الأرضُ القرارُ وفوقنا
إلى أن يعود الدهر سلماً وتنقضى
حِجَابٌ منيعٌ ما إليه سبيل
ونُبصِرُ قرنَ الشَّمْسِ حينَ تزولُ
ونعلمُ أَنَا بالنهارَ تَقِيمُ
سَمَاءٌ ترى فيها النَّجُومَ تَجُولُ
تراتٌ بغاها عنـدنا وذُحُولٌ^(٣)

(١) هو عروة بن حزام شاعر إسلامي كان متيا في بنت عمّه عفرا .

(٢) هو عبد الله بن العجلان شاعر إسلامي كان متيناً في هند مات أسفًاً على فراقها حين طلقها.

(٣) جم ذحل : الحقد ويقال طلب بذحله، أى بثأره .

إذ رق له يزيد بن معاوية ، وحقن له دمه ، وأباح له أن ينتقل إلى حيث يشاء
وأن يرتحل إلى أى بلد ولو كان بلد لبني .

وإنك لترى في هذه الأبيات من الشعر بعض هذه النواحي التي تحدثنا فيها
عن أضعافية الحسين وعن شجاعتهم ، وعن المخاطرة بثغورهم في سبيل إرضاء الحبيب .

يقول قيس بن الملوح :

فوالله ما في القرب لي منك راحة .
ولا بعد يسليني ولا أنا صابر
ووالله ما أدرى بأية حيلة .
وأى سرّام أو خطّارٍ أخاطر
ويقول :

ولاميل جدي^(١) في الشقاء بكم جد
إذا احان من جند قمول^(٢) أتى جند
وقد يبتلى قوم ولا كبلتي
غزتني جنود الحرب من كل جانب

ويقول جميل :

وأى جهاد غيرهن أريد
يقولون باجاهد يا جميل بغزوه
 وكل قتيل عندهن شهيد

ويقول :

وجالوا علينا بالسيوف وطوقوا
وقد جردوا أسيافهم ثم وقفوا
على نفس جمل والإله لارفعوا^(٣)
إلى حربهم نفسي وفي الكفر هف
ومنني وقد جاءوا إلى " وأوجفوا
ومن خائف لم ينتصبه التخوّف
فكم سرج أسرأً أتيح له الرّدي

(١) حظى واصلي . (٢) يقال أرعنده أى أبغله . (٣) رجوع بعد الغزو .

ويقول :

سليمى ولا أم الجسيـر حين
وهمـوا بقتلـي يا بشـن لـقونـي

لقد ظـن هـذا القـلب أـن لـيس لـاقـيـاـ
فـليـت رـجـالـاـ فـيـكـ قد نـذـرـوا دـمـيـ

ويقول كـثـيرـاـ :

شـبـاعـ على ظـهـرـ الطـرـيقـ مـصـمـمـ
جـهـنـ ما رـأـعـتـ فـوـادـيـ جـهـنـمـ
وـوـجهـكـ فـيـ الـظـلـامـاءـ للـسـفـرـ مـعـلـمـ
فـلـاـ تـنـقـمـ حـبـيـ فـاـ فـيـهـ مـنـقـمـ

يـقـولـ العـدـاـ يـاعـزـ قـدـ حـالـ دـوـنـكـ
فـقـلـتـ لـهـاـ وـالـلـهـ لـوـ كـانـ دـوـنـكـ
وـكـيفـ يـرـوعـ القـلـبـ يـاعـزـ رـائـعـ
وـمـاـ ظـلـمـتـكـ النـفـسـ يـاعـزـ فـيـ المـوـىـ

ويقول وضـاحـ الـيمـينـ :

إـنـ أـبـانـاـ رـجـلـ غـائـرـ
مـنـهـ وـسـيـقـ صـارـمـ بـاتـرـ
قـلـتـ : فـإـنـيـ فـوـقـهـ ظـاهـرـ
قـلـتـ : فـإـنـيـ سـابـحـ مـاهـرـ
قـلـتـ : فـإـنـيـ غالـبـ قـاهـرـ
قـلـتـ : فـإـنـيـ أـسـدـ عـاقـرـ
قـلـتـ : فـرـيـ رـاحـمـ غـافـرـ
فـأـتـ إـذـاـمـاـ هـجـعـ السـاسـرـ (١)
لـيـلـةـ لـانـاـهـ وـلـاـ زـاجـرـ

قـالـتـ : أـلـاـ لـاتـلـيـجـنـ دـارـنـاـ
قـلـتـ : فـإـنـيـ طـالـبـ غـرـةـ
قـالـتـ : فـإـنـ الـقـصـرـ مـنـ دـوـنـنـاـ
قـالـتـ : فـإـنـ الـبـحـرـ مـنـ دـوـنـنـاـ
قـالـتـ : خـوـلـيـ إـخـوـةـ سـبـعـةـ
قـالـتـ : فـلـيـثـ رـابـضـ يـيـنـنـاـ
قـالـتـ : فـإـنـ اللـهـ مـنـ فـوـقـنـاـ
قـالـتـ : لـقـدـ أـعـيـتـنـاـ حـجـةـ
فـاسـقـطـ عـلـيـنـاـ كـسـقـوطـ النـدـىـ

ويقول :

وـهـوـ عـمـيـدـ وـقـلـبـهـ كـمـدـ
قـدـ شـفـهـ السـمـمـ فـيـكـ وـالـسـهـدـ

قـدـ يـكـمـ المـرـءـ حـبـهـ حـقـبـاـ
مـاـذـاـ تـرـيـدـيـنـ مـنـ فـتـىـ غـرـلـ

(١) أـيـ المـسـاـمـرـونـ .

يهدونى كيما أخافهم هيات أتى يهدى الأسد

ويقول امرؤ القيس :

وبيضة (١) خدر لا يرام خباؤها (٢)
تمتعت من لهوبها غير معجل (٣)
تجاوزت أحراساً إليها وعشراً على حرصاً لو يسرُون مقتلي
فأنت ترى في هذا أن المجنون يذكر أنه في حبه مذهب معنى، لراحة في القرب
من حبيبته ولا صبر على فراقها، وأنه لا يفتاح يحتال على لقاءها ويخاطر في سبيل اللقاء
بالألوان من المخاطرة فيها محننة وفيها شدة وفيها بلاء. ثم يذكر أن مصابه في الحب
لا يعلمه مصاب، وأن حظه مع الحبيب حظ عاثر جائز، لا يجد فيه إلا الحن والألام.
ومع ذلك فإنه راض باسم هذه الحادثات منها أظلمت وأكفرت.

ويصور لنا في البيت الأخير من أبياته ما يقع بينه وبين جنود الحب من غزو
وقتال، وما يلتقي من هؤلاء الجنود من شدة البأس وقوه العزم، وأنهم ذرو صبر وجلد،
لا يملون القتال، ولا يتزكون سبيلاً للراحة والطمأنينة، وإذا أصاب فريقاً منهم جهد
وإعياء جاء فريق آخر أكثر ما يكون قوة، وأكثر ما يكون صرامة.

وجليل يجعل حياته كلها جهاداً وغزواً، وهو جهاد كريم شريف، لأنه جهاد
في سبيل الحب، وفي سبيل القلب، وإذا مات في هذا الجهاد فهو شهيد.

ثم يذكر لنا إحدى حادثاته وهو يطلب بشينة، ويسعى إلى لقائها، وماذا كان يقع
بينه وبين أهلها من نزال ونضال، وأنه كان لا يبالي فهو الليث الشجاع، وهو ذو السيف
المرهف الذي إن ضرب به أصحاب مقتل الأعداء، منها كانوا من القوة والكثرة،
لا سيما إذا كان يضرب في سبيل حبيبته، وفي هذه السبيل ترخص النقوص.

ثم يتمى في البيتين الأخيرين أن يلتقي بخصوصه الذين حالوا بينه وبين محبوبته

(١) المرأة شبهها باليضة لصفاتها ورقها. (٢) الخباء مكان على عمودين أو ثلاثة،
والبيت ما كان على ستة أعمدة إلى تسعه والخيمة من الشعر. (٣) لم ي مجلس أحد عماء زید فيها.
الفزل م — ٩

يتنى لقاءهم ، كي يكسر شوكتهم ويغلبهم على أمرهم ، ويدفعهم ألواناً من العذاب
جزاء ما أذاقوه ، وجزاء ما نال منهم من عداون وأذى .

وكثير يتحدث إلى حبيبه عزة فيترجم عن مخاطرته حين يطلب لقاءها ، فلا يحول
بينه وبينها حاجيل ، ولو كان جهنم بما تحوى من سعير وشروع . وكيف يروع قلبه ظلمة
الطريق ووحشة السفر ؟ إنه يتخذ من وجهها المشرق هادياً ودليلًا . إنه يتخذ
من ذكرها ما يبعث في نفسه العزم ، وفي قلبه الهمة والإقدام .

أما وضاح الدين فإنه يصور لنا حواراً قام بينه وبين حبيبه «روض» ، ويصور
في هذا الحوار أنه ذو تضحيه وعزمه .

خوفته بأيتها ، وهو ذو مرأة وبأس ، فذكر سيفه الصارم البثار ، وأنه يغلب
بهذا السيف من يعتضون سبيلاً منها كان لهم من حول وقوة .
خوفته بإخوتها السبعة ، وأنهم أهل غلبة وقتل ، فذكر أنه حين يجد الجد ،
يكون غالباً لهم قاهراً .

خوفته بأن هناك ليثاً رابضاً بينهما ، فذكر لها أنه أسد عافر .
خوفته بالله فذكر أن الله وإن كان قويًا جبارًا فهو غفور رحيم .
وكان حبيبه رأت فيه العزم والباس فأجابت سؤله في أن يأتيها ، إذا هجم الساسرون ،
وفي أن يسقط عليها سقوط الندى حتى يمل غصتها الرطيب ، فيهتز شوان بفرحة اللقاء ،
وبسمة الحياة .

وتتجه أبياته الثلاثة إلى مثل هذا المعنى .
ويذكر اسرؤ القيس أن دار الحبيبة بعيدة المنال .
فهناك جماعة من الحفظة والأحراس يتربصون به الدوائر إذا اقترب من حماها ،
ولكنه مع ذلك لا يبالي : فتراه يتتجاوز هؤلاء الأحراس ، ويتخطى هذه الأهوال .
وقد قدمنا أنه يسر الحبيبة ويرضيها أن تعرف أن حبيبها فارس مغوار ، يخوض

معامع الحروب فييل فيها البلاء الحسن ، وفي ذلك يقول عنترة من معلقته .

هلاً سألت الخليل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الواقعه أنتي أغشى الوعى وأعف عند المفحم
كما يسيئها أن تعرف شيئاً عن جبئه وخوفه . ومن هذا ما فعل يزيد بن الطثريه
وقد سر بأعداء له ، فأرادوا به كيداً ، فنزل عن راحلته وأخذ يسبقهم عدواً ، فأدر كوا
الراحلة ، وعقروها ولم يدركوه هو فنجا ، وكان يزيد يرى في هذا المرب ما يجعل
الغانيات لا يقبلن على مودته ، ويصرمن ما كان بينه وبينهن من حب ووصل .

لأنهن يكرهن في الحبيب هذه الصفة الذميمة من الجبن واللثوف . فقال :

الا هل أنت ليلي على نأى دارها بأن لم أقاتل يوم صخر^(١) مذوداً^(٢)

وأنتي أسلمت الركاب فعُررت وقد كنت مقداماً بسيفي مفرداً

فهل تصرمن الغانيات مودتي إذا قيل قد هاب المنون فعرداً^(٣)

وقد يكون قريباً من هذا ما رواه الرواة من أنه كان لفقى من قريش جارية
جميلة ، فأصابتها فاقعة ، فابتاعها منه الحاجاج . وقدم عليه فتى من أقاربه ، وكان وسيما
جميلاً . أخذت الفتاة تصارقه النظر . فقطن الحاجاج ، ووهبها له ، فأخذها وانصرف
وباتت معه ليلة ، وهربت قبل أن يطلع النهار .

عرف الحاجاج ذلك ، فدعاهما ، ليتبين أمرها ، فحدثته حديثاً طويلاً . حدثته
أن الفتى القرشى سمع ذات مرة زثير الأسد ، فوشب واختلط سيفه ، وحمل عليه ،
وأدى برأسه ، أما الفتى الذى اخترته لى وهو ابن عمك فقد غشى عليه حين وقعت فأرة
من السقف ، ومكث زماناً طويلاً ، وأنا أرش عليه الماء وهو لا يفيق .

قالت الفتاة للحجاج : وقد خفت أن يموت فتقهمنى ، فهربت فرعاً منك .

فضحكت الحاجاج كثيراً ، وخلت سبيلها .

(١) اليوم الذى قاتل فيه أعداؤه . (٢) دائمًا : أى مدافعاً . (٣) هرب وجبن .

كما قدمنا أن المحبوب إذ يرى حبيبه يكون جريئاً مقداماً يغالب خصمه مما
كان شديد البأس قوى الشكيمة .

ونرى في هذين المثالين ما يؤيد ذلك :

كان توبة^(١) قد خرج إلى الشام فربى عذرة فرأته بشينة بجعلت تنظر إليه فشق
ذلك على جميل، ولم يكن قد أظهر حبه لها، وكان من أمرها أن تصارعاً فصرعه جميل،
وأن تناضلا^(٢) فنضلـه^(٣) جميل، وأن تساقاً فسبقه جميل. فقال توبة جميل: يا هذا إنما
تفعل هذا بريح هذه الجالسة ولكن اهبط بنا الوادي، قالوا: فنزلـا إلى الوادي فصرعه
توبة، ونضلـه وسبقه .

وكان الجنون^(٤) — قيس بن الملوح — يتحدث إلى جماعة من نساء الحى
وطال معهم الحديث حتى أقبل غلام شاب حسن الوجه بجلس إليهن وأقبلن عليه
في الحديث وكأنه غاظه أن يرى الجنون يتحدث إليهن ، فقال له : هل تتصارع
أو تتنااضل . فقال له الجنون : إن شئت ذلك فقم إلى حيث لا تراهن ولا يرينك
ثم ما شئت فافعل .

وقال :

إذا ما انتقضنا في الخلاء نضلـه وإن يرم رشقاً عندها فهو ناضلي
ويفهم من سياق هذه الرواية أن الجنون لم يكن بعد قد علق قلبه حب ليلى ،
ولم تكن قد عرفت فيه هذا الموى ولو كان لغير الوضع ، وأصبح الجنون لا يبال ،
وأصبح الفى هو الذى يطلب النضال بعيداً عن هؤلاء النساء .

ونحدثنا كتب الأدب عن أمثلة لألوان أخرى من التعذيب ، أصابت فريقياً
من رجال الحب وشعراء الغزل. ثم أمثلة لمن ماتوا صرعى الحب ، واستشهدوا في سبيله .

(٢) النضال : المباراة في الرمي .

(١) الأغانى ج ١١ ص ٢٣٩

(٤) الأغانى ج ٢ ص ٢٩

(٣) غلبة في النضال .

الفصل الخاص

الصبر

وذلك هي الصفة الغالبة في كل عمل يتطلب طموحاً وتضحية.

فالطموح يدعو المرء إلى أن يسعى جاهداً في إدراك أوفى نصيب في الحياة. ويلقي المرء في هذا الجهاد صنوفاً من المتعاب والآلام. فإذا احتملها وغالبها أصحابه النجاح والتوفيق. وذلك هو الرجل الجلد الصبور. وإذا لم يحتملها أصحابه الخيبة والإخفاق. وذلك هو الرجل الفزع الجزع.

إذن فالصبر من لوازم التضحية.

وقد بسطنا فيما مضى صفحات من طموح الحبين، وبيننا ألوان التضحية التي دفعهم إليها هذا الطموح.

وكل ما ذكرناه وبسطناه ينساق إلى أذهاننا حين نتحدث عن الصبر في الحب. فأعمال الحب وما يجري فيها من غصص وألام. وأحوال الحبين وما نرى فيها من متعاب — إذا لم يتسلح لها الأحباب بسلاح قوى من الصبر انفرط العقد قبل أن يلتئم، وانتشر الشمل قبل أن يجتمع، ولم تصبح للحب هذه المنزلة الرفيعة، ولا للأحباب هذا الشأن الكريم فإنما تكون أكثر إعجاباً بالحب وأكثر تكريماً لأصحابه حين نرى في صفحات تاريخهم ألواناً من الطموح والتضحية، وألواناً من الصبر على المكاره واحتمال الأذى.

ونحن إذا طرنا لهذا التاريخ فلا ننطر لما فيه من معانٍ كريمة وصفات طيبة. وقل لي بربك ماذا يكون في الحب من جمال؟ إذا لم تصهر الآلام قلوب الحبين. ماذا يكون في الحب من خير؟ إذا لم يكن فيه للأحباب محنة وبلاء.

وماذا يكون في الحب من فضل؟ إذا تبرد الأحباب من فضيلة الصبر.

بل ماذا يكون الحب إذا لم يكن الصبر؟

عرف الأحباب ما للصبر من قيمة وأثر فتسليحوه في ميدان الحب، حتى يذلوا صعابه ويتحتموا أسماءه. تراهم يتسلون به إذا حزّ بهم كرب، أو أصحابهم مكروه. يتسلون به حين يفارقون الحبيب، وحين يطول به النوى، وحين يجفو فيقوسوا، وحين تحيط بهم عيون الوشاة السكاشين.

وترى شعراء الغزل يفيضون في ذكر الصبر، ومناغاة النفس به، حتى تحتمل الأذى.

وإليك بعض الأمثلة. وسنرى في الكتاب الثالث حيث تتحدث عن شئون الغزل وشجوونه ما يكفي ويفني.

تراهم يدمون الجزء، ويخترون نفوسهم على الصبر.

يقول الجنون :

أَتَبْكِيُ عَلَى لَيْلٍ وَنَفْسَكَ بَاعْدَتْ
مِنْارَكَ مِنْ لَيْلٍ وَشَعْبَكَ كَمَا
فَوَحْسَنَ أَنْ تَقْرَى الْأَمْرَ طَائِعًا
وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا

ويقول :

الله يعلم أن النفس هالكة
منيتك النفس حتى قد أضر بها
واسرتها أهلوها وإن قصرت
باليس منك ولتكن أعنّها^(١)
واسرتها خلفاً مما أمنّها
أشهى إلى من الدنيا وما فيها
واسعة منك أهلوها وإن قصرت

ويقول كثير :

فقلت لها يا عز كل مصيبة
إذا وُطنت يوماً لها النفس ذات
لدينا ولا مقلية إن تقللت^(٢)

(١) أعنّها : أكلتها ما يشق عليها.

(٢) تغشت.

ويقول قيس بن ذريح :

كأنى والله بفارق لبني
 تهم بفقد واحدٍ ها شَكُولْ
 فقد رحلت وفات بها النميل^(١)
 إذا رحلت وإن كثُر العويل
 فإنك لا تطيق رجوع لبني
 ويقول العباس بن الأحنف :

تحمّل عظيم الذنب من تحبه
 وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم
 يفارقك من تهوى وأنفك راغم
 فإنك إلا تغفر الذنب في الهوى

ويقول جميل :

إنى عشية رحت وهي حزينة
 أشكو إلى صباة لصبور
 وتقول بت عندي فديتك ليلة

ويقول أبو الفضل الميكالي :

إن كنت تأنس بالحبيب وداره
 فأصبر على حكم الرقيب وداره
 إن الرقيب إذا صبرت لحكمه بواء^(٢) في مثوى الحبيب وداره
 فالجنون : يرى أن جزع الحب قبيح ذميم .

وهو : يعني نفسه ، ويكلّفها ما لا تطيق حتى تصبر في سبيل الحب ، وتحتمل
 مصائبه وألامه .

وكثير : يروض نفسه على احتمال المصائب حتى تذلل وتهون .

وقيس بن ذريح : يعيب على نفسه الجزع فإنه لا يغنى من الأمر شيئاً .
 والعباس بن الأحنف : يدعوه إلى أن يحتمل أذى الحبيب ، وإلى أن ييرئه
 من الذنوب ولو كان ظالماً جاثراً ، وتهنم أنفسنا بها ولو كنا أطهاراً أبرياء .
 وجليل : يصف نفسه بالصبر حين رآها ، وحين أخذت تشكو إليه صباة الهوى .

(٢) أى بواء أى إسكنك .

(١) السير الـain .

وأبو الفضل الميكالي : يحث على مجارة الرقيب فإن ذلك يلين قلبه ولعلنا نظر
من وراء هذا اللين بزيارة الحبيب .

وتراه يذكرون في أشعارهم أن الحب حسنة وابتلاء لا يفوز فيه إلا من أوتوا
حظاً كبيراً من الصبر والجلد فاحتملوا مسارةه وألامه .

أما هؤلاء الفراعنة القاطلون فإنهم لا ينعمون في الحب بنصيب ، لأنهم يفرون
من ميدانه ، حين تبدو لهم صعابه وأحواله .

يقول الجنون :

قضهاها لغيري وابتلاني بمحبها فهلا بشيء غير ليلي ابتلاني
ويقول قيس بن ذريح :

وحدثتني يا قلب أنك صابر على البين من لبني فسوف تذوق
وقال ابن مأكولا :

علمتنى بهجرها الصبر عنها
فهل أرادت بذلك قبح صنيع
وأرادت بذلك عين المليح

الفصل السادس

الوفاء

وما أجمل الحب . لأن فيه الوفاء !
بل ما أجمل الحياة . لأن فيها الوفاء !
فالوفاء خلق كريم . قل أن يكون إلا بين الأصدقاء والخلصاء .
وكم في الحياة من غدر ومكر ولوّم .
ما أجمل وفاء العربي ! حين يجود لأخيه بما ملكت يداه ، وحين يصد عنه
العدوان والأذى .

بل ما أجمل وفاهه ! حين يكون محباً مغراً .
وسنرى فيما نذكر أمثلة للوفاء بين المحبين .
تحل بهم ضروب من العذاب العنيف ولكنهم مع ذلك يوفون بالعهد . وتقسو
الحياة عليهم ، فتنكرونهم بالرقباء والعيون والأعداء . ولكنهم مع ذلك يوفون بالعهد .
يبدل الوشاة الجبود الجباراة تارة مع الحبيب ، وطوراً مع الحبيبة ، حتى يفصموا
عراها هذا الحب . ولكن المحبين لا يبالون ويوفون بالعهد .

يجعل الحكم دم الحبيب رخيصاً مباحاً ، إذا تعرض للحبيبة ، ومع ذلك فإن
قلبه لا يجور ولا يقسو .

ويزوجون المرأة ذا مال وجاه ، ولكنها تميل حيث مال الهوى ولا تحول .

فأَكْرَمَ بِهَذَا الوفاء !
وأَكْرَمَ هؤلاء الأحباب !
فما ذا نرى من وفاء الجنون ؟

كان يحب ليلي . وقد أعياه هذا الحب وأضناه ، حتى كان حديث الناس جميماً .
وهؤلاء نسوة جلسن إليه ، وأخذن يغرينه ، ويصورون ماله في صورة كريهة إليه .
لعله ينأى عن حبها ، وينفر منها . ولكن هذا لم يزده إلا حبّاً لها وسعياً إليها .
قالت النسوة : ما الذي دعاك إلى أن أحلاط بنفسك ما ترى في هوئي ليلى ،
وابنها هي امرأة من النساء ! هل لك في أن تصرف هوئك عنها إلى إحدانا فتساعدك
ونجزيك بهوئك ، ويرجع إليك ما عَزَبَ من عقلك وجسمك !

قال الجنون : لو قدَرْت على صرف الموى إليك ، لصرفته عنها ، وعن كل
أحد بعدها .

وعشت في الناس سوياً مسترحاً .

قالت النسوة : ما أُعجبك منها ؟

قال الجنون : كل شيء رأيته وشاهدته وسمعته منها أُعجبني ، والله ما رأيت شيئاً
منها قط إلا كان في عيني حسناً وبقلبي علقاً ، ولقد جهدت أن يفتح منها عندي شيء
او يسمح أو يعاب ، لأنّه لأسلو عنها فلم أجده .

قال الجنون

ببيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسيط جُنوح ليل مُبرد

موسومة بالحسن ذات حواسد إن الجمال مظنة للحسد

وهذا أبوه يلتجأ إلى الحيلة حتى يقع بينهما ، ويذكر حبه لها ، لعله ينفر منها ،
ويعرض عنها ، ولكن هيهات !

سأل رجلاً من الطائف أن يمر بالجنون ويخبره أنه لقى ليلي وجلس إليها وتحدى
معها ، وجر الحديث إلى أنها أخذت تذكر الجنون بالسوء وأنه يكذب عليها ، ويشهرها
بفعله ، وأنها ما اجتمعت به قط كما كان يقول .

فعل الرجل ذلك وكان فطناً ليقاً في التحدث إلى الجنون حتى استرعى سمعه ، وأثار

وعيه ، وأخذ يسرد له من صفاتها ما جعل الجنون يصدق قوله ، ولما أخبره بأنها تنتقص
سيرته ، وتهجن عمله ، نأى عنه جانباً وقال غير مكترث بما حكى :

إذا هبَّ الريح الشَّمَال فَإِنَّا
جُواي بِمَا تَهْبَطْتِي إِلَى جَنُوبِهَا
قَرِيبَةُ عَهْدِي بِالْحَمِيدِ وَإِنَّا
هُوَ كُلُّ نَفْسٍ حِيثُ كَانَ حَبِيبُهَا
وَحَسْبُ الْلَّيَالِي أَنْ طَرَحْنَاكَ مَطْرَحًا
بَدَارِ قَلْبِيْ تَسْعِيْ وَأَنْتَ غَرِيبُهَا
حَلَالٌ لِلَّيلِ شَقْمَنَا وَانْقَاصَنَا
هَنِئَا وَمَغْفُورٌ لِيْ مَلِيْ ذُنُوبُهَا
وَهُلْ تَرَى بَعْدَ ذَلِكَ وَفَاءٌ؟

ييل جسمه في سبيل الحب ويهده المرض والإعياء وهو لا يبالى . ثم يأخذونه
بالحيلة وبالوعد المم رسول والوعيد المرير — فلا يصل هذا كله — وهو جد كثير —
إلى قلبه ولا يثنى من عزمه ، بل يزداد كلّاً بحبه قلبه ، وهو نفسيه .

ومن وفاء جميل :

كان جميل يحب بشينة ويسعى لرؤيتها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وذهب يوماً
ليلقاها ولكن أهلها وقد علموا بقدومه منعوها أن تلقى جميلاً . فانصرف حزيناً كثيراً ،
وعلم نساء الحي بذلك فأخذن يامنه ، ويقرعنها ، ويفرينه بأفسنهن ، وفيهن من هي
أحسن منها فتنة وجحلاً ، ولكن جميل لا يأبه لهن ، لأن حبه بشينة يشغله عن أية
فتاة أخرى ، منها كان حظها من الحسن والجمال .

وضاقت الدنيا بوجه جميل ماذا يفعل ؟ وقد أهدر الوالي دمه .

كان يصعد بالليل على أكمة من رمل يتنسم الريح من حي بشينة ، لعل هذه الريح

تحمل إليه نسمة منها ، فيعمل نفسه بها . وفي ذلك يقول :

أَيَا رِيحَ الشَّمَال أَمَا تَرَيْنِي أَهْسِمْ وَأَنْتِي بَادِي التَّحُولِ
وَمَنِي بِالْمُبُوبِ إِلَى جَمِيلٍ هَبِي لِنَسْمَةِ مِنْ رِيحَ شَبَّنِ
قَلْبِكَ أَوْ أَقْلَمْ مِنْ الْقَلِيلِ وَقُولِي يَا بَشِينَةَ حَسْبُ نَفْسِي

وهذا أبوه وقد شكا إليه أهل بيته فعل جميل من زيارتها والشغف بها ، يلومه ويعنده ويغريه ، ويزين له فراؤها ، ولكن قلب جميل يهوى بيته ، فلا يسلو عنها ولا يتتحول .

قال أبوه : يا بني حتى متى أنت عَمِّهُ في ضلالك لا تائف من أن تتعلق بذات يمثل يخلو بها وينسّكها ، وأنت عنها بمعزل . ثم تقوم من تحته إليك فتغرّك بخداعها ، وترىك الصفاء والمودة ، وهي مضمرة لبعدها ما تضمره الحرة لمن ملّكتها فيكون قولهما لك تعليلاً وغوراً ، فإذا انصرفت عنها عادت إلى بعدها على حالتها المبتذلة . إن هذا لذلٍّ وضيّم ! ما أعرف أخيب سهّماً ، ولا أضيع عمراً منك ! فأناشدك الله إلا كفت وتأملت أمرك فإنك تعلم أن ما قلته حق ولو كان إليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها ولكن هذا أمر قد ثات واستبد به من قدره . وفي النساء عوض .

قال جميل :

الرأى ما رأيت والقول كما قلت . فهل رأيت قبلي أحداً قدر أن يدفع عن قلبه هواه ، أو ملك أن يسلّي نفسه ، أو استطاع أن يدفع ما قضى عليه ؟ والله لو قدرت أن أحwo ذكرها من قلبي ، أو أزيل شخصها من عيني لفعلت ، ولكن لا سبيل إلى ذلك . قال ذلك جميل ، وأخذ يبكي ، فبكى أبوه ومن حضر ، جزعاً لما رأوا منه .

وفي ذلك يقول جميل :

ألا من لقلب لا يمل فَيَذْهَلُ
أفق فالتعزّى عن بيته أجمل
سلام كل ذي دِعَة عامت مَكَانَه
وأنت بها حتى المات مُوكَل
فا هكذا أحبيتَ مَنْ كان قبلها
ولا هكذا فيها مضى كفتَ تفعل
وما أجمل وفاء قيس بن ذريح !

قالوا إنه تزوج لبني ، وعاش في هذا الزواج سعيدين ، ناعمى البال ، ولكن عبوس الأيام أخذ يدنو من هذا العيش رويداً رويداً ، وكانت أم قيس سعيداً

إلى ذاك العبوس . إذ أنها أحست حين تزوج ولدها قيس أن تضليل بره لها ، فلا بد أن تسعى للفرقة بينه وبين من كانت سبباً في انقطاع بره ، وهي لبني ، التي شفف بها حبّاً ، حتى شغلته عن أقرب الناس إليه ، وهي أمه التي حملته في بطئها تسعة أشهر . وكان أن مرض قيس ، فوجدت أمه أن الفرصة سانحة ، لو مات قيس في سرمه هذا ، ولم يترك ولداً ، ماذا يكون الأمر في هذا المال الذي سيثره عن أبيه ، وهو جم كثير ؟ إذن من الخير أن يكون لقيس خلف ، يرث هذا المال . ويؤول إليه هذا التراث ، وأين هذا الخلف ؟ وهو متزوج من لبني ، التي حرم منها الولد .

تلك هي الحيلة الدهياء التي تصمد بها إلى الفرق بين قيس ولبني .

وتحدثت أم قيس إلى أبيه في هذا الشأن ، وألحت عليه ، حتى إذا اجتمع قومه

دعاه وقال له :

يا قيس إنك اعتدلت هذه العلة فحتمت عليك ولا ولد لك ، ولا لي سواك . وهذه المرأة ليست بولود فتزوج إحدى بنات عملك لعل الله أن يهب لك ولداً ، تقر به عينك وأعيننا .

فقال قيس :

لست متزوجاً غيرها أبداً .

فقال له أبوه :

فإن في مالي سعة فتسر بالإماء ..

قال :

ولا أسوءها بشيء أبداً والله .

قال أبوه :

فإنني أقسم عليك إلا طلاقتها .

فأبي ، وقال :

الموت والله على أسمهل من ذلك . ولكن أخيرك خصلة من ثلاث خصال :

قال : وما هي ؟

قال : تتزوج أنت فلعل الله أن يرزقك ولدًا غيري .

قال : فما في فضلة لذلك .

قال : فدعني أرتحل عنك بأهلي ، واصنع ما كفت صانعًا لو مت في عالي هذه .

قال : ولا هذه .

قال : فأدع لبني عندك وأرتحل عنك ، فاعلى أسلوها فإني ما أحب بعد أن تكون نفسي طيبة أنها في خيالي .

قال : لا أرضي أو تطلقها . وحلف لا يكتبه سقف بيت أبدًا حتى يطلق لبني ، وقد هجره أبواه حتى يطلق لبني ، ودام هذا الهجر طويلاً ، وقيل إنه بلغ عشر سنين ، وكان أن طلق قيس لبني مرغماً كارهاً .

ولما قيل له : هذه لبني ترتحل الليلة أو غداً ، جزع جزاً شديداً ، وسقط مخسياً عليه ، لا يعقل ، ثم أفاق وهو يقول :

وإني لمن دمع عيني بالبكاء
حذار الذي قد كان أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذلك بدلة
فراق حبيب لم بين وهو باطن
وما كفت أخشى أن تكون مني
بكيفيك إلا أن ماحان حائن
ويقول :

يقولون لبني فتنه كفت قبلها
بنغير فلا تندم عليها وطلق
فطاوعت أعدائي وعاصيت ناصحي
وأقررت عين الشامت المتخافق^(١)
وتحملت في رضوانها كل موبق^(٢)
وكفت خوض البحر والبحرآخر

(١) الذي يتكلف ماليس في خلقه . (٢) مهلك .

كأنى أرى الناس الحبيبين بعدها عصارة ماه الحنظل التفلق
 فتتذكر عيني بعدها كل منظر ويذكره سمعي بعدها كل منطق
 وكان يذكراها ، فتثير في نفسه الذكرى الآلام والأقسام . وكان يأتى موضع
 خبائثها ويتعرغ فيه ويبكي ويقول :

بت والم باليمني ضجيعي وجَرَتْ مِنْذْ نَأْيَتِ عَنِ دَمْوعِي
 وتنفست إذ ذكرتك حتى زالت الْيَوْمُ عَنْ فَوَادِي ضَلْوعِي
 أَنْتَنَاكَ كَيْ يُرِيعَ^(١) فَوَادِي ثُمَّ يَشْتَدُ عَنْدَ ذَلِكَ وَلُوعِي
 يَا لَيْلَنِي فَدَتِكَ نَفْسِي وَأَهْلِي هَلْ لَدْهُ مُضِيٌّ لَنَا مِنْ رَجْوِي
 وَكَانْ قَيْسٌ يَوْمَ نَفْسِهِ عَلَى إِطَاعَةِ أَيْهِ فِي طَلاقِ لَبْنِي . ويقول :
 وَمَا كَانَ عَلَى لَوْ اعْتَزَلَهُ وَأَفْتَ فِي حِيَهَا أَوْ فِي بَوَادِي الْعَرَبِ ، أَوْ عَصَيْتَهُ فِي
 أَطْعَمْهُ . هَذِهِ جَنَاحِيَّتِي عَلَى نَفْسِي فَلَالَّوْمُ عَلَى أَحَدٍ . وَهَذِهِ مِيَّتْهُ مَعْلَمَتِهِ . فَمَنْ يَرْدُ روْحِي
 إِلَى ؟ وَهَلْ لَيْ سَبِيلٌ إِلَى لَبْنِي بَعْدَ الطَّلاقِ ؟

وَهَذِهِ أَمْ قَيْسٌ تَرْسِلُ إِلَيْهِ فَتَيَّاتٍ مِنْ قَوْمِهِ . لِعَلْمِنَ فَاتَّنَاتٍ فِي الْحَسْنِ وَالْجَمَالِ .
 وَيَذْهَبُ إِلَيْهِ هُؤُلَاءِ الْفَتَيَّاتِ ، يَعْرَضُنَ عَلَيْهِ مَا وَهَبَنَ اللَّهُ مِنْ فَتَنَةٍ وَزِيَّةٍ ، وَيَتَحَدَّثُنَ
 إِلَيْهِ حَدِيثُ الْلَّهِ وَالدِّعَابَةِ وَالْمَرْحِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَلْقَى إِلَيْهِنَ وَعِيهِ ، وَلَا يَصْنَعُ إِلَى مَوَاطِنِ
 الظَّارِفِ فِي حَدِيثِهِنَ وَفِي مَظَاهِرِهِنَ فَهُوَ وَاجِمُ ، مَطْرَقُ ، حَزِينُ ، كَسِيرُ النَّفْسِ . حَتَّى
 إِذَا أَعْيَتْهُنَ الْحَيْلَةَ ، وَلَمْ يَظْفَرُنَ مِنْهُ بِطَائِلٍ ، أَخْذَنَ يَعْنَ لَبْنِي ، وَيَسْخَرُنَ مِنْ كُلِّهِ
 بَهَا ، وَهِيَ لَا تَفْوَقُهُنَ فِي الْحَسْنِ وَالْجَمَالِ . فَلَمَّا أَطْلَنَ أَقْبَلَ عَلَيْهِنَ وَقَالَ :

يَقْرَئُ بَعِيْنِي قَرْبُهَا وَيَزِيدُنِي بَهَا كَلَّفَهُ مَنْ كَانَ عَنْدِي يَعِيْهَا
 وَكَمْ قَائِلٌ قَدْ قَالَ تُبْ فَعَصِيْتُهُ وَتَلَكَ لَعْمَرِي تُوبَةً لَا أُتُوبُهَا
 بِأَوْلِ نَفْسٍ صَبِرًا لَسْتُ وَاللَّهُ فَاعْلَمُ فِيَنَفْسِي صَبِرًا لَسْتُ وَاللَّهُ فَاعْلَمُ

(١) يَحْبَدُ .

وكان هؤلاء النساء قرأن في هذا الشعر لوناً من ألوان وفاء قيس ، وأنه لا ينفك عن حب لبني مها كانت المغريات ، فيحسن من هجره لها ، وذهبن إلى أمه يعرضن عليها ، أنهن أخفقن في الرسالة التي تصدّن لها وهي القطيعة أو الفراق بين قيس ولبني .
وانظر ماذا فعل الوفاء بين قيس ولبني ؟ .

مرض قيس ، ولعله مرض الحب الذي أضنه ، وأعياه وأهلكه . وظن أبوه أن الفرصة سانحة لصرفه عن لبني . فدس إليه فتنيات الحى ، وكن جمادات بارعات في المجال ودخل إليه طبيب ليداويه ، وكان الفتنيات يجادلنه ، ويطعن السؤال عن سبب علته . أما سبب العلة فقد أبان لهن ولنا في هذه الأبيات :

عيَدْ قَيْسُ مِنْ حَبَّ لَبْنِي وَلَبْنِي دَاءْ قَيْسُ وَالْحَبْ دَاءْ شَدِيدْ
وَإِذَا عَادَنِي الْعَوَادْ يَوْمًا قَالَتِ الْعَيْنُ لَا أَرَى مِنْ أَرِيدْ
لَيْتِ لَبْنِي تَعُودَنِي ثُمَّ أَقْضِي إِنَّهَا لَا تَعُودُ فِيمَنْ يَعُودُ
وَقَيْنَعْ قَيْسُ لَقَدْ تَضَمَّنَ مِنْهَا دَاءْ خَبِيلْ فَالْقَلْبُ مِنْهُ تَعَسِّيدْ
أَعْرَفْ أَنَّهُ دَاءْ الْحَبْ ، وَالْحَبْ دَاءْ شَدِيدْ ! وَمَنْ شَأْنَ الْمَرِيضِ أَنْ يَجْدُفْ عِيَادَة
الْمَوَادِ مَا يَخْفِي عَنْهُ الْمَهْمُ وَالْحَزْنُ . وَلَكِنْ عَوَادْ قَيْسُ لَمْ يَكُونُوا سَبِيلًا مِنْ أَسْبَابِ
التَّخْفِيفِ وَالْتَّرْوِيجِ ، لَأَنَّهُ لَا يَرِي فِيهِمْ أَوْ فِيهِنْ مِنْ يَرِيدْ . وَلَيْتَهُ وَجَدَ لَبْنِي تَعُودَهُ .
إِذْنَ نَحْنُ عَنْهُ الْأَلْمُ ، وَزَالَ عَنْهُ الْمَرِضُ ، لَيْتَهُ يَجْدُهَا ، وَلَوْ قَضَى نَحْبُهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِتَضَامَ
وَهُورَاضِ مَطْمَئِنْ ، لَأَنَّهُ رَآهَا ، وَلَأَنَّهُ أَشْبَعَ بَصَرَهُ مِنْ مُحْيَا هَا ، وَلَأَنَّهُ روَى قَلْبَهُ
مِنْ حَدِيثِهَا وَنَجْوَاهَا . وَهَلْ تَتَحَقَّقُ الْأَمَالُ ؟ لَا . فَلَا لَبْنِي تَعُودُهُ ، وَلَا هُوَ بَنَاجٌ مَا يَتَرَبَّ
عَلَى هَجْرِهَا إِلَيْهَا مِنْ مَصَاصَ وَنَكَباتِ .

وَتَدْبِرُ مَعِيَ هَذِهِ الْأَبِيَاتِ :

تَقُولُ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةُ :

وَذِي حَاجَةٍ قَلَنَا لَهُ لَا تَبْحَرُ بَهَا قَلِيسُ إِلَيْهَا مَا حَيَتْ سَبِيلْ

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه
وأنت لأخرى صاحب وخليل
ويقول الصّمة القشيري :

إذا نأت لم تفارقني علاقتها
فحال عيني من يوميك واحدة
ويقول داود بن سلم :

وكم لام فيها من أخ ذى نصيحة
أتأمر إنساناً بفرقة قلبه

ويقول بشار :

يا عبد حي عن قريب
وارجعِي ودادي غائبًا
أشكوا إليك وإنما
غرضي إليك من الهوى

ويقول ابن الدمينة :

لَكَ اللَّهُ إِنِّي واصل مَا وَصَلْتِي
فلا تُسْتَرِكِي نفسي شعاعًا فانها
وإِنِّي لِأُسْتَحْمِيَكَ حَتَّى كَانَاهَا
بِمَا أُولِيتَنِي وَمُشَيْبَ

ويقول سعد بن مطرّف (وكان يهوى ابنة عم يقال لها سعاد) :

أغار على طرف لها فكأنى
إذا رام طرف غيرها لست بأبصر
وأحذر أن تصنّى إذا بحث بالهوى
فأكتمها جهدى هوای وأستر

وكان من سعاد أن كرهت أن ينتشر بين الناس خبر حبه لها، فهجرته فكتب لها:

مِتْ شُوقًا وَكَدْتُ أَهْلَكُ وجدا
حين أبدى الحبيب هراؤاً وصداً

بأبي من إذا دونت إلية زادني في التقرب منه ناياً وبعدها

ما تناصيته ولا خلت عهدا
من هواه وقد تقطعت وجدا
وهو شمس الضحى إذا ما تبدى

لا وحبيه لا وحق هواه
حاش الله أن أكوت خليبا
كيف لا. كيف عن هواه سُؤتي

ويقول ابن الأعرابي :

نجيع كـماه المـهـاـهـ نـجـيـعـ (١) .
لقد عـاـمـتـ سـمـراـهـ أـنـ حـدـيـثـهاـ
هـفـتـ كـبـدـ عـمـاـ يـقـلـنـ صـدـيـعـهاـ
إـذـاـ أـمـرـتـنـىـ الـعـادـلـاتـ بـصـرـمـهاـ
يـؤـرـقـىـ وـالـعـادـلـاتـ بـجـمـوعـهاـ
وـكـيـفـ أـطـيـعـ الـعـادـلـاتـ وـجـبـهاـ
وـيـقـولـ الـحـسـينـ بـنـ مـطـيرـ :
فـيـاـ عـجـيـباـ لـلـنـاسـ يـسـتـشـرـ فـوـنـيـ (٢) .
كـانـ لـمـ يـرـواـ بـعـدـ مـحـبـاـ وـلـ قـبـلـ
يـقـولـونـ لـىـ أـصـرـمـ يـرـجـعـ الـعـقـلـ كـلـهـ
وـيـأـعـجـباـ مـنـ حـبـ مـنـ هـوـ قـاتـلـ (٣)
وـمـنـ بـيـنـاتـ الـحـبـ أـنـ كـانـ أـهـلـهاـ
ولـعـلـ حـيـنـ تـتـدـبـرـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ تـعـرـفـ فـيـهاـ أـلـوـانـاـ مـنـ الـوـفـاءـ ،ـ يـحـدـثـكـ عـنـهاـ الشـعـرـاـ .
حـدـيـثـاـ شـائـقـاـ بـجـداـباـ .

فـلـيـلـ الـأـخـيـلـيةـ مـثـالـ الـوـفـاءـ لـمـ تـحـبـ ،ـ وـتـعـلـمـ فـيـ صـرـاحـةـ أـنـ لـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـخـوـنـ
هـذـاـ الـحـبـ ،ـ وـلـوـ سـوـلـتـ لـإـنـسـانـ نـسـهـ أـنـ يـبـغـيـ بـهـ حـاجـةـ ،ـ فـإـنـهـ لـاـ تـحـقـقـ لـهـ هـوـيـ
نـسـهـ ،ـ فـهـيـ لـاـ تـرـضـيـ أـنـ تـخـوـنـ حـبـيـهـاـ ،ـ وـلـاـ تـرـضـيـ هـذـاـ إـنـسـانـ ،ـ الـذـيـ تـسـوـلـ لـهـ نـسـهـ
الـسـوـءـ أـنـ يـخـوـنـ حـبـيـتـهـ إـذـاـ هـيـ حـقـقـتـ لـهـ مـاـ يـرـيدـ .

وـالـصـمـةـ الـقـشـيرـيـ مـثـالـ الـوـفـاءـ لـمـ يـحـبـ .ـ فـإـذـاـ نـأـتـ فـإـنـهـ يـذـكـرـهـاـ ،ـ وـيـرـعـيـ وـدـهـاـ ،ـ

(١) يـقـالـ مـاـهـ نـجـيـعـ :ـ حـلـوـ مـرـىـ .ـ (٢) اـسـتـشـرـفـهـ :ـ نـظـرـ إـلـيـهـ يـبـصـرـهـ .

(٣) أـىـ تـعـجـبـ مـنـ حـبـ لـمـ يـقـتـلـنـ كـانـ مـوـذـقـ لـهـ جـزـاءـ اـقـتـلـاـهـ .

ولا تفارقها علاقتها . وإن دنت فإنه يحتمل صدتها ، وهجرها وتجنبها عليه ، واتهامها له ،
وذلك إخلاص منه ووفاء .

وداود بن سلم : لا يطيع فيها العواذل ، وهم يريدون أن تكون الفرقة بينهما ، وأن
تقوم الخصومة بين الحبيب والحبيبة ، حتى لا يكون ود ، ولا يكون وصال . أما هو
فيُسخر من هؤلاء الناس ، ولا يصغى بقلبه إلى ما يشتهون ، وكيف له ذلك ؟ وهو جسم
والحبيبة قلبه ، وإن تصلح أجسام بغير قلوب .

وبشار : يحمله الوفاء على أن يرعاها في المغيب ، كما يحمله على أن يطلب منها ذلك
توكيداً لما بينهما من حب وهيام ، كما يدعوه الوفاء إلى أن يشكوا إليها ما في خبيثة
نفسه ، وإنما يشكوا المحب إلى الحبيب . ثم يختتم هذه الأبيات بكثير من التذلل والتسلل
فهو مريض بحبها ، وهو مُعْتَى بأوصاب الحب وآلامه ، وحاجته إليها في علاج ما به
حاجة المريض إلى الطبيب ، أو حاجة من يشرف على الملائكة إلى من يأخذ بيده ،
ويعيد إليه أمل الحياة ، وبسمة الوجود .

وابن الدمينة : وفي إلى حبيبته ، فهو يذكرها ، ويثنى عليها ، ويقدمح فعالها ،
مهما تجنبت وظلمت ، ثم هو يضرع إليها ، حتى ترد إليه شيئاً من الأمان والطمأنينة ،
وترد إليه شيئاً من المدد والاستقرار . ثم يحدثنا عن نوع من الوفاء ، جميل محظوظ ،
ذلك هو الوفاء الذي لا يكون رداء ونفاقاً ، بل يكون صادراً من القلب ، ومن القلب
الجي البريء ، وذلك هو الوفاء الذي يجعل المحب يرعى ود الحبيب في الغياب .

وهذا هو قوله :

وإنني لأشتحيك حتى كأنما على بظهر الغيب منك رقيب

وما أجمل وفاء سعد بن مطراف !

هذا طرفه الذي يبصر به ويري ، يريد أن يجعله خالصاً لمحبته ، يراها وحدها
دون سائر الناس ، أو يتمثلها وحدها في كل ماري ، حتى كأنه إذا رأى النظر إلى غيرها

فإنه يفقد حاسة الرؤية والإبصار ، أليس ذلك وفاء؟ بلى . وليس مثله وفاء .

وفي الأبيات الأخرى يظهر مزيد حبه لها ، وكله بها ، ويقسم بحبها ، وهوها
— وإنه لقسم لوعاون عظيم — أنه ما نسيها ، ولا خان عهدها . ثم هو بعد ذلك
يعتبرها المثل الأعلى ، يعتبرها الشمس في وقت إشراقتها ولمعانها ، تضيئ العالم ، وتثير
ظلمات الوجود .

ويعلم ابن الأعرابي ، كما يعلم الحسين بن مطير أنهم لا يطيمان العواذل ،
وهم يريدون الفرقة بين الحب والحبس . ويصور ابن الأعرابي أن هذه الرغبة
من العواذل لاتلقى تأييداً خسب ، بل تكون سبباً في المزيد من الوصال ، وفي المزيد
من الشوق والحنين إليها .

كما يصور الحسين بن مطير أن تحقيق هذه الرغبة من العواذل يؤدي إلى الملائكة ،
ويذهب بعقله وفؤاده ، ويزيد على ذلك أن حبيبته تقتل بقصدها ودلالها ، وتتجنيها ،
ورغم ذلك فإنه يحبها ، وهو في عجب من هذا ، كيف يحب من يقتلها ، وكيف يكون
جزاء القاتل مودة ، وحناناً ورحمة؟ كما يزيد على ذلك أن وفاه لها يجعله يحب أهلها ،
وهم الرقباء عليها ، وهم العواذل بينه وبينها !

هذه صور من ألوان الشعر ، تحدثك عن وفاه الشعراة الغزلين ، وترىك فوق ذلك كثيراً من المعانى الجميلة ، التي تربط بين قلوب الحبدين ، فيظهر فيها الحب الصافى
والإخلاص الجميل .

* * *

هذا الذى قدمت من أمثلة عن سعة الحيلة ، ورقة الحس ، والتضاحية والطموح
والصبر ، والوفاء ، وما يتصل بهذه الصفات الطيبة — يعطينا صورة صادقة عن خلق
العربى ، يحملها إلينا الشعر ، فى ضرب من ضرباته وهو الغزل .

وسواء كانت هذه الصفات من خلق أى عربى ، أو كانت من خلق العربى

المغرم المتشمِّ . فهَا لاشكَ فيهُ أنَّ كثيراً من العرب يتعلّقون بكثير من هذهِ الصفات فقد عرف عن العربي في الغالب أنه صبور ، وأنه وفي ، وأنه طموح .

ولكنَّ ما لا شكَ فيهُ أيضاً أنَّ العربي الحب أكثر صبراً وأكثر وفاء ، وأكثر طموحاً ، وأكثر رقة في الحس ، فوق ما يمتاز به من صفات أخرى كرقة الحس وسعة الحيلة ، وحلاؤه الحديث . وبعبارة أدق فإنَّ الشعر العربي حين يتحدث عن الغزلين وأحواهم ، وحين تلمس في هذا الحديث صورة عن أخلاقهم ، فإنَّا لنجد هذهِ الأمثلة التي بسطنا ذكرها من قبيل .

وإذا كان الأمر كذلكَ فنَ الواجب علينا نحن القارئين ، ونحن الناشئين أن نتذمِّر شعر الغزل ، وأن نتفهم في معانيه ورساميَّه ، لأنَّ ذلك الصورة المازلة الماجنة ، التي يجرِي وراءها البسطاء والغفلاء ، بل تلك الصورة الطيبة ، التي تشع علينا قبساً من الخلق الكريم ، ومن التهذيب الصحيح .

إنَّ من الجهل والغفلة حقاً أنَّ يفهم بعض الناس أنَّ الغزل عبث ولهو وتسليه ، ولو تدبروا الأمر قليلاً لعرفوا أنَّ الغزل أداة صالحة للتربية والتهديب .

فعلينا إذن أن نقرأ هذه المواقف الرائعة من الغزل ، وعلينا إذن أن ندرس هذه المعانٰي الرقيقة في شعر الغزل ، ونحن إذن فعلنا ذلك عن صدق ومعرفة ، وطهارة قلب تكون بلا شك قد أفادنا عقولنا من طريق ماتوحى من معان ، وأفكار ، وآراء ترتفع بالعقل الإنساني إلى درجات من الرق ، والسرعة ، والتقويم . ونكون بلا شك قد أفادنا نفوسنا من طريق ما توحى من مثل صالحة للخلق الكريم ، وما أحوجنا إلى هذهِ المثل الصالحة من تضحية ، وطموم ، وصبر ، ووفاء ! .

* * *

وجميل بالغزل أنَّ يدفع الناس إلى التخلُّي بهذهِ الصفات . فالطموح يدفع صاحبه إلى أن يتخلَّى بالفضائل ، ويتحلُّ عن الرذائل .

لا في دائرة الفزل خسب ، بل في كل قول يقوله ، وفي كل عمل يعمله . لأن له نهجاً سلبياً ، يخشى إذا تجاوزه . وتحططاه أن تتنقصه حبب قلبه وهواده . فهو دائماً يتسامي في أخلاقه وأعماله ، حتى يكون قريباً من وصالها ورضها .

والعقل سلاح المرأة في الحياة . ينفذ به بين مسالكها إلى حيث تكون السلامة والعافية لأنَّه عرف كيف يقود نفسه في ظلمات الحب ، ومعامع الموى . وهي كثيرة النيموم ، كثيرة الأشواك ، كثيرة الأخطار . عرف كيف يصل بشاقب رأيه ، ونافذ بصيرته إلى تحقيق ما يريد ويبلغى .

والعاطفة الرقيقة تدفع صاحبها إلى أن يكون مثال العطف ، والشفقة ، والرحمة . لأنَّه عرف في الفزل مرارة الحرمان ، وكره هذا النوع من البخل والهجر ، فأصبح لديه كل شيء يمثاله كريهاً ذمياً .

يحب الحرية لكل كائن حي . لأنَّه عرف نعمة الحرية في الفزل .

يحب أن يكون عطوفاً رءوفاً ، شفيراً محسيناً . لأنَّه عرف لذة العطف في الوصل والقاء .

يحب أن يكون هادئاً ، ليناً ، وادعاً ، حلو الحديث ، رقيق القول ، غرداً ، طروباً . لأنَّه عرف كيف تصل الكلمة الطيبة إلى القلب الطيب . لأنَّه عرف بالرقابة كيف ينال رضا الحبيب . ولأنَّه عرف كيف تكون اللذة ، ويكون الطرف حين الوصل ، وحين يزوره الطيف ، وحين النجوى .

والصبر يدفع صاحبه إلى احتمال صروف الزمن ، وما أكثر آلامها ! لأنَّه عرف في الفزل صنوفاً من المحن فاحتملها ، ولأنَّه تغلب على صعب الحب ، واحتمل في سبيل ذلك ألواناً من المشقة والمعاناة . ولأنَّه تحمل وصابر ، حتى وصل إلى تحقيق مبتغاه .

والوفاء يحمل صاحبه إلى أن يكون وفياً إلى أسرته ، وإلى وطنه ، وإلى المجتمع الإنساني .

لأنه عرف في الغزل كيف يكون الوفاء جيلاً ، وكيف يكون الغدر ذمياً
غري به أن يتبع كل ما هو حسن جميل ، وأن يطرح كل ما هو بغيض ذميم .
وذلك هي الصفات الكريمة التي إذا تحلى بها الإنسان كان مثال الكمال والسمو .
وذلك هي الصفات التي عرفناها في الغزل بين رجاله ، وفي شعره .

فلم لا تتحلى بها ؟ ولا نهتدي بهديها ؟
أو بعبارة أخرى :

لم لا نقرأ شعر الغزل ؟ ولم لا نقتدار به ؟ حتى نظفر منه بهذه الخلية ، وبهذا المدى .
إننا حين نقرأ الغزل ، وحين نستخلص منه هذا المدّي الكريم ، من الطموح ،
والشخصية ، والعقل ، والعاطفة ، والصبر والوفاء نكون قد جنينا أطيب الثرات .
وذلك هو أثر الغزل .

البَلَاجِيُّونَ

تطوّر الغزل

الغزل لون من ألوان الحياة ، كأى فن من الفنون ، ينشأ وينمو ، ويترعرع ، ويتأثر بما حوله من أسباب الحياة ، فيقوى أو يضعف ، ويزدهر أو يذبل .
فإذا أصابه من أسباب الحياة ، ما كان عوناً له نما وانتشر ، وصال فيه الشاعر
وجال ، وعدبت ألفاظه ، ورقت معانيه ، وتناوله كثير من الشعراء ، وأكتفى به بعضهم
دون أبواب الشعر الأخرى . خبودوا فيه وفنتوا ، وأبدعوا وأتقنوا ، وجازهم الملوك
والحكام باللون من البذل والمعطاء ، وجعلوا من قصورهم ومن مجالسهم محافل سهر ،
وأدب ، يتناشدون فيها ماتجود به قرائح الشعراء ، وكان من جمهرة الناس إعجاب بهم ،
ودراسة لشعرهم ، وإشادة بما يحمله هذا الشعر من وصف الجمال ، وأحاديث الموى .
وإذا فقد هذه الأسباب ذيل وأضحيمل ، ورغب عنه الشعراء .

تطور الغزل في نواحٍ كثيرة :

تطور من حيث النوع :

إذ وجد بجانب الغزل بالمرأة نوع آخر هو الغزل بالذكر .

وتطور من حيث الأقسام :

إذ وجد بجانب الغزل الصناعي الغزل العذرى ، والغزل الماجن .

وتطور من حيث القلة والكثرة ، كما تطور من حيث المعنى والأسلوب .

وذلك ما أبینه في الفصول الآتية :

أما الأسباب التي دعت إلى هذا التطور فهي دواعي الغزل التي أشرنا إليها من قبل .

الفصل الأول

الغزل بالذكر

والغزل كما قدمنا يتصل بالمرأة ، يصف الشعر حسنها ، ويتحدث عن جمالها .
ويذكّر حال الحب نحوها ، من شفف بها ، وتودد إليها .

هذا هو الغزل في معناه العام الذي جرى به العرف من قديم الزمن ولكن أصابه
في هذه الناحية تطور ، سواء كان هذا التطور حسناً أو قبيحاً ، كريماً أو غير كريم ،
ذلك هو الغزل بالذكر ، وفي طائفة من الشعر العربي تقرأ هذا النوع من الغزل .
يصف الشاعر جمال الفتى ، كما يصف الشاعر الآخر جمال الفتاة . ويصف شففه به ،
وميله إليه كما يصف الشاعر الآخر شففه بالمرأة وميله إليها .

نشأ هذا الحب من الغزل أيام الحكم العباسي حين خالط العرب الفرس ، ونفذت
الحضارة الفارسية إلى حياة العرب ، فبعثت فيها ألواناً من الأهواء والجنون ، ووصل بهم
السفر في هذه النواحي إلى هذا التطور من الغزل بالذكر ، فأصبح غير بغيض
إلى طائفة من الشعراء أن يكون غزلاً بالذكر ، وأصبح غير بغرض إلى جمهرة
من الناس أن يصنعوا إلى هذا الشعر ، وأن يتذوقوا ما فيه من روعة وجمال .

وهذه أمثلة من غزل الشعراء بالذكر :

يقول أبو نواس في غلام اسمه رحمة :

يَنْتَأْ كَلْفَتْ بِهِ مِنْ شِعْرِ بَشَارٍ
أَحَبَبْتَ مِنْ شِعْرِ بَشَارٍ لِبَكْمَ
وَجَاؤْرِيْنَا فَدَتْكَ النَّفْسُ مِنْ جَارٍ
يَارَحْمَةَ اللَّهِ حَلَّ فِي مَنَازِلِنَا
كَفِيتْ عَنْكَ وَمَا يَعْدُكَ إِضْمَارِي
إِذَا ابْتَهَلْتَ سَأْلَتْ اللَّهُ رَحْمَتَهُ

ويقول البحترى في غلام اسمه « نسيم » :

أظن نسيماً قارف المهم من بعدى
دعا عبرى تجرى على الجدور والقصد
خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه
فيما عجباً للدهر فقد على فقد

ويقول حماد عَبْرَدَ في غلام اسمه « بشر » :

أخرى كف عن لومي فإنك لا تدرى	بما فعل الحب المبرح في صدرى
أخرى إن تلحساني وقلبك فارغ	وقلبي مشغول الجوانح بالفکر
أخرى إن دائى ليس عندى دواوه	ولكن دوائى عند قلب أبي بشر
دوائى ودائى عند من لو رأيته	يقلب عينيه لأقصرت عن زجري
فأقسم لو أصبحت في لوعة الهوى	لأقصرت عن لومى وأطنبت في عذرى
ولكن بلائى منك أنك ناصح	وأنك لا تدرى بأنك لا تدرى

ويقول عبد الله بن المعتز في غلام اسمه « نشوان » يترضاه بعد هير وجفوة :

بابى أنت قد تما	ديتَ في المجر والعصَبَ
واصطبارى على صدو	دكَ يوماً من العَجَبَ
ليس لي إن فقدت وج	هكَ في العيش من أربَ
رحم الله منْ أعا	ن على الصلح واحتسب

ويقول الحسين بن الضحاك في غلام اسمه « يسر » :

سائل بطيفك عن ليلى وعن سهرى	وعن تنابع أنفاسى وعن فَكَرى
لم يخل قلبي من ذكرك إذ نظرت	عينى إليكَ على حَحُوى ولا سكري
سقِيا لي يوم سروى إذ تنازعني	صفوَ المدامَة بين الأنس واللَّافر
ونفضل كأسك يأتينى فأشربه	جهراً وشرب كأسى غيرَ مستتر
وكيف أشبله لثني وألزمَه	نحرى وترفعه كفى إلى بصرى

فليت مدة يومي إذ مضى سلفاً
كانت ومرة أيامى على قدر
حتى إذا ما انطوت علينا بشاشته
صرنا جميعاً كذا جارين في المحرف
ويقول الفتح بن خافان بن احمد في غلام اسمه « شاهك » :

أشاهك ليلي مذ هجرت طويل
وعيني دما بعد الدموع تسيل
وبي منك والرحمن ملا أطيقه
وليس إلى شكوى إليك سبيل
أشاهك لو يجزي الحب بوده جزية ولكن الوفاء قليل
ويقول ^(١) أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت في صبي مليح رأه في أحد
متزهات مصر :

منفرد بالحسن والظرف بحث لديه بالنرى أخفي
له فى شكوت وهو من تيه فى غفلة عنى وعن لهفى
قد أزهر الورد على خده لكنه متنع القطف
كأنما الخال به نقطه قطرت من كحل الطرف
ويقول ^(٢) إسماعيل بن اسحق الأزدي في غلام اسمه « ابن البرّى » :
الحااظه ترجمان منطقه ووجهه نزهة لعاشهه
هذبه الظرف والكمال فما ير عيب على طرائقه
قد كثرت قاله العياد فما تسمع إلا سبحان خالقه
ويقول ^(٣) الحسن بن وهب في غلام اسمه « شفيع » خادم المتوكل — وقد أصابه ما جعله يكتجوم : —

هل تعالجت بالحجامة بعدى ليت شعرى يا أملح الناس عندى
فتشا منه بعض ما كنت أبدى قد كتمت الهوى ببلوغ جهدي
سُ بآنى إليك أصنف بودى وخلعت العذار فليعلم النا

(١) معجم الأدباء ج ٧ ص ٦٧ (٢) معجم الأدباء ج ٦ ص ١٣٧ (٣) المقد الفريد ج ٨ ص ١١٣

من عذيرى من مقلتيلك ومن إش سراق وجه من حول حمرة خد
ويقول محمد بن أحمد الكاتب في غلام يكى « أبا سعد » : —
حار بتنى الأيام فيك أبا سعد بسيف الموى وسهم البعاد
ليس لى مفرع سوى عبرات من جفون مكحولة بالسهام
في سهادى لطول أنسى بذكرا لك اعتياض من الگرى والرقاد
وكان ابن داود يهوى غلاما اسمه « محمد بن جامع » هوى أفضى به إلى التلف .
فدخل عليه أحد رفقاء ، وقال له : يا سيدى ما بك ؟ فقال : حب من تعلم أورثنى
ما ترى . فقلت : ما يعنك من الاستمتاع به مع القدرة عليه . فقال :
الاستمتاع نوعان : محظور ومحاب ، أما المحظور فعاذ الله منه ، وأما للمباح فهو
الذى صيرنى إلى ما ترى .

* * *

ولعلك ترى أن هذا الغزل بالذكر لا يختلف عن الغزل العام ، في كثير
من ألفاظه ومعانيه .

فالمحبوب كلف بحبه ، مُعَنِّى بحبه ، يتوجع من حرقة الموى ، ولوعة الفراق .
ويتقلل باللون من الصد والمهر ، كما يتقلل بالمواذل والرقباء .
وذلك كله تراه في كثير من هذه الأبيات .

والمحبيب طيف يزور الحبيب لاما ، فينعم بآنسه ويناجيه ، ويتحدث إليه ،
ويبيشه مكتنون غرامه وهياته ، وقد يغيب عنه هذا الطيف فيصيبه الظم والحزن ، كما
يصيبه الأرق والسرير .

وترى هذا في شعر الحسين بن الصبحاك وغيره من تنزلوا في المذكرة .
وفى شعر الغزل العام تقرأ كثيراً من معانى الصبر والفزع ، والوفاء والغدر ،
والرحمة والجور .

الفرز من هول ما يجرى بين الحبين ، يتذرع لها بالصبر تارة ، وقد يفلت منه الصبر ، فتنتابه المموم والآلام .
والغدر وكثيراً ما يقع بين الحبين . نتيجة صروف الأيام . أو صروف الهوى ،
أو صروف الأهل والأقارب .

والوفاء وهو الوجه الباسم ، الذي يقابل الغدر الكريه العابس .
والجور الذي يكون من الحببية ، فتزهو ، وتقسو ، وتتجنى ، وظلم ، والحبيب
لا جريمة له ولا ذنب ، يتسلل ، ويترحم ، ويتبوب ، وقد يكون غفران ،
وقد يكون انسياق في التجنى والهجران .
وترى مثل هذا في شعر أبي نواس ، وحماد ، وابن المعتز ، وابن الصحاح ، وغيرهم
من تنزلوا في المذكرة .

وفي شعر الغزل بالمرأة تقرأ وصفاً بجمال المرأة : جمال البدن من وجهه ، وخد ،
وقوام ، وعيون ، وأرداف ، وجمال الحديث ، وجمال الدلال .
وفي الغزل بالمذكرة تقرأ شيئاً من هذا :
فأمية بن عبد العزيز يصف انفراده بالحسن ، وانفراده بالظرف ، كما يصف خده .
وإسماعيل الأزدي يصف لحظة ، ووجهه .

والحسن بن وهب يصف المقلتين ، وإشراق الوجه .
في حب الفتى طهارة وعفة كما في حب الفتاة . وهذا ما عنده ابن داود . وفي شعر
الغزل بالمذكرة طهارة وعفة كما في شعر الغزل بالمرأة . كما أن فيه سفهاً وغشاً وإقداماً .
نمسك القلم عن ذكر شيء من هذا كله .

ويكاد يخيل إلى أنك لو قرأت ما قبل في المذكرة دون أن تعرف المناسبة التي قيل
فيها ، ودون أن تعرف ما يصبح أن يكون فارقاً بين المذكرة والأثنى من الضماير ، لأن
يكون الخطاب بالضمير أنت فلا تعرف التاء مفتوحة أو مكسورة ، أو يكون بالكاف
فلا تعرفها مفتوحة أو مكسورة — لم تستطع أن تجزم بأن هذا غزل في مذكرة مؤوث .

الفصل الثاني

أقسام الغزل

١ - الغزل الصناعي :

قد يتوجه الشاعر إلى الغزل بمحى من الصناعة ، الصناعة الشعرية . التي تدفعه إلى هذا اللون من الشعر . فيأتي باللفظ العذب . والمعنى الرائع ، دون أن يملأ الحب قلبه ، ودون أن يقصد بقوله هذا امرأة بعينها . شفف بها حباً ، وملكت عاطفته ، وشعوره . والشاعر إذ يتحدث عن هذه الناحية ، ويصفها كأنه يريد أن يستوعب أبواب الشعر . وهو إذ يحدثنا هذا الحديث يصور المعانى العامة . التي تجري بين المحبين . أما حالات المحبين الدقيقة . وأما ما يجرى بينهم من حوادث خاصة فهو لا يصفها ، ولا يصورها ، لأنه لم يرها بعين نفسه .

وكان الشاعر بغزله الصناعي يريد أن يشبع عواطف الناس . لما يعرفه من ميالهم لشعر الغزل ، وأنه قريب إلى نفوسهم . لأنه حديث عن المرأة ، أو بعبارة أدق عن حسن المرأة وجمالها . وتلك مظاهر تغري بالإعجاب والقبول ولأنه رتى الغزل ، رائع المعنى . ولا يخفى أن لهذا أثره في الإغراء والإعجاب .

وفي ظني أن الشاعر العربي في الجاهلية رأى المرأة ، وراقه حسنها وجمالها ، فكلاها بها ، وتغزل فيها ، وتحدث في شعره عن حسنها وجمالها . ولكن هذا الشاعر شغلته أحداث كثيرة ، هي الأحداث التي كانت تشغيل العرب في العصر الجاهلي . فلم يتسع وقته ، ولم يتسع أفق حياته ، ومظاهر عيشه عن أن يجرى في هذا المجال ، ويتفريح له ، ويجعل عاطفته وحاسنته طوع هواه . وهذا ابتعد في شعره عن الغزل الذي

يصور فيه امرأة بعينها ، ويتحدث عن حاله معها ، وهى كثيرة الشؤون والشجون ، ابتعد عن هذا قليلا إلى المعانى العامة في الغزل . أو بعبارة أخرى ابتعد عن هذا إلى الغزل الصناعى .

والغزل على هذه الصورة لا يمثل حبًا خاصا . ولا لذة خاصة . ولكنه يصور كثيرًا من المعانى العامة التي تجري بين الحبين . والمقصود بهذا التصوير الفن في ذاته ، والخيال في ذاته ، والتشويق في ذاته ، لا يتتجاوزه إلى ما عداه من عاطفة حارة صادقة أو متعة عابرة سافرة .

وقد يطعن في هذا القدر من الشعر أن صاحبه غير مدفوع بحرارة الحب ، ونار الموى ، فتصوّره المعانى ضعيف فاتر ، كمن يصف معركة ، لم يراها ، ولا أدهاها ، فهو يتخيل ، ويصور هذا الخيال .

وربما يدفع هذا الطعن أن تصوير المعانى ، وإن كان فاترًا ضعيفاً ، ولكنه يثير حساسية القارئ أو السامع ببعضه أبيات من العزل ، فيعجب ويطرد . وحينذاك وقد تفتح قلبه ، وتتفتح ذهنه ، يصنف إلى سائر القصيدة في وعي ، ويقظة ، وحسن قبول . ولعل القارئ يحتاج إلى بعض الأمثلة لبسط ما نقول :

في العصر الجاهلي :

يقول أسرؤ القيس في ملحنته :

فَقَمْبَكْ مِنْ ذَكْرِي حَبِيبِي وَمَنْزِلِي بَسْقُطِ اللَّوْيِ بَيْنَ الدَّخُولِ وَجَوْمَلِ^(١)

ويقول النابغة الذبياني :

عَوْجُوا خَيْرُوا النَّعْمَ دِمْنَةَ^(٢) الدَّارِ مَاذَا تُحْيِيُونَ مِنْ نُؤْيِ^(٣) وَأَحْجَارَ

(١) الدخول وجومل : مكانان بين البصرة وجبل بجده . (٢) الدمنة : ما اجتمع

(٣) النؤى : الحفير يكون حول الحباء يعني الطير . من آثار الديار .

ويقول عنترة :

أَمْ هَلْ عَنْ قَتِ الدَّارِ بَعْدَ تَوَهُّمِ^(٢)
هَلْ غَادَ الشُّعْرَاءَ مِنْ مُتَرَدِّمِ^(١)
يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي
وَعَى صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي

ويقول طرفة بن العبد :

تَلَوْحُ كَبَاقَ الْوَشْمِ^(٦) فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
خَلْوَةٌ^(٣) أَطْلَالُ بِرْقَةِ^(٤) مَهْمَدِ^(٥)

ويقول عبيد بن الأبرص :

مِنْ أَمْ عَمْرُو وَلَمْ يُلْمِمْ بِمَعْسَادِ
طَافَ الْخَيَالَ عَلَيْنَا لَيْلَةَ الْوَادِي

في العصر الإسلامي :

يقول جرير .

مَا لِلْمَنَازِلِ لَا يَجِدُنَّ حَزِينَا
أَصْمِنْ أَمْ قَدْمُ الْمَدِي فَبَلَيْنَا ؟

ويقول الفرزدق من قصيدة يمدح بنى شيبان :

دَوَارُسْ لَمْ اسْتَنْظِفْتَ لَمْ تَكَلَّمْ
عَرَفْتَ رُسُومَ الدَّارِ بَعْدَ التَّوْهُمِ
لَهُمْ عَبَرَاتُ الْمُسْتَهَامِ الْمُتَسَمِّ
مَنَازِلُ كَانَتْ مِنْ ثُواَرَ يَعْلَمُ

أَلِمَّا عَلَى أَطْلَالِ سَعْدِي تَسْلَمْ

وَقَوْفَاً بِهَا حَبْجِي عَلَىْ وَإِنَّا

يَقُولُانْ لَاتَهِلْكِ أَسَّيْ وَلَقَدْ بَدَتْ

فَقْلَتْ لَهُمْ لَا تَعْذُلُونِي فَإِنَّهَا

وَيَقُولُ الْقَطَّافِي :

إِنَّا مُحَيِّوكَ فَأَسْلَمْ أَيْهَا الْطَّلْلِ

لِيسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقِّي بِشَاشِتَهِ

(١) تردم الرجل ثوبه : رقبه .
الشعراء على شيئاً أصلحه . ثم ساعل نفسه : هل عرفت دار محبوبتك بعد شدة البحث عنها .

(٤) البرقة : مكان اختلط ترابه بمحارة أو حمى .
(٣) اسم محبوبته .

(٦) القش على اليد ، وهو المسمى (بالدق) .
وضع في ديار بنى عامر .

والعيش إلا عيش ماتقرّ به عين ولا حال إلا سوف تنتقل

ويقول^(١) يزيد بن ضبة في مطلع قصيدة :

أرى سامي تصدّ و ما صددنا	وغير صدودها كنا أردننا
لقد بخَلَتْ بناهُلها علِيَّنا	ولو جادت بناهُلها حمَدنا
وقد ضفت بما وعدت وأمست	تفَيَّرَ عهْدَها عما عَهَدَنا
ولو عَلِمْتَ بما لاقيتُ سلمى	فتخبرني وتعلم ما وجدنا
ثُلِمْ على تناهى الدار منا	في سهرنا الحسال إذا رقدنا

في المهر العباسى :

ويقول^(٢) البحترى في مطلع قصيدة يمدح التوكل :

ردي على المشتاق بعض رقاده	أو فاشرَ كيه في اتصال سهاده
أسهرته حتى إذا هجر الكرى	خليت عنه ونمت عن إسعاده
وقسا فؤادك أن يلين للوعة	باتت تقلقل في حميم فؤاده
ولقد عذرت فهان طوعاً للهوى	وجنبته فرأيت ذل قياده
من منصفي من ظالم ملكته	ودي ولم أملك عزيز وداده
إن كنت أملك غير سالف وده	فبليت بعد صدوده بيعاده

ويقول من مطلع قصيدة يمدح أحمد بن اسماعيل :

عرجو فالسموع إن أبك في الربع دموعي والاكتئاب أكتئابي
وكمثل الأحباب لو يعلم العـا ذل عندي منازل الأحباب

ويقول^(٣) المتنبي في مطلع قصيدة يمدح أبو المتنصر شجاع بن محمد :

أرق على أرق ومثلي يأرق وجوى^(٤) يزيد وعَبَرَة تترقرق

(١) الأغاني ج ٧ ص ٩٥ (٢) ديوان البحترى ج ٢ ص ١٢٩

(٣) ديوان المتنبي ج ١ ص ٧٧ (٤) الجوى : الحرقة من حزن أو عشق .

عين مسحدة وقلب ينفق
إلا انشئت ولـى فؤاد شـيـق^(١)
نـارـ الغـضـى^(٢) وـتـكـلـ عـمـاـ تـحـرـقـ
فـمـجـبـتـ كـيفـ يـمـوتـ مـنـ لـاـ يـعـشـقـ
وـعـذـلـتـ أـهـلـ العـشـقـ حـتـىـ ذـقـيـهـ
وـعـذـرـهـمـ وـعـرـفـتـ ذـنـبـيـ أـنـىـ
عـيـرـهـمـ فـلـقـيـتـ فـيـهـ مـاـ لـقـواـ

ويقول^(٣) بشار في مطلع قصيدة يمدح سليمان بن هشام بن عبد الله :
وـماـ شـعـرـتـ أـنـ الـهـوـيـ سـوـفـ تـشـعـبـ
عـجـيـبـاـ وـمـاـ تـخـفـيـ بـزـيـنـبـ إـذـ نـأـتـ
وـقـائـلـةـ لـىـ حـيـنـ جـدـ رـحـيلـنـاـ
وـيـقـولـ^(٤) أـبـوـ نـوـاسـ فـيـ مـطـلـعـ قـصـيـدـةـ يـمـدـحـ العـبـاسـ بـنـ عـبـدـ اللهـ بـنـ جـمـعـرـ :

فـاسـقـنـ طـابـ الصـبـوحـ^(٥)

حـسـنـاـ عـنـدـيـ الصـبـيحـ

حـيـنـ شـادـ الـفـلـكـ نـوـحـ

طـيـبـ عـرـفـ فـيـفـوحـ^(٦)

غـرـدـ الـدـيـكـ الصـدـوحـ

اـسـقـنـيـ حـتـىـ تـرـانـيـ

قـهـوـةـ تـذـكـرـ نـوـحـ

نـحـنـ نـخـيـهـ وـيـأـبـيـ

وـيـقـولـ^(٧) :

عـاجـ الشـقـيـ عـلـىـ رـسـمـ يـسـأـلـهـ

يـيـكـ عـلـىـ طـلـلـ الـلـاـضـيـنـ مـنـ أـسـدـ

وـمـنـ تـمـيمـ ؟ وـمـنـ قـيـسـ وـلـقـئـهـ مـاـ

لـاجـفـ دـمـعـ النـذـيـ يـيـكـ عـلـىـ حـجـرـ

وـعـجـبـتـ أـسـأـلـ عـنـ خـمـارـ الـبـلـيـ
لـاـ درـ دـرـكـ قـلـ لـىـ مـنـ بـنـوـ أـسـدـ ؟
لـيـسـ الـأـعـارـيـبـ عـنـدـ اللهـ مـنـ أـحـدـ
وـلـاـ صـفـاـ قـلـبـ مـنـ يـصـبـوـ إـلـىـ وـتـدـ

(١) الشـيـقـ : المشـاقـ (٢) الغـضـىـ شـيـرـ مـعـرـفـ يـسـتوـقـدـ بـهـ وـتـكـونـ نـارـ أـبـيـ . يـرـيدـ أـنـ يـقـولـ :
لـاـ نـارـ الـهـوـيـ أـشـدـ إـحـرـاقـاـ مـنـ نـارـ الغـضـىـ .

(٣) عـصـرـ الـأـمـوـنـ جـ ٢ مـ ٢٧٣

(٤) عـصـرـ الـأـمـوـنـ جـ ٣ مـ ٢٤٠

(٥) الصـبـوحـ : مـاـ كـلـ أوـ شـرـبـ صـبـاحـ .

(٦) الـعـرـفـ : الـرـائـحةـ مـطـلـقاـ ، وـيـكـثـرـ اـسـتـهـالـهـ فـيـ الرـائـحةـ الطـيـبةـ .

(٧) حـدـيـثـ الـأـرـبـاعـيـ بـيـعـ مـ ١٢٠

كَمْ بَيْنَ تَاعِتْ خَمْرٍ فِي دَسَارِكِهَا
وَبَيْنَ باكٌ عَلَى تُؤْيٍ وَمُنْتَضِدٍ^(١)
دَعْ ذَا عَدَمْتُكَ وَأَشَرَّبَهَا مَعْتَقَةً
صَفَرَاءَ تَفَرِّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ
وَيَقُولُ^(٢) ابْنُ هَانِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي قَصِيدَةِ مدحٍ :

فَتَكَاتُ طَرْفَكَ أَمْ سَيْفُ أَبِيكَ
وَكَثُوسُ خَمْرٍ أَمْ مَرَاشِفُ فِيكَ
مَا أَنْتِ رَاحِمٌ^{*} لَا أَهْلُوكَ
أَكَذَا يَحْجُورُ الْحَكْمُ فِي نَادِيكَ
حَتَّى دُعَانِي بِالْقَنَا دَاعِيكَ
قَدْ كَانَ يَدْعُونِي خَيَالَكَ طَارِقًا
عَيْنَكَ أَمْ مَغْنَاكَ مَوْعِدُنَا وَفِي
وَيَقُولُ^(٣) ابْنُ عَمَارٍ فِي مَطْلِعِ قَصِيدَةِ يَمْدُحُ الْمُعْتَضِدَ :

أَدْرِ الزَّجَاجَةَ فَالنَّسِيمَ قَدْ اتَّبَرَى
وَالنَّجْمَ قَدْ صَرَفَ الْعَنَانَ عَنِ السَّرَّى
لَا اسْتَرَدَ الْلَّيلَ مِنَ الْعَنْبَرَا
وَالصَّبَحَ قَدْ أَهْدَى لَنَا كَافُورَهُ
وَالرُّوضَ كَالْحَسَنَا كَسَاهُ زَهْرَهَا

فِي الْعَصْرِ الْحَرِيثِ :

يَقُولُ^(٤) حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ فِي مَطْلِعِ قَصِيدَةِ يَمْدُحُ مُحَمَّدَ سَائِي الْبَارُودِيِّ :
تَعْمَدْتَ قَتْلِي فِي الْهُوَى وَتَعْمَدَا^(٥) فَمَا أَنْتَ عَيْنِي وَلَا لَحْظَهُ اعْتَدَى
كَلَانَا لَهُ عَذْرٌ فَعَذْرَى شَبِيَّتِي
وَلَكَنَّنَا زَدَنَا مَعَ الْحُبِّ سُؤَدَّدَا
وَيَقُولُ^(٦) أَحْمَدُ شَوْقِيُّ :

أَنَّادِي الرَّسْمَ لِوَمَلَكَ الْجَوَابَا
وَأَجْزِيَهُ بِدَمْعِيَّ لَوْ أَنَابَا

(١) الدَّسْكَرَةُ : بَيْتٌ يَكُونُ فِيهِ الْمَرَابُ وَالْمَلَاهِيُّ ، وَيَقَالُ اتَّضَدَ الْقَوْمُ بِمَكَانِ كَذَا : أَى
اِجْتَمَعُوا وَأَقَامُوا . (٢) بِلَاغَةُ الْعَرَبِ مِنْ ١٧٤ (٣) بِلَاغَةُ الْعَرَبِ مِنْ ١١٧
(٤) دِيْوَانُ حَافِظِ ج ١ ص ٤٠ (٥) الْمَعْنَى فِي هَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي بَعْدَهُ أَنْتَ تَعْمَدْتَ قَتْلَ
نَفْسِي بِتَعْرِضِ الْهُوَاكَ ، وَتَعْمَدْتَهُ أَنْتَ أَيْضًا بِنَظَرِكَ إِلَى وَلَكِنَّ لَا ذَبَبٌ لِي لِأَنِّي مَعْذُورٌ بِشَبِيَّتِي ،
وَلَا أَذَّتْ مَعْذُورًا لَأَنِّكَ مَعْذُورٌ بِتَعْرِضِكَ . (٦) دِيْوَانُ شَوْقِيِّ ج ١ ص ٥٤

وقلَّ لحقة العبرات تجلى
وإن كانت سواد القلب ذابا
سَبَقْنَ مُقَبِّلَات التُّرْبِ عَنِ
وأَدِينَ التَّحْيَةَ وَالنَّطَابَا
ثَرَنَ الدَّمْعَ فِي الدَّمْنِ الْبَوَالِ
كَنْظَى فِي كَوَاعِبِهِ الشَّبَابَا^(١)
وَقَتَّ بِهَا كَلَامَ شَاءُوا
وَقَوْنَا عَلَمَ الصَّبَرَ الْذَّهَابَا
ويقول محمد عبد المطلب في مطلع قصيدة :

خَلِيلِي قَلْبِي بِسَلْمِي عَمِيدُ
وَوَجْدِي بِهَا كَلَّا يَوْمَ يَزِيدُ
يُذْكُونِيهَا إِذَا جُنَاحِي لِيَلِي
شَمَالِهِ تَهُبُّ وَغَصَنْ يَمِيدُ
وَبَرْقِ يَلْوَحُ وَطَيْرِ يَنْوَحُ
وَحَادِي لِهِ فِي الْمَطَابِي نَشِيدُ
فَأَمَا الشَّهَالُ فَتُهَدِّي شَذَاهَا
وَكَانَعْنَ ذَاكَ الْقَوَافِلَ الْمَيُودُ^(٢)
وَنَوْحُ الْحَمَامِ نَشِيدُ الْغَرَامِ
يَشَفَّ سَمِعَيَ مِنْهُ الْقَصِيدَ

* * *

هذه الأمثلة التي ذكرناها تشهد أن هذه القصائد ، وقد قيلت في أغراض مختلفة
بدئت بمثل ماقرأت من أبيات الغزل .

ولم يعرف عن هؤلاء الشعراء أو عن كثير منهم أنهم أحبوا ، ولم تكن قصائدهم
الشعرية قيلت في الغزل وحده ، إنما هي بضعة أبيات قد تزيد ، وقد تنقص يقصد منها
بدء القصيدة بالغزل .

وصدق المتنبي إذ يقول في هذا المعنى :

إِذَا كَانَ مَدْحُ فالنَّسِيبُ الْمَقْدَمْ أَكُلُّ فَصِيحَ قال شَعْرًا مَتِيمْ
وَالْمَتِيمُ يَعْنِي أَنَّ الشَّعْرَاءَ أَوْ كَثِيرًا مِنْهُمْ حِينَ بَدَأُوا شِعْرَهُمْ بِالنَّسِيبِ لَمْ يَكُونُوا
مُحِبِّينَ ، ذُوِّي تَيْمٍ وَغَرَامَ ، بَلْ أَرَادُوا تصوِيرَ معانِي الغَزَلِ .

(١) الكواكب : ناهدات الندى والمراد بها هنا الديار قبل أن تستحيل إلى دمن .

(٢) ماد : ثني و مقابل .

وهذا هو الغزل الصناعي .

ولعلك تلحظ أن في معظم هذه الأبيات تصويراً لكثير من المعانى العامة للغزل ،
وهي لا تندو :

دار الحبوبة ، والطيف ، وغضص الموى ، وجمال المرأة .
فالدار مزينة على الحبيب ، لأن فيها مشوى الحبوبة ، وكل أثر من آثارها حبيب
إلى النفس ، يشوقها ، وتحمّل إليه .

وإن ما عرف عن العرب من نقلة ، جعلهم يطعنون ويرتحلون ، فيختلفون وراءهم
ديارهم ، فيفعل بها الزمن ، ويفعل بها الريح ، ويقتضي هذا التغيير أن تصير أطلالاً
بالية ، يمر الشاعر بها ، أو يتخيّل أنه يمر بها ، فيدعوه الوفاء ، والحنين إلى الحبيب
أن يعرّج ، وأن يسائل صحبه أن يوقفوا المطىّ ، وهنا تطوف في ذهن الذكريات
فيحيي هذه الدار ، ويحيي ساكنيها ، ويتأسى على فراقهم وهنا يسائل الرابع : كيف
غيره البلى ؟ وأين ارتحل سكانه ؟ يسائله لعله يتحدث عما كان ، وما كان حلو لذيد ،
ولكن الريح لا ينطق ولا يحبيب . ومع ذلك فهو لا ينقم عليه ، بل يدعو الله أن يسقيه
الغيث ، وأن يعود إليه الأهل والأحباب .

وطيف الحبيب نوع من الذكرى ، فإذا غاب شخص الحبيب كان خياله صورة
منه ، ينظر إليه ، ويحدثه ويناجيه ، ويلومه على هجره وتجنيه ، وفي غضص الموى
يحدثك الشاعر عن الفراق ، وما يترك في النفس من مسارة وألم ، فهو منهوك القوة ،
ضعيف البدن ، لا يصيّبه النوم إلا لاما ، ويحدثك عن جور الحبوبة ، فهي لا ترق
ولا ترحم ، وهي لا تأسو علته بوصال ، بل تزيد في نكرها ، فهجره وتجفوه ، وترمي
باللؤم والعدوان .

وفي بعض البدايات يحدثك الشاعر عن جمال المرأة ، يحدثك عن ملاحة وجهها
واعتدال قوامها ، وسحر الحاظتها ، ومرأشف فيها .

وهذه المعانى وإن وجدت في جميع العصور ، إلا أنها تختلف بعض الاختلاف :
ففي العصر الجاهلى نرى بكاء الأطلال غالباً .

ذلك لكثرتهم رحيلهم ، ولأن الوصف كان غالباً في شعرهم ، وبكاء الأطلال
لا يudo أن يكون وصفاً ، ولم يخالف هذا النحو فيما ذكرنا من أمثلة لإعبيد بن الأبرص
حيث تحدث عن الطيف . كما أن أصحاب المعلقات لم يخالفوا هذا النحو أيضاً إلا عمرو

ابن كلثوم حيث قال في مطلع معلقته :

الأهبي بصحنك ^(١) فاصبحينا ولا تبقي خور الأندرينا ^(٢)

وبق بكاء الأطلال في كل العصور .

ولكننا في العصر الإسلامي نرى « يزيد بن ضبة » يذكر في مطلع قصيده صد
الحبيب ، وخیال الحبيب .

وفي العصر العباسي غالب بكاء الأطلال نوع آخر هو الحديث عن غصص
الموى . وإن كان بكاء الأطلال لا يزال قائماً .

والسر في ذلك أن العرب في هذا العصر بدوا عن حياة البدو ، وما تدعوه إليه
من نقلة ورحيل ، وبدوا في وصفهم عن الأطلال إلى ما تقضى به مظاهر الحضارة
في هذا العصر من وصف القصور و مجالس الله و ضروب الترف . ثم كان للعرب
من شعراء العهد الأموي تراث من الغزل العذري . وينغلب على هذا النوع من الغزل
تباريح الموى . وكم لها من هموم وآلام ! . فكان من الطبيعي أن يتأثر الشعر ببعض
ما غالب عليه في العهد الأموي .

وشيء آخر كان له الأثر الفعال . هو أن حضارة الفرس طبعت العرب بطبع
خاص فيه ثورة على القديم . وفيه حرب على ما ألفت العرب . وحمل لواء هذه الثورة
الشعراء الذين نشئوا من أصل فارسي ، وزعموا هؤلاء أبو نواس .

(١) الصحن القدح العظيم . (٢) قرية بالشام .

عاب أبو نواس بكاء الأطلال ، ودعا إلى البداء في وصف الخمر ، وكان صارما
عنيفًا في تصوير هذا العيب ، كما كان ملحمًا في قبول دعوته الجديدة ، وذلك ما تراه
فيما ذكرنا من أمثلة .

كما أن بيئة الأندلس أوجت إلى بعض الشعراء أن يبدعوا بعض قصائدهم بوصف
الطبيعة ، وبحالها ، كما فعل ابن عمار .

وفي العصر الحديث ترى من يذكر في مطلع القصيدة الديار ، كأحمد شوق
ومن يذكر تبارييع الموى ، كحافظ إبراهيم ، ومحمد عبد المطلب .

٢ — الغزل العذري :

وهذا النوع من الغزل يختلف عن سابقه كل الاختلاف . فهو حديث
عن القلب . القلب الذي أحب ، واكتوى بنار الحب . يتحدث عن هذا الحب ،
وهذه النار . وهو حب صادق بريء ، لأنه يصدر عن وفاء وإخلاص . يصدر
عن ود متبادل ، لا تشوبه شائبة من اللهو والجنون ، والعبث والفحجور ، لا تراه وصفاً
ما جنت أو حديثاً خليماً ، أو قولًا ساخراً .

شاعر الغزل العذري يتحدث عن حبيبة نفسه ؛ وهي واحدة بعينها ، يذكرها
في غدوه ورواحه ، وفي حله وترحاله ، وفي نومه ويقظه ، وفي رخاته وشدته ، وحين
تجود بوصاله أو تجفوه . وحين يلتهم الشمل ، أو تفرق بينهما الأيام . وهو في هذا كله
يصفها ويصورها ، يصفها وكأن كل شيء فيها فاتن جميل ، ويصورها وكأن كل أحوالها
— مهما كانت — لذة ومقعة .

وما أجمل هذا الوصف !

وما أروع تلك الصورة !

لأن الحديث فيما صادر من القلب . وما خرج من القلب حل في القلب .

ولأن الحديث فيما تمثيل لالوفاء والإخلاص ، والتضحية والمرودة .

وأجمل بهذه المعانى !

وشاعر الغزل من هذا النوع يكون أكثر رقة في اللفظ ، وجودة في المعنى ، وعمقاً في دقة التصوير ، وحسن الخليل ، لأنّه يصدر في ذلك عن حس صرف ، ومن قلب حى ، ويتحدث بالفاظه ومعانيه وأختياته عن مثلم الأعلى ، وتمثيل كل شىء فيها وهذا يدعوه لأن يتقن ويبدع ، أو يدعوه لأن يرسل نفسه على فطرتها ، فيكون ما توحّيه حلواً جيلاً ، لأنها فطرة بريشة طاهرة ، والبلد الطيب لا يخرج إلا النبات الطيب .

وهوئاء الشعراء يتمثلون في شعرهم الغزل الصادق ، والغزل الحى ، والغزل في كل صورة ، وفي كل شئون وشجونه . يرى الشاعر ذلك كله في حياة الحب ، بيته وبين هواه^(١) ، فيحمله إلىينا شعره ، فنعجب به ونطرب ، ونطلب منه المزيد ، لأنّه قوى ، وأنّه رائع جميل .

وهذا النوع من الغزل ضرب من المثل العليا ، وهذا الضرب لا تجده إلا في قلة وندرة ، لأنّجده في شاعر إلا إذا أُتى طهارة القلب ، وصفاء الحس ، وأُتى التوفيق في حبه ، فكانت له المرأة التي توليه من قلبه كأولاها من قلبه ، وكانا صادقين في هذا الولاء ، وكانا كريمين في هذا الحب .

حينذاك يوجد الغزل العذري ، وحينذاك يوجد شاعر الغزل العذري ، وليس بكثير أن يوجد الزمن بشاعر تمثل فيه هذه الصفات ، ولذلك لم يكن بكثير أن نقرأ أمثلة لهذا النوع من الغزل في بعض المصادر ، وعند بعض الشعراء .

وهذا النوع من الغزل ينشأ حيث يتوافر للشاعر هذا التوفيق الذي ذكرنا أسبابه وعوامله .

(١) من يحبه ويهرأه .

وفي يقيني أن الغزل العذري لم ينشأ في العصر الجاهلي .
لأن شعراً هذا العصر وإن كان قد أثر عن بعضهم أنهم تغزوا في امرأة بعينها ،
ولكن غزلاً لم يكن فنًا قائمًا بذاته ، ولم يكن معروفاً في ذلك الوقت أن شاعرًا ما ،
كان شعره قاصرًا على الغزل ، وعلى الغزل باسمة يحبها وتحبه ، فأودع شعره كل
ما قاله فيها .

ولم ينشأ في العصر الإسلامي .

لأنه كانت أحداث أخرى : أحداث الدين الجديد ، ونشره ، وفتح الفتوحات ،
ورفع راية الإسلام ، ومن شأن هذا أن يغلب الناس على كل شيء .
وفي العصر الأموي حيث استتب الملك ، وأصبح الناس في ظلله الوارف ،
وفي ضروب من الدعة ، والراحة ، والطمأنينة ، والرخاء ، وأصبح فريق منهم يسكنون
بادية الحجاز لم يكن لهم حظ من هذا الترف . بل كان بؤس وحرمان جرّهم إلى حال
من اليأس ، وإلى حال من الزهد وإلى حال من صفاء الروح . يتجرد عن المادة
إلى حياة خالصة طاهرة ، جعلتهم يتجنّحون إلى الطموح والتشل العليا ، وحدامهم ،
هذا الطموح إلى أن يكون لهم تفكير جديد في الأدب .

وكأنهم بهذا ثاروا على الأوضاع العابثة ، التي كانت في مدن الحجاز ، ونشأ عنها
الغزل الماجن ، الذي سنتحدث عنه .

ولعلك تعلم أن العصر الأموي كان عصر بناء وعمان .
لأنه جاء بعد جهاد عنيف ، وجاء بعد ثورة دامية ، حاربت الفلم والطفيان
وحاربت دولًا وعنوشًا ، كانت لها نظم وأساليب تختلف ما جاء به دين الإسلام .
فكان زماماً وقد سكنت النقوس واستقرت أن تبحث لها عن تقاليد جديدة
في الحياة ، ومن هذه التقاليد ما تعرف من مظاهر الملك .
ومنها أن وجدت جماعات وأحزاب يتنازعون الملك والسلطان .

ومنها أن اتجه كثير من رجال الرأى والفكر إلى ألوان من الإصلاح والمجتمع .
فلم لا يوجد نوع جديد من الغزل ؟ يساير هذا البعث الجديد ، أو هذه الحياة الجديدة .
والأدب وحي الحياة ، ومرآة الوجود .
بلـ . وجد الأدب الجديد ، ومنه الغزل العذري .

في مثل هذه البيئة ينشأ شاعر الغزل العذري ، الذي يصور في شعره عاطفته
الحارة ، وقلبه الثائر ، الذي هام حبـاً باسرأة ، عذبته ، وأضنته ، ومع ذلك فهو مغمـر
بها متمـ، وهو يجد في هذا العذاب لذته ومتـعـته .

إذن في العصر الأمـوي نـشـأ الغـزلـ العـذـريـ ، فـوـجـدـنـاـ جـمـاعـةـ مـنـ هـؤـلـاءـ الشـعـراءـ ،
وـعـلـىـ رـأـسـهـمـ جـمـيـلـ بـنـ مـعـمـرـ العـذـريـ الـذـيـ أـحـبـ بـثـيـنـةـ ، وـسـارـ عـلـىـ دـرـبـهـ جـمـاعـةـ
مـنـ بـعـدـهـ . وـيـحـدـثـنـاـ كـتـابـ الـأـغـانـىـ عـنـ هـذـاـ الشـاعـرـ . وـنـقـرـأـ فـيـ شـعـرـهـ صـورـاـ كـرـيمـةـ
لـهـذـاـ الغـزلـ العـذـريـ .

ويحسن قبل أن ندخل في الحديث عن حـيـاةـ هـذـاـ الشـاعـرـ ، وـتـحـلـيلـ شـعـرـهـ ، وـوـصـفـ
ما جـرـىـ بـيـنـ وـبـيـنـ حـيـبـيـةـ نـفـسـهـ أـنـ نـرـسـمـ صـورـةـ عـنـ المـثـلـ الـعـلـيـاـ الـتـيـ يـصـحـ أـنـ تـجـرـىـ
فـيـ حـيـاةـ الـحـبـيـنـ .

فـاـ هـىـ تـلـكـ المـثـلـ ؟

مـنـ هـذـهـ المـثـلـ :

أـنـ يـكـونـ الـحـبـ كـلـفـاـ بـحـبـيـتـهـ ، وـأـنـ يـهـواـهاـ بـعـيـنـ قـلـبـهـ ، لـاـ بـعـيـنـ هـوـاهـ ، قـلـبـهـ
الـطـاهـرـ الـبـرـىـءـ ، لـاهـواـهـ الـعـابـثـ السـاخـرـ ، هـوـىـ تـزـيـدـهـ الـجـفـوـةـ قـوـةـ ، وـيـزـيدـهـ الـبعـادـ قـرـبـاـ .
وـأـنـ يـكـونـ مـغـرـمـاـ مـدـنـفـاـ ، مـتـيـاـ ، تـرـىـ ذـلـكـ فـيـ جـسـمـ النـاـحـلـ الـمـهـدـدـ ، وـفـيـ قـوـلـهـ .
الـذـيـ تـتـلـمـسـ فـيـ صـبـابـةـ الـمـوـىـ ، وـحـرـقةـ الغـرامـ .

وـأـنـ يـكـونـ مجـاهـداـ بـاـ تـحـوىـ كـلـةـ الجـهـادـ مـنـ عـزـمـ وـصـبـرـ ، فـهـوـ يـجـاهـدـ هـوـىـ النـفـسـ
حـتـىـ يـكـونـ بـرـيـثـاـ خـالـصـاـ ، وـهـوـ يـجـاهـدـ غـصـصـ الـحـبـ ، وـمـاـ أـكـثـرـهـاـ مـنـ بـهـرـ وـصـدـ ،

ورشاة ، وعواذل ، يجاهد هؤلاء جمِيعاً ، حتى يغليهم على أسرهم ، وحتى يصل إلى حبيبة نفسه ، يلقاها ، وتلقاها ، وتقابل هزات القلوب ، فيكون الصفاء ، ويكون النعيم .
وأن يكون وفيها أميناً ، لا يخون العهد ، ولا ينقض الميثاق ، يحبها وحدها دون سائر الناس ، ويتفنّى بهذا الحب في كل زمان ومكان ، ويزهو به ولو آذوه وعدبوه .
هذا هو الحب العذري .

وذلك هو جحيل بن معمر العذري .

أحب جحيل بشينة وتغزل بها في شعره ، ولم نعرف أنه تغزل بأمرأة أخرى ، إلا ألم الجسیر - وهي اخت بشينة - في بضعة أبيات .
ملكت عليه قلبه ، ولم يفتر حبه لها .

شهرته . وارتحلت عنه : فوصلها ، وسافر إليها .

لامه أهلها في سبيل حبها ، وأرادوا أن ينحوه عنها : فازداد كلما بها .
طارده أهلها ، وترصوا به ، وأرادوا به كيداً : فاحتفل صنوف السوء والأذى .
قال الوشاة ، وأكثروا من القول : لم يصدق ، ولم يسمع ما يقولون ، بل غاظهم ،
وزاد في نعمتهم .

أهدر السلطان دمه إن سعى إلى رؤيتها ، أو ألم بواديها : وكان دمه الغالي
رخيصاً إذا قدم قرباناً في سبيل الحبيب !

والآن أترك الشعر ، يترجم عن جحيل :

أَبْيَانَ إِنَّكَ قَدْ مَلَكْتَ فَأَسْبِحْجِي^(١)
وَنَذِي بِحَظْكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلٍ
فَأَجْبَتْهَا فِي الْقَوْلِ بَعْدَ تَسْتَرٍ
حُبِّي بِشِينَةَ عَنْ وَصَالِكٍ شَاغِلٍ
فَارِبٌ عَارِضَةٌ عَلَيْنَا وَصَلَهَا بِالْجَدِ تَخْلِطَهُ بِقَوْلِ الْمَازِلِ

(١) ارفق وتألطني .

لو كان في صدرى كقدر قلامة^(١) فضلاً وصلتكِ أو أنتك رسائل

* * *

منها فهل لك في اجتناب الباطل
أشهى إلى من البغيض الباذل
وإذا هويتُ فما هوايَ بزائل
ويقلن إنك قد رضيت بباطل
ولباطل ما أحب حديشه
ليرُلَّ عنك هواي ثم يصلنى

* * *

صادت فؤادي يا بشين حبالكم
منيقي فلويت ما منيقي
وتشاقت لما رأت كلني بها
وأطعت في عواذلا فهو جرتني
حاولني لابت^(٢) حبل وصالكم
فرد تهن وقد سعين به جرك
يعصضن من غيظ على أناما
ويقلن إنك يا بشين بخيلة
ماذا يعني أن يقول جميل؟

في المجموعة الأولى :

يحدثنا عن كلفه بشينة ، وأنه شغل بها كل قلبه ، ولم يبق منه شيء خال ، حتى قدر القلامة ، وأنه وفيها ، لا يتخل عنها إلى غيرها من النساء ، منها كانت بحيلة ، فاتنة الجمال ، وبها أغرته بضرورب من الإغراء .

وفي المجموعة الثانية :

يحدثنا عن العواذل . وكان جميل قد أتى بشينة لوعدها ، وعرف أهلها ذلك ،

(١) القلامة : ماسقط من الشيء المفروم ، ويقصد بالقلامة هنا القدر القليل اليسير .

(٢) بت حبل وصله : جفاه وقطعه . (٣) السهم الأفوق : السهم الذي به انكسار في أحد حرفيه . (٤) ناصل^م : لانصل له .

خرسوها ، ومنعوها أن تذهب للقائه ، وطال بجميل الانتظار حتى أسفر الصبح .
فماد كثيبا ، سيء الظن بها ، وكانت الفرصة سانحة للعادلات من نساء الحي . أخذن
يامنه ويقرّ عنه ، ويذكرهن إليه بثينته ويصوّرن ما حدث من إخلالها الوعد في صورة
قائمة سوداء ، فهي كذوب غادر ، وهي مشغولة بحب سواه .

يقول له نساء الحي هذا القول ، وينزّهنه باطراح هواها ، ويقدمن إليه من هي
أكثـر حسـناً ، وأـكـثـر رـوـعاـة ، وأـكـثـر جـلاـاـ .

ولـكـنـ هـذـاـ القـولـ ثـقـيلـ إـلـىـ جـمـيـلـ ، فـهـوـ يـعـرـفـ أـنـهـ يـرـدـنـ إـلـاـلـهـ هـوـاهـ عـنـ بـثـيـنـةـ ،
وـيـصـدـهـنـ صـدـاـ عـنـيـفـاـ ، لـأـمـلـ بـعـدـهـ ، فـهـوـ إـذـاـ هـوـيـ لـاـ يـزـولـ هـوـاهـ .

وفي المجموعة الثالثة :

يحدثنا عمـاـيلـيـ من حـيـيـتـهـ بـثـيـنـةـ . وـكـيـفـ جـازـاـهـاـ عـلـىـ ذـلـكـ بـالـوـفـاءـ لـهـاـ وـالتـفـانـيـ فـحـبـهاـ .
لـقـيـ جـمـيـلـ مـنـ بـثـيـنـةـ أـنـ مـنـتـهـ فـأـخـلـفـتـ الـأـمـانـيـ ، وـأـنـ تـشـافـلتـ حـيـنـ رـأـتـ كـلـهـ
بـهـاـ ، وـأـنـهـاـ أـطـاعـتـ الـعـوـاـذـلـ فـهـجـرـتـهـ ، وـجـفـتـهـ .

أـمـاـ جـمـيـلـ قـدـ رـضـىـ بـشـافـلـهـاـ . وـعـصـىـ الـعـوـاـذـلـ فـبـهـرـهـاـ ، وـغـاظـهـنـ ذـلـكـ ، وـوـدـ
أـنـ يـضـضـ الـأـحـيـجـارـ الـصـلـدـةـ ، لـأـلـأـنـامـلـ ، وـيـدـفـعـهـ الـوـفـاءـ فـوـقـ ذـلـكـ إـلـىـ أـنـ يـدـفعـ
عـنـهـاـ أـنـهـاـ يـخـيـلـةـ ، وـأـنـهـ يـرـضـىـ بـهـذـاـ الـبـخـلـ ، وـيـفـدـىـ صـاحـبـتـهـ بـنـفـسـهـ ، وـهـيـ أـعـزـشـيـ إـلـيـهـ .

ويقول^(١) :

على عذبة الأنیاب طيبة النَّشر^(٢)
عليها سقاها الله من ساعن القطر
أتراخ يوماً أم تهش إلى ذكري
ولم تننس ما أسلفت في سالف الدهر
خليلى عوجا اليوم حتى تساما
أليتا بها ثم اشفعا لي وسلاما
وبوحا بذكرى عند بثينة وانظرا
فإن لم تكن تقطع قوى الود بيننا

(١) الأغانى ج ٨ ص ١٥٠ (٢) النشر : الرائحة الطيبة .

بَيْنٍ وَغَرْبٌ مِنْ مَدَامُهَا يَجْرِي
وَأَصْفَتْ إِلَى قَوْلِ الْمُؤْنَبِ وَالْمُزْرَى
بِنَفْسِي مِنْ أَهْلِ الْخِيَانَةِ وَالْفَدَارِ
بِيَثْنَةِ فِي أَدْنَى حَيَاةِي وَلَا حَسْرَى
فِي أَحَبَّدَأَ مَوْتِي إِذَا جَاءَرَتْ قَبْرِي
وَمَا بِكَ عَنِي مِنْ تَوَانٍ وَلَا فَتْرٌ
أَخَا كَلْفٍ يُغْرِي بَحْبٍ كَأَغْرِي
وَلَا يَتَهَى حُبُّي بُثْنَةَ لِلْزَجْرِ
فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يَحْدُثُنَا جَيْلٌ عَنْ بَشَّهِ وَهَوَاهِ.

فارقتَه بِيَثْنَةِ ، وَفَرَاقُهَا عَزِيزٌ عَلَى نَفْسِهِ . فَوَيُرْسَلُ لَهَا الرَّسْلُ . يَحْمُونَهَا ، وَيُسَلِّمُونَ
عَلَيْهَا . تَحْيَةُ جَيْلٍ ، وَهِيَ صَادِقَةُ حَارَّةِ . وَسَلَامُ جَيْلٍ ، وَهُوَ حَلُوكَرِيمٌ . ثُمَّ يَسْتَشْفِعُونَ
لَهُ ، وَيَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهَا ، لِعَلَمَهَا تَرْقُ وَتَرْحُمُ ، وَلِعَلَمَهَا تَصْلِهُ بَعْدَ جَفْوَةِ ، وَتَرْضِي عَنْهُ بَعْدَ بَهْرَانِ .
وَجَيْلٌ حِينَ يَتَشَفَّعُ وَيَتَوَسَّلُ لَا يُبْقِي عَلَى حِيلَةِ أَوْسِيلَةِ ، يَكْسِبُ بِهَا رَضَا بِيَثْنَةِ .
وَيَعْرُفُ مَدْى حَظِّهِ مِنْ هَذَا الرَّضَا .

يَطْلُبُ جَيْلٌ مِنَ الرَّسُولِينَ أَنْ يَبْوَحَ لَهَا بِذَكْرِهِ ، وَفِي ذَكْرِهِ لَوْعَةُ ، وَحَنَنِ ،
وَاشْتِيَاقُ . وَأَنْ يَتَحَدَّثَنَا عَنْ سَالِفِ وَدِهِ ، وَكَلْهِ صَبَابَةُ ، وَوَجْدُ ، وَغَرَامُ .

وَلِيَنْظُرْ بَعْدَ ذَلِكَ قَيْمَاتِ وَجْهَها ، فَفِيهَا الجَوَابُ الْحَاسِمُ .

فَإِنْ كَانَتْ تَرْتَاحَ إِلَى ذَكْرِهِ فِي ذَلِكَ خَيْرٌ لَا يَعْدُلُهُ خَيْرٌ .

وَانْظُرْ كَيْفَ أَنْ يَرْضِي مِنْهَا بِالْقَلِيلِ . لَا يَطْلُبُ أَنْ تَبْثَهِ الْغَرَامُ وَالْمَوْىَ كَمَا بِهَا .
وَلَا يَطْلُبُ أَنْ تَقْبَلَ الْأَنْيَنَ بِالْأَنْيَنِ ، وَاللَّوْعَةَ بِاللَّوْعَةِ . وَهِيَهَا أَنْ تَقْوِمَ الْمَسَاوَةُ بَيْنَ
الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ فِي هَذَا الشَّأنِ !

ثُمَّ انْظُرْ كَيْفَ أَنْ يَرْضِي مِنْهَا بِالْجَوَابِ السَّابِيِّ لَا الإِيجَابِيِّ . فَكُلُّ مَا يَصْبُرُ إِلَيْهِ

الانقطع الود بينه وبينها ، أما الوصال الكامل ، فهذه غاية لا يدركها الحب المتم .
ثم انظر كيف تعلقت به الآمال . فرتب على هذا القدر القليل أن سيكون لها
في المستقبل لوعة وشتياق . والحب يعيش دوما في ظلال الأمل .

وتأمل ماذا قال بعد ذلك ؟ .

صور لنا الوجه العابس . الذي تصفع فيه الحبيبة إلى من يوم ويغسل ، فتصد
وتجفو . وذلك غدر ليس من شيمتها . فالحب الصادق لا يرمي حبيبته بتهمة أو سوء
لأنه يرتفع بها عما يعيّب ويُشين . وهو يدعوا الله لا يكون فراق بينهما دوم الحياة .
وأن يكون - حين الموت - قبراهما متجاورين ، متلازمين . وبهذا يكون الموت حلوا
جميلا . لأنه عاش الحياة قريبا منها ، وأنه مات ، ولم يفقد هذا القرب ، وذلك النعيم
فلم يحزن على الموت ؟ إنما يحزن الناس لأن خيراً فاتهم . أما جميل فخيره لا يزال بجانبه
تناجي أرواحهم في الموت ، كما كانت تناجي في الحياة ، لا فرق في ذلك ولا نقصان .
ثم أخذ يحدّثنا عن حبه ، وما يلقى في سبيله من عناء وشقاء ، وأنه مع ذلك كله
محب ، ويتناهى في هذا الحب ، ولا يرضى عنه بديلا .

وماذا نرجو من محب صادق . ومن قلبَ كريم أن يقول غير ماقال جميل . وأن

يحدثنا غير هذا الحديث ؟

ذلك هو الغزل العذري .

الذى يترجم عن القلب . والذى يصور لك حياة المحبين هذه الصورة الجميلة ،
التي رأيتها والتى يحسن بك أن تتذوقها حين تقرأ ما ذكرنا من شعر جميل .
وأن تردد هذه القراءة ، وأن تجعل من قلبك ما يناسب هذا الصفاء ، وهذا الطهر ،
وهذا الجمال .

ذلك هو جميل ، وتلك هي بشينة ، يحدثنا الشعر عن حبهما الصادق هذا الحديث .

يحدثنا أئوب بن عبّاية قال :

شعت أمةٌ لبنيته بها إلى أيها وأخيها أن جحيلًا عندها الليلة فأتيتها مشتملين على سيفين . فرأياه يحدثها ويشكتها إليه بشئ ، ثم قال لها يا بنيته : أرأيت ودى إياك وشفق بك ألا تخزيه ! قالت بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابين . فقالت له : يا جحيل . أهذا تبغى ! والله لقد كنت عندى بعيداً منه . ولئن عاودت تعرضاً بريبة لا رأيت وجهي أبداً . فضحك ، وقال : والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه . ولو علمت أنك تجبييني إليه لعلمت أنك تجبيين غيري ، ولو رأيت منك مساعدة عليه لضررتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي . ولو أطاعتنى نفسى هجرتك هرة الأبد ، أو ما سمعت قولى :

وإني لأرضي من بنيته بالذى
لو أبصره الواشى لقرت بلا بله
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى
وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنطرة العجلى وبالحول تنقضى
أخرره لا نلتقى وأوالله
وهذا هو الحب الصادق البريء الذى عناه جحيل بقوله :

أفي الناس أمثالى أحب خالمهم
كحالى أم أحبت من بينهم وحدى
لقيت بها أم لم يجد أحد وجدى
وهل هكذا يلقى الحبون مثل ما

٣ - الفزل المأمون الحمى :

وهذا النوع — كما يفهم من اسمه يميل إلى وصف المرأة ، وإلى المبالغة في الوصف وإلى مجاوزته إلى ذكر أمور أخرى في المرأة ، تثير اللذة ، والشهوة .

وينشأ هذا النوع حيث يوجد الترف . بل حيث يوجد السرف فيه ، عند قوم لا هم لهم في الحياة إلا أن ينعموا ، وأن ينعموا بوسائل النعمة كلها ، ما خبث منها وما طاب ، وما جمل وما قبع .

وفي العصر الأموي كانت حياة العرب في العراق والشام قد شغلتهم أحداث

السياسة ، وغلبهم مظاهر الملك . هؤلاء يؤيدون . وأولئك يعارضون وكل ذلك شئ الوسائل

وفي الحجاز جميرا من أبناء المهاجرين والأنصار . وقد شغلوا عن ذلك بلون جديد في الحياة . هم مغلوبون على أمرهم . لأن ملوك بنى أمية يضيقون الخناق عليهم ، حتى لا تقوى كلمتهم ، وكانوا يفرون منهم في ذلك بالمال والعطاء . وكان جماعتهم الذين يسكنون الحضر أهل ثروة وغنى . فجذبوا إلى الراحة ، ثم اجتناء ثمار الترف والسرف ، فكان اللهو ، وكان العبث ، وكان الجحون .

وجعلوا من المرأة أداة هذا العبث ، وحمل الشعر إليها صوراً من الغزل بالمرأة ، وكان غزلاً ماجناً سافراً ، يرضي هؤلاء المترفين .

وزعم هذا الغزل الماجن عمر بن أبي ربيعة .

نشأ عمر بن أبي ربيعة من أسرة قرشية ذات حظ من الجد والشرف ، وذات حظ من الثروة والغنى ، كسبته من التجارة بين الحجاز واليمن . عاش عمر في مكة بعيداً عن السياسة والحزبية ، في بيته كلها سرف وترف . فنضم ولما ، وجرى وراء المرأة يجد فيها لهو ونعمه .

تحدث عمر عن المرأة ، فعرض بجلالها ، وعرض لحسنها ، وعرض لزيتها ، وعرض لها أضع دلها ، وفتتها ، وإغرائها ، وأغرق في ذلك إغراقاً ، ولم يتخرج أن يكون وصيفه دقيقاً حساساً .

وكان عمر في شعره ، وفي غزله كان كالصور الماهر ، ينشد كل ما هو حسن جميل ، ويجرى وراء ما هو فاتن جذاب ، ليشبع هو نفسه ، ويمتع دقيق حسه ، وكان المصوّر يرسم لنا صورة من هذا الحسن والجمال ، لنستمع بها فترة من الزمن ، وتستمع بها الأجيال المتقدمة . فكذلك عمر كان ينشد الجمال في الأنثى أو في الذكر ،

ينشد الجمال في كل مكان ، وكثيراً ما كان في موسم الحج حيث يتوجه الناس
إلى بارثهم ، هنفوا إليه القلوب ، وتصغرى إليه الأرواح .
قالوا^(١) :

كان عمر بن ربيعة يسأير عروة بن الزبير ويحاذنه . فقال له : وأين زين
الواكب ؟ يعني ابنه محمد بن عروة ، وكان يسمى بذلك بماله . فقال له عروة : هو
أمامك . فركض يطلبها . فقال لها عروة : يا أبا الخطاب ألوسنا أكفاء كراما لحاذنك
ومسائيرتك ؟ فقال : بلى . بأبي أنت وأمي . ولكنني مغرى بهذا الجمال أتبعه حيث كان .
ثم التفت إليه وقال :

إني امروء مولع بالحسن أتبعده لا حظلي فيه إلا للة النظر

إذن كان عمر ينشد هذا الجمال . يتخيّل له الفرصة ، ويسمى إليها ، ويبحث
وراءها ، فإذا صادف غنماً وقف عنده طويلاً ، وتأمله ، واقترب منه . وغلب عليه ،
حتى كأنه مغرم متيم . ويظل في تيّنه وغراشه ما بقي مقينا بالمرأة ، من هو بالحلوس
إليها ، والحديث معها . فإذا فارقها أو فارقتها لم يكن يشغل نفسه بها . وبالتالي لم تنطبع
في قلبها صورة منها ، يحن إليها ، ويئن على فراقها ، ويسمى ليراها ، ويستوحى طيفها
وخيالها . ولو فعل عمر ذلك ، وفعله طوعاً لقلبه الصّب ، لا إشباعاً للذّته ومتعته ،
لكان محبّاً حقاً ، وكان جبه عذر يا وغزله عذر يا ، كما كان حب جميل ، وغزل جميل .
ولعل هذا ما كرهته بشينة ، إذ زارها عمر بن ربيعة يوماً ، ليكلّمها في شأن جميل
وقد أهدر الوالي دمه إن وجد عندها . أتاهما عمر ووقف على بابها ، وقال لجاريتها :
يا جارية : أنا عمر بن أبي ربيعة فأعلم بشينة مكاني . خرجت إلى بشينة في مبادله .
وقالت : والله يا عمر لا أكون من نسائك اللائي يزعمون أن قتلهن الوجد بك .
فانكسر عمر .

(١) الأغاني ج ١ من ١٤٦

كرهت بشينة أن تكون واحدة من هؤلاء النساء ، اللائي يتحدث عمر عنهن ،
فهي لا تعرف أحاديث اللذة ، ولكنها تعرف حديث القلب ، القلب الذي عرفها
وحدها ، وتحدث إليها وحدها ، وقام بها وحدها ، وهو قلب جيل .
ومن هؤلاء النساء ؟

تغزل عمر بعائشة بنت طلحة حفيدة أبي بكر الصديق من جهة أمها ، وزوجة
مصعب بن الزبير .

كان عمر يطوف بالبيت ، ورأى عائشة ، وكانت من أجمل أهل دهرها . فبهرت
لما رأها ، وعلمت عائشة أنها قد وقعت في نفسه ، فبعثت إليه بجارية لها ، وقالت :
قولي له : اتق الله ولا تقل هerra . فإن هذا مقام لا بد فيه مما رأيت . فقال للجارية :
اقرئها السلام ، وقولي لها : ابن عمك لا يقول إلا خيراً . ولم يزل عمر ينسب بعائشة
أيام الحج ، ويطوف حولها ، ويتعرض لها ، وكان يلقاها وهي تسير بعكة على بفلة ،
ويقول لها : قفي حتى أسمعك ما قلت فيك ، فتفتف ، وينشد لها .

وتغزل بسكينة بنت الحسين .

كانت سكينة مع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف ، وتذاكرن عمر وشعره
وظرفه وحسن حديثه ، فأرسلن إليه ، وأخذن يحدثن إلى أن أضاء الفجر .

وتغزل بأم محمد بنت مروان بن الحكم ، فاطمة بنت عبد الملك بن مروان .
أما أم محمد فكانت تحج ، ولما قضت نسكها أتت عمر بن أبي ربيعة ، وحدثها
 مليا ، وقالت له : نشَدْتُكَ الله أن تشهرَنِي بشعرك ! . وبعثت إليه بalf دينار .
وكذلك كان أمره مع فاطمة إذ رآها في الحج ، وأخذن يحدثنها ، وأخذت تحدثه
 وتنشده من شعره . وقال فيها الشعر دون أن يذكر اسمها فرقاً من عبد الملك بن مروان
 ومن الحجاج .

وتغزل عمر بليلي بنت الحارث البكرية .

كانت تجلس في المسجد الحرام ، فرأى عمر ، فوجهت إليه رسولا ، فقالت له :
يا ابن أبي زبيرة حتى متى لا تزال سادرا^(١) في حرم الله تشبب بالنساء ، وتشيد
بذكرين . أما تخاف الله ؟ قال دعيني من ذلك واسمعي ما قلت فيك وأنشدتها
من قوله فيها .

ونزل عمر بهند بنت الحارث المرية .

كانت تجلس مع نسوة ، وأناهن عمر ، فأخذ يحدثن ، ويقول في ذلك شعراً .
ونزل ببابا بنت عبد الله بن العباس امرأة الوليد بن عقبة بن أبي سفيان ،
كانت تطوف بالبيت ، فرأها عمر ، فكاد عقله يذهب ، وقال فيها الشعر .
ونزل بالثرية بنت علي بن عبد الله زوج عبد العزيز بن مروان .

وكانت أكثير النساء قرباً إلى عمر ، وكان كثير الحديث عنها ، والكلف بها .
ونزل بزينة بنت موسى الجمحي .

ذكرها ابن أبي عتيق عند عمر يوماً ، وأنطراها ، ووصف من خلقها ، وأدبها ،
وتحملها ما شغل قلب عمر وأماله إليها . فقال فيها الشعر ، وشتب بها ، وبلغ ذلك ابن
أبي عتيق فلامه فيها ، وقال له : أتنطق الشعر في ابنة عمى ؟ فقال عمر :
لا تلمني عَيْقُ حسي الذي بي إِن بي يا عتيق ما قد كفاني
لا تلمني وأنت زينتها لي أنت مثل الشيطان للإنسان
إن بي داخلا من الحب قد أَبْلَى عظامي مسكنونه وبراني
ونزل بالنسوار .

رأها بالمزادفة ، فقتن بها ، وشغلت قلبه ، وتبعها حتى نزلت بمني في مضراب^(٢)
قد ضرب لها ، فنزل إلى جنبه ، ولم يزل يتلطف حتى جلس معها . وحادثها ،
وقال فيها الشعر .

(١) السادر : لا يالي ما صنع . (٢) فسلطان الاقامة فيه .

وتفزل برملاة بنت عبد الله بن خلف .

كانت تتحجج ، وتعرض لها عمر ، وأعجب بها . وقال فيها شعراً . كاف سبباً
في أن هجرته الثريا لما علمت أمره .

وتفزل بكلشم بنت سعد الخزومية .

رآها عمر ، وأرسل لها الرسل ، وأخذ يحتال عليها ، حتى لقيته : وأقام عندها
شهرًا ثم استأذنها في الخروج ، فقالت له : بعد أن فضحتني ! لا والله لا تخرج إلا بعد
أن تزوجني ! ففعل وتزوجها . وولدت منه ابنين .

كما تفازل عمر بأخريات كثيرات ، منها هند وأسماء ، ومنهن جارية بنو عم ،
وتحميدة جارية ابن تفاحة .

تفازل عمر بهؤلاء النساء . وفيهن الحصنات المترفات . الالائى على حظ عظيم
من الجاه والسلطان . عرض لهن عمر في غزله ، وهو الفتى الفارع الوسيم ، ذو النعمة ،
والشرف ، والثراء . وقد وصفه بعض من رأاه بين فتيان بنى مخزوم ، فقال : « قد فرّ لهم
طولاً ، وجهر لهم جمالاً ، وبهرهم شارة ، وعارضه وبياناً » .

ولعله بان لك فيما تقدم أن عمر كان كما قلت كالصور الماهر يعرض للجمال .
فيتحدث عنه ، ويصفه ، ويصوره ، ويأخذ منه لذته لوقته ، ثم يطوى صفحة ،
وينشر صفحة أخرى ، فيها حديث ، وفيها وصف ، وفيها تصوير ، وفيها لذة ومتعة ،
ولو لم يكن عمر كذلك ما تفازل بهذه الكثرة من النساء ، وما تفازل من لم نذكر
من نساء أخريات .

وأين هذا مما كان يفعله الشعراء العذريون ؟

كان الشاعر العذري يقصر حبه وغزله على واحدة بعينها . يرى من الوفاء
أن يكون الحديث عنها وحدها . ويرى من الوفاء ألا يكون الحسن إلا لها ، وألا يكون
القلب إلا لها ، وألا يكون الأنين إلا لفراقها ، وألا يكون الخير إلا في لقائها ، وأنه

يحيها من أجلها وحدها ، ويكره الموت لأنه سيفرق بينه وبينها ، فإذا جمع الموت بينهما
بأن حواها قبر واحد ، أو كان قبراهما متباورين فالموت حلو جميل !
كما با أن ذلك أن موسم الحج كان الفرصة السانحة لعمر . إذ كان يقف في طريق
ال الحاج ، يرتفب الحسان ، وهن قادمات من الشام والعراق واليمن ، وكان يتعرض لهن
وهن يؤذين معالم الحج . ولا يبالى أن يلقي منهن إعراضًا أو زجرًا . فلا يزال يلاين
وييلاطف . حتى يكون الرضا والقبول .

وفي ذلك يقول عمر :

فلم أر كالتجمير^(١) منظر ناظر ولا كليالي الحج يفتئن ذا الموى
وبعض هؤلاء النساء كن يخفن التشهير ، والنضيحة ، إذا تنزل فيهن عمر ،
وذكر أسماءهن . وبعضهن يغرينه ، ويرسلن له الرسل ، ويهيئن له مجلساً معهن ،
ليمحدثهن يوماً أو بعض يوم ، ولهم الشعور فيهن لاهياً متغلاً .
ومن النوع الأول - كما ذكرنا - عائشة ، وليلى بنت الحارث ، والنوار ، وفاطمة ،
والثريا ، ورملة ، وكلمة .

ومن النوع الثاني : سكينة بنت الحسين ، وأم محمد بنت مروان بن الحكم ، وهند
بنت الحارث .

أما ما كان من عمر من تعرضه للنساء الجميلات ، ومن جريه وراءهن ،
ومن جهده معهن . فذلك ما بینا سببه وباعته . وأما أن بعض النساء كن يغرينه ،
ويرسلن له الرسل ليحدثهن ، وينشدهن ، ويشلب بهن ، وفيهن الحصبات ، فذلك
ما يحتاج إلى بعض البيان .

كان للغرل سوق رائجة في هذه الفترة من الزمن . وكان النساء على جانب

(١) روى المجرات في مناسك الحج .

من المعرفة والعلم ، معرفة بالشعر ، وعلم بأصوله وفصوله ، وأخباره ونواودره . وكن متترفات ، فاتنات في الحسن والجمال . وكن يعرفن من عمر غزله ، ولمهه ، وسمره ، فلم لا يكون هن من عمر نصيبي ؟

وماذا يمنع لو استمعن إليه . وتحدث إليهن ، وسمرن معه فترة من الزمن ؟ وماذا يمنع لو صور جمالهن وحبهن ، وحمل إلينا شعره صورة من هذا الجمال والحسن ؟ والمرأة هي المرأة تدل بحسنها وجمالها ، وتود لو أن الناس جميعاً تحدثوا عن حسنها وجمالها ، ولكن فيهن محصنات لا يردن أن يشهرن بأسمائهن ، فليُكْفِيْن عنهن عمر ، ولويقلى بعد ذلك ما يشاء .

ولعل ذلك يفسر لنا أن عمر بن أبي ربيعة كان معروفاً لدى جمهرة هؤلاء النساء ، عرفته من شعره ، وعرفته من حواذه ، وعرفته من أحواله . وحدثت هذه المعرفة كثيراً منها إلى أن يلطفنه ، ويتحادثنه ، وأن يصفين إلى شعره وخاصة ما قيل فيهن ، بل حدثت كثيراً منها إلى أن يختلن عليه في اللقاء . وأن يسلك في احتيالهن شئ الوسائل . لم يكتف عمر بهذا كله ، وفي هذا غناه كثير . بل راح يتغزل متأنراً بما سمع . وقد سر بنا أنه تغزل بزینب بنت موسى الجعية . لأنَّ ابن أبي عتيق وصفها له ، وأطراها . فشغل بها قلب عمر . وشيب بها ، وزرى أن عمر يقول في زینب هذه :

إِنَّ بَنِي دَاخِلًا مِنَ الْحُبِّ قَدْ أَبْلَى عَظَامِي مَكْتُونَهُ وَبَرَانِي

وَحَبَّ مِنْ أَبْلَى عَظَامِهِ وَهَذِهِ قُواهُ؟

هل حب زینب ، وهو لم يرها ، وهى لم تره ؟
لو كان الأمر كذلك لكان عمر مُفْرِطاً في قوله ، مبالغًا في حديثه . أو يقصد ذات الحب ، أهابه في نفسه ذكر زینب ، ووصف زینب ، فثارت عاطفته ، وجالت به ذكريات مريرة ، أبلته ، وأضنته .

وظاهرة أخرى يحدثنا عنها غزل عمر.

إن عمر كان أكثر غزله في موسم الحج، وفي نساء يغدن من الشام والعراق واليمن، فإذا قضين الحج ومتاسكه عُدُن إلى بلادهن وأوطانهن. في هذه الفترة كان عمر يتغزل. وهي فترة قصيرة، لا يلبثن بعدها إلى عودة، وإلى رحيل. وكذلك كان عمر لا يكاد يرمي شباكه، ويعقد الود بينه وبين امرأة، ويتجول فيها، حتى ترحل عنه، فيودعها، ويأسى على فراقها.

ولهذا نجد في كثير من شعره وصفةً لفراق . ولو عنده .

يقول عمر في رملة بنت عبد الله بن خلف :

أصبح القلب في الحبائل رهينا مقصداً يوم فارق الظاعينها

وفي فاطمة بنت عبد الله بن سروان :

كدت يوم الرحيل أقضى حياتي
لإني مت قبل يوم الرحيل
لا أطيق الكلام من شدة الخلو
وكلانا يلتقي بقلب أصيل
ذرفت عينها وفاضت دموعي
وفي لبابه بنت عبد الله بن العباس :

واسأل فإن قلله^(١) أن تسألا
فقلل ما بخلت به أن يُبذلا
ودع لبابه قبل أن تترحال
إليه بعمرك ساعةً وتأهلا

ويقول في عائشة بنت طلحة :

من لقلب أمسى رهيناً معسني
إلا شخص نسي فدت ذاك شخصاً
ليت حضى كظرفة العين منها
مستكيناً قد شفه ما أجننا
نازح الدار بالمدينة عنا
وكثير منها التليل المهننا

(١) قليله.

فِي التَّرْيَا :

بَأْنَ الْبَيْنَ بَعْدَ غَدٍ فَالْقَلْبُ مَا أَرْمَعَا يَجْفَ^(١)
وَأَشْكُو مَا أَجْدَ^(٢) بَنَا كُلُّ لِوْشَكَ الْبَيْنِ^(٣) يَعْتَرَفُ^(٤)

* * *

سَرَةُ أُخْرَى تَرَاهَا فِي شِعْرِ عَمْرٍ ، دَعَا إِلَيْهَا غَزْلَهُ فِي هَذِهِ الْكَثْرَةِ
نِسَاءً .

أَنَّهُ لَا يَكَادُ يُرَى الْمَرْأَةُ الْجَيْلَةُ ، حَتَّى يَجْهَدَ نَفْسَهُ ، فِي الْوَصْولِ إِلَى حِبْرَاهَا
وَيَسْلُكَ شَتِّي الْوَسَائِلِ ، حَتَّى يَظْفَرَ بِمَا يَرِيدُ .
تَرَى صُورَةً مِنْ جَهْدِ عَمْرٍ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الَّتِي قَالَهَا فِي كَلْمَةِ بَنْتِ سَعْدٍ
وَقَدْ أَبْتَلَهُ وَصَلَّى :

قَدْ شَفَفَهُ الْوَجْدُ إِلَى كُلْمَمٍ
إِلَيْكَ لِلْحَيْنِ وَلَمْ أَعْلَمْ
فِي غَيْرِ مَا جُرْمُ وَلَا مَأْتِمُ
مِبْيَنًا فِي آيَةِ الْمُحْكَمِ
وَلَمْ يُقْدِهَا^(٥) نَفْسَهُ يَظْلَمُ
ثُمَّ اجْعَلَيْهِ نِعْمَةً تَنْعَمِي
أَوْ أَنْتَ فِيهَا بَيْنَنَا فَاحْكُمِي
مِنْ غَيْرِ مَا عَارَ وَلَا حَمْرَمَ^(٦)
بِاللَّهِ فِي قَتْلِ اسْرَى مُسْلِمٍ
مِنْ عَاشُقٍ صَبَّ يُسِرِّ الْمَوْىِ
رَأْتُكَ عَيْنِي فَدَعَانِي الْهَوَىِ
قَتَلْتُنَا يَا حَبْدَا أَنْتُمْ
وَاللَّهُ قَدْ أَنْزَلَ فِي وَحِيهِ
مِنْ يَقْتُلُ النَّفْسَ كَذَا ظَلَّا
وَأَنْتَ ثَارَى فَتَلَافَى دَمِيِ
وَحَكْمِي عَدْلًا يَكْنَى بَيْنَنَا
وَجَالِسِينِي مُجْلِسًا وَاحِدًا
وَخَبَرِينِي مَا الَّذِي عَنْدَكُمْ

(٢) مَا أَجْهَدْنَا . وَجْفَ القَلْبُ : خَفْقَ وَاضْطَرَبَ .

(٤) يَصْبِرُ . قَرْبَ الْفَرَاقِ .

(٦) الْحَرَمُ : الْحَرَامُ . يَقَالُ أَهَادُ الْقَاتِلَ بِالْقَتْلِ : قَتَلَهُ بِهِ .

تأمل هذه الأبيات ، ترى كيف جهد عمر ، وكيف طلب رضاها ، وكيف ألحف
وتسل ، حتى وصل إلى ما أراد .

ذكر عمر أنه رآها . ولم يرها كسائر الناس . نظرة عابرة . لا ترك في النفس
أثراً . بل رآها وترك في نفسه الهوى .

ثم ذكر أثر الهوى . وأنه هلك ، وموت ، وعذاب .

ذكر أنها قتلته ولم يرتكب جرماً وإنما . قتلتة ومن شأن القاتل أن يكون بغياضنا
إلى الناس جحيناً ، لأنه قتل نفساً حرم الله قتلها . ولن يسكنوا عنه حتى يأخذوا بالثأر
منه جزاء ما فعلت يداه . أما القاتل هنا فليس بغياضاً إلى أحد ، بل هو محظوظ
من القتيل ، وأهل القتيل .

تمأخذ يستثير عاطفتها الدينية ، التي تحرم قتل النفس . لعلها تتلاطف دمه ،
وهي بذلك تكون ذات خير ونعة ، وإحسان ، لم ترد إليه روحه ؟ ، بعد أن كان
مقضاً عليه بالزوال والفناء .

هذه قضية .

فيها جان ، وبجني عليه .

وكل قضية لا بد لها من قاض ، يقضى بالحق والإنصاف .

وفي هذه القضية يريدها حكماً ، فهو يرضى قضاءها ، وهو يعرف فيها صفات
القاضي النزيه الكريم .

وما أعرف قضية يخلو أن يكون فيها الجانى قاضياً إلا مثل هذه القضية . حيث
لا يقدر إنسان - أيًا كان - أن يسيطر على قلب الحبيب فيجعله يرضى . ويصل ، ويصفح .
لا يقدر إنسان - أيًا كان - أن يسيطر على قلب الحبيب إلا الحبيب . فهو
الذى يمنع . وهو الذى يستطيع أن يمنع . وهو الذى يقسو ، ويستطيع أن يلين .
هو وحده الذى نطلب منه البذل والعطاء . فإن لم يعط ، ولم يبذل فلا بذل ولا عطاء .

وقضية عمر هذه يراد أن يكون لها نتيجة طيبة كريمة، هي أن تجالسه كلثم مجلساً واحداً، لا إثم فيه ولا فحور. ويرضى عمر بهذا المجلس الواحد، لأنه يكفل ما بعد ذلك. يكفل أن يخلق بينه وبين كلثم آصرة قوية. تجعل بينهما رباطاً وثيقاً. فهو الرجل السامس، الظريف، المحبوب، وهو الرجل الساحر في حديثه، وفي شعره.

وقالوا^(١) في ذلك: إن لشعر عمر بن أبي ربيعة لموقعاً في القلب، ومحاطة النفس ليس لغيره، ولو كان شعر يسحر لكن شعره سحراً.

وقال له بديع: قد سحرتني وأنا رجل!، فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأين؟ وبهذا الشعر استطاع عمر أن يستهوي قلوب النساء، واستطاع أن يظفر بمحباهن ورضاهن، إذا اجتمع بهن، واجتمعن به. وهذا ما يطلبه عمر أول الأمر، وبعد ذلك يكون ما يريد. وفلا كان ما أراد. فقد جذبها إلى نفسه، وطال مكثه عندها أكثر من مجلس وجلس.

قالوا:

فشكث عندها شهراً لا يدرى أهلها أين هو.

وهذا الذي قاله عمر في كلثم قاله في الثريا. قال^(٢):

فيم بالله تقتلين	لک بالوصل مخالصاً بدلاً
لما قد قتلت قبل الرجال	ولعمري لئن همت بقتل
أحراماً تربته أم حلالاً	حدني عن هرمكم ووصالى
فاحكم بيننا وقولي بعدلٍ	هل جزاء الحب إلا الوصالا

* * *

وظاهرة أخرى تراها في شعر عمر.

ذلك أنه كان كثير الوصف لما كان بينه وبين النساء من مجالس الله والسمور.

(٢) ديوان عمر — طبعة بيروت من ٢٢٣

(١) الأغاني ج ٨ ص ١٠٧

وكثرة هؤلاء النساء ، وتعدد المجالس والأماكن التي كان يلقاهان فيها . كل ذلك
حداه إلى أن يقول الشيء الكثير .

يقول عمر في زينب بنت موسى :

ولست بناس ليلاة الدار مجلساً
لِجُنْثُه وغاب من هو حارسُ
خَلَاء بدت قَمْراؤه وتكشّفت
ويقول ^(٢) في امرأة كانت إلقا له :

أَبْصَرْتُهَا لِيَلَةَ وَنِسْوَتَهَا .
يَضِّنَا حَسَانَا نَوَاعِمَا قُطْفَا
قَالَتْ لِتَرْبِيْهَا تُلَاطِفَهَا
قَوْمِيْ تَصَدَّى لَهُ لِيَعْرِفَنَا
قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمْزَتُهُ فَأَبَى
بَلْ يَا خَلِيلِيْ عَادَنِيْ ذِكْرَى
يَشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْمَحْجَرِ
يَشِينَ هُونَا كَشْيَةِ الْبَقْرِ
لِفُسْدَكَنَ الطَّوَافَ فِي عُمَرِ
ثُمَّ اغْزَيْهِ يَا أَخْتِي فِي حَمَرَ
ثُمَّ اسْبَطَرَتْ ^(٣) تَشِيدَفَ أَثْرَى
بَلْ يَا خَلِيلِيْ عَادَنِيْ ذِكْرَى

ويقول ^(٤) في فاطمة بنت عبد الملك بن مروان:

يَا خَلِيلِيْ شَفَنِي الْذِكْرُ
وَتَحْمُولُ الْحَى إِذْ صَدَرُوا
ضَرِبُوا تَحْمُرَ الْقِيَابَ لَهَا
سَلَكُوا شِعْبَ ^(٥) الْفَقَابَ بِهَا
وَطَرَقَتِ الْحَى مَكْتَمَةٍ
وَمَعِيْ عَصْبَ ^(٦) بِهِ أَثْرَدَ ^(٧)
وَأَخْ ^(٨) لَمْ أَخْشَ نَبَوَتَهِ
بِنَوَاحِيْ أَسْرَمِ خَمَرِ
فَإِذَا رِيمُ عَلَى فُوشِ
فِي حِيجَالِ ^(٩) الْخَزَّ مُخْتَدِرِ

(١) الدافن في الرمس وهو القبر . (٢) الأغانى ج ١ ص ١٧٠

(٣) أى أسرعت . (٤) الأغانى ج ١ ص ١٩٦

(٥) موضع بالمدينة . (٦) العصب : السيف القاطع .

(٧) أثر السيف : فرنده . (٨) المجال : جمع حجلة وهي قبة تزيين بالستور والثياب .

حوله الأحراسُ تربّه
نومٌ من طول ما سهروا
شبةُ القتلى وما قُتلاوا
ذلكَ إلا أنهم سَمروا
حُرّةٌ من شأنها الخفر
وَيُخْ نفسي قد دأتِ عمر
ويرى الأعداء قد حضروا
ولخياني ساقه القبدر
لِشقاين كات علقنا
ماذا وصف عمر في هذه الأبيات ؟

أما مجلسه مع زينب بنت موسى :

فيكفي أن تعرف ماذا كان في هذا المجلس إذا عرفت أن عمر لا ينساه أبداً ،
ما دام على قيد الحياة ، وإذا عرفت أنه كان في خلاء ، وأن الليلة مقمرة ، وأن غاب
المراس والعوازل .

وأما وصف إله التي زعموا أنه مر بها ، وجلس يتحدث إليها ، فذكر أيامه معها ،
وذكر شعره الذي قاله فيها .

وماذا قال ؟

وصف بجمالها ، وبجمال النساء اللائي كن معها ، وهن يمشين بين المقام والحجر .
وصف الجمال الحسى : من البياض ، والحسن ، والنعومة ، والنهود الكوابع .
ثم وصف مشيهن ، ووصف غمزهن ، وشرأكهن في صيد الرجال .
وأما وصف فاطمة :

فقد حدثنا عن رحيلها ، وعن ركبها ، وكيف ضربوا لها حمر القباب .
حدثنا كيف زارها ، وأنه أخفى أمر زيارته حتى لا تذاع بين الناس ، واحتمل
معه سيفه ، عدّة له من كل أذى ، ومكرره ، وانخذ صاحبها ، يكون له في هذا
السفر مَقْاماً ودليلًا .

ثم أخذ يصف حفلهن . وما حوله من سهر ، وسفر ، وما حوله من خدم وحشم .
وإذا كان الأحراس في حال كأنهم نوم من طول ما سهروا .
وإذا كانوا كأنهم قتلى من طول ما سهروا .
فما بالك بالمحروقات ؟
لا شك أنهن كن أكثر سهراً ، وأكثر سمراً .
ثم حدثنا عمر كيف كان وقع زيارته ؟
لا شك أن زيارة عمر هؤلاء النساء كانت حبيبة إلى نفوسهن ، يجدن فيها لذة
ومتعة . فهو الشاعر الظريف الأنيس ، وهو الشاعر الفاتن ، الشائق . الفاتن بخلافة
حديثه ، الشائق بأدبه وأخباره ونواصره .
وكيف يكون هذا الشاعر بخيضاً إلى أي قلب ؟ وخاصة إذا كان قلب امرأة
عربية ، تتذوق الأدب ، وتتذوق الشعر ، وتتذوق الغزل .
لكن القوم حرمة ، وهذه سليلة الملك ، تخاف أن يحمل الشعر إلى الناس نبأها ،
فيقولوا ، ويقولوا . وقد يكون في هذا القول ما يذكر عليها سيرتها ، أو سيرة الملك ،
الذى تستظل به ظله .

لهذا قالت : ويح نفسي ! ولهذا محبت من زيارته ؟ ولهذا جعلت علاقته بها شفاء ،
وقدومه إليها حيناً ساقه القدر .

تنزل عمر في نساء كثيرات كما رأيت . وكان في غزله لاهياً . عابشاً ، يقصد منه
المتعة واللذة ، وفي ذلك يقول :

يفرح القلب إن رأك وستع——بر عيني إذا أردت احتفالا
ولئن كان ينفع القرب ما از داد فيها أراك إلا خيالا
غير أني ما دمت جالسة عن——تدى سألهوا مالم تريدى زيالا
فإذا ما انصرفت لم أر للعي——ش التذاذا ولا لش ، بحالا

كان عرف في غزه لاهياً ماجنا ، ولكن لم يصل إلى فهو ومجون العصر العباسى ،
إذ لم يبلغ من المذر والأسفاف ما وصل إليه غزل أبي نواس وبشار .
ذلك أن العصر الأموي كان ينبع إلى التمسك بالتقاليد العربية . وأن ملوك
بني أمية كانوا يرقبون أبناء المهاجرين والأنصار في كثير من الخدر ، لأنهم لا يدينون
لهم بالشخصيّة والطاعة . وأن هؤلاء الشعراء الذين ينتسبون إلى بيت قريش لم تكن
سمح لهم تقاليدهم بالخروج في اللهو إلى حد الفجور والاستهتار ، ولعل ذلك ما جعل
شعر عمر مقبولًا من الملوك والخلفاء ، لم ينكروه كأنكروا غيره ، ولم يرتبوا عليه زجرًا
أو عقوبة ، كما فعلوا مع آخرين .

الفصل الثالث

شعراء الغزل

لا نستطيع في هذا الفصل أن نتحدث عن شعراء الغزل في إسهاب وإطباب وفي دراسة وتحليل ، ولو فعلنا ذلك لطال المدى واتسع المجال . ولكننا نريد أن نلم بالملامة عاجلة أو موجزة بهؤلاء الشعراء في عصور الأدب ولعلنا في هذه الالامنة نتبين ناحية من نواحي تطور الغزل من حيث شعراً و ، ومن حيث قلتهم أو كثرهم ، ومن حيث النهج الذي ساروا عليه ، ومن حيث النهاية التي أتجهوا إليها .

في العصر الجاهلي :

العرب في العصر الجاهلي أهل رحلة وأسفار . يجرون وراء عيشهم حيث يكون الكلأ والماء ، وهم أهل حرب وقتال .

لهذا كان شعرهم مرآة لهذه الحياة التي يحيونها .

فهو شعر حاسة وغzer . يذكرون فيه شجاعتهم وبأسهم . ويشيدون فيه بمناخهم . وهو شعر رثاء . يذكرون فيه أكثر ما يذكرون قتلامهم في هذه الحروب ، وفي تلك الواقع .

وهو شعر مدح . يمدحون فيه رجالهم . وما أوتوا من بأس ، وجود ، وسرور ، ونجدة .

وهو شعر وصف . يصفون فيه ما رأوا وما شاهدوا في نقلهم وأسفارهم .

ولكنهم بجانب ذلك كلهم يرون المرأة ، حيث ترعى الفن ، وحيث المحافل والأسواق الأدبية وغير الأدبية . وهم مرهفوا الحس ، أصفياء النفس ، مرتاحوا البال . يغنوون ويجرون وراء الإبل . وتصفوا لهم السماء . وتلمع الرمال .

فكان ذلك — كما قدمنا — يدعوهم إلى الغزل بالمرأة .
ولكنه غزل مبuzzer ، لا يقتد باعهم فيه طويلا ، لأن حياة عيشهم ، وحياة يئتهم
غابتهم على ألوان أخرى من الشعر .

وقد وجد في هذا العصر الغزل الصناعي ، الذي يبدرون به قصائدهم ، وهو غالب
كثير . وقد تحدثنا عن هذا النوع فيما مضى .

وغرزل آخر قريب من الغزل العذري . يذكر فيه الشاعر حبيبة نفسه ، ويحرى
وراء حبه لها ، وهيامه بها .

و لكن شاعرنا في هذا العصر لا يخلو من أحداث أخرى ، وأحوال أخرى تسسيطر
عليه ، وتغلب عليه أن يقول شعراً في هذه الأحداث ، وفي تلك الأحوال . وشاعرنا
في هذا العصر لا يقتد به النفس طويلا . فيجول ويصول مع حبيبتها ، فيخرج لنا هذه
الصور الرائعة ، من قصائد الغزل ، التي تكاد تكون قصصاً فيها خيال ، وفيها جمال .
ومن هذا النوع :

١ — ما كان من أمرىء القيس حيث أحب ابنة عمّه — عنزة بنت شربيل — ،
وتفزل فيها ، ووصف محسنها ، وتحدث عن حاله معها ، وذلك في معلقته المشهورة :
قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول خوف مل
تقرأ هذه المعلقة ، فترى فيها تصويراً دقيقاً ، ووصفاً رائعاً ، وتحليلاً لما يقع
بين الحبيبين .

كان امرؤ القيس يحب عنزة . وكان أن حالوا بينه وبينها . ولكنه أخذ يُعمل
الحيلة حتى وصل إلى أمنية طيبة إلى نفسه . وكان أن ظعن الحى . فاغتنم امرؤ القيس
الفرصة ، ومن عادة العرب أن يطعن الرجال أولاً ، ثم النساء . تختلف امرؤ القيس
عن الرجال ، وسبق النساء إلى طريق ظعنن وفي هذا الطريق غدير بنجاشي يسمى
« دارة جاجيل » . اختباً امرؤ القيس قريباً من هذا العذير ، وترقب مجبي النساء ،
الغزل — ١٣

وفيهن حبيبة قلبه عزيزة . وما ان جاء النساء حتى نزعن ثيابهن ونزلن في الماء ، يبتعدن من حرارة الشمس . وجد امرؤ القيس الفرصة سانحة ، فبرز من مخبئه ، وجمع الثياب ، وخرج النساء جميعاً ، وأخذت كل واحدة ثيابها . وأفاح تدبيره إذ اجتمع النساء حوله ، وفيهن عزيزة . وكان مجلس حلو جميل ، جمع إلى شراب الحمر حلاوة الحديث ، وأكرمهن امرؤ القيس بأن عقرهن ناقته ، وأخذن يشون لثها حتى شبعن . ولما حان الرحيل . وركب النساء رواحلهن ، بقي امرؤ القيس دون مركب . وكان من أحب شيء إلى نفسه أن يركب مع عزيزة ، وعرف النسوة ذلك ، فساعدنه ، وأغرين عزيزة به ، حتى حملته معها ، وكان الرحيل حلواً جيلاً . لأنها بجانب حبيبته ، يراها ، وتراه ، ويتحدث إليها فتصفعى إليه .

أليس ذلك غزلاً جيلاً . يكاد يكون قصة حمilla .

بلى .

٢ — وعنترة وقد أحب عبلة بنت عمده . يذكرها في كثير من أشعاره ، ويتحدث إليها حديث الحب والموى . ويقولون^(١) إن أول معلقته :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمى صباحاً دار عبلة واسمي
أما امرؤ القيس فلم يقل في حبيبته — عزيزة — قصيدة كاملة إلا المعلقة ، وكانت
له في أبواب الشعر الأخرى جولات صادفة ، من حماسة ووصف .

وعنترة في معلقته لم يكن حبيبته — عبلة — حظ إلا في أوطا ، حيث ذكر ،
وخطاب ديارها ، وشكراً لآلم البعد ، وحرقة الموى . وخلص من ذلك كله
إلى الفخر والحماسة .

٣ — والمرقس الأكبر ، وقد أحب أسماء ابنة عمده ، وطلب أن تكون زوجة له ،
وطلبها من أبيها ، فقال له : لا أزوجك حتى تُعرف بالباس ، وفي سبيل هذا البأس

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ من ١١٨

ارتاحل المرقش ، وفي أثناء رحيله أتى عمّه رجل ، أغراه بالمال فزوجه أسماء ، وقال المرقش
في ذلك شعراً ، ومن ذلك قوله في مطلع قصيدة في الحماسة :

أمن آن أسماء الطالول الدوارس تختلط فيها الطير قفر ببابس^(١)

هؤلاء الشعراء الأربع ، ومن على شاكلتهم قالوا شعراً . قالوه في امرأة شغفوا بها حباً ،
ولهم لا تلحظ أن هذه المرأة ابنة عم لهذا الشاعر ، كان يهيم بها ، وكان يريد لها زوجة له .
وهذا الشعر من الغزل قريب من الغزل العذري .

وقلنا إنه قريب لأن هؤلاء الشعراء لم ينفردوا في شعرهم بالغزل وحده ، بل غلب لهم
أحداث أخرى قالوا فيها الشعر ، وجوّدوا ، ولم يُفردو القصيدة كلها التي يذكرون
الحيبية — بالغزل وحده .

وهو قريب من الغزل العذري لأن لانزى فيه القلب الحالى إلا من حب هوا ،
ولانزى فيه الحرارة التي تعب عن العاطفة الملتيبة ، التي تحس وأنت تقرأ شعرها كأنك
مدفع بقوة قاهرة ، هي قوة الإخلاص والوفاء .

في صدر الإسلام وفي العصر الرأصوى :

إن شيئاً واحداً غلب هذا العصر ، وطبعه بطابعه ، ذلك هو الدين الجديد :

كتابه القرآن . ورسوله محمد الأمين .

شغل العرب بهذه الدعوة ، وبهذا الدين .

شغلوا بها ، إما مؤيدين ، وإما معارضين ، واتجهاوا أو اتجهوا كثير منهم إلى القرآن
يدرسونه ، ويفهمونه ، ويشرحونه ، كما اتجه كثير منهم إلى الخطابة يرتقون منابرها .
شغلوا بها تتطلبها هذه الدعوة من جهود ، وجهاد ، ومن فتح القلوب والبلاد .

حتى يكون الدين كله لله .

(١) بحسب وهو القفر .

ضعف جانب الشعر ، وبالتالي ضعف جانب الغزل فيه ، بل كان الغزل أَكثُر ضعفاً ، لأن الشعر في بعض أغراضه الأخرى لا يزال قائمًا ، وإن لم يكن بالكثرة التي وجدت من قبل ، ذلك أن الإسلام يصون المرأة من العبث ، ويحمي المحسنات من أن تلوك سيرهن الرجال .

ولم يدرك تعرف أن الغزل لا يقوم إلا حيث تكون الدعة والراحة والطمأنينة ، وإلا حيث تكون الرغبة من جمهورة القارئين أو السامعين ، وحيث يكون رضا الحاكم وتشجيعه . وهذه العوامل لم تكن قائمة في العصر الإسلامي الأول . ولهذا لم يخلص إلينا من شعر الغزل في هذه الفترة ما يصح أن تتحدث عنه .

وإذا قرأنا شيئاً منه ، وإن كان قليلاً فهو من الغزل الصناعي ، لا يعود به ، إلى ماذكرنا من أنواع أخرى .

أما في العصر الأموي فقد استقر الدين ، ودخل الناس فيه أنواعاً ، فاتسع سلطان العرب ، واتسعت دولتهم ، فلم يكن بد من الراحة والاستجمام ، يجتمعون ثمار الفتوحات ، ويستظلون في ظلال الملك .

نعم وجد صراع . ووجدت جماعات وأحزاب . كانت تحترب في سبيل الغلبة : الغلبة على الملك . والغلبة على الحياة .

قام هذا الصراع في الشام والعراق . أما الحجاز فكان بعيداً عن هذا الصراع ، وأدى هذا إلى نشوء نوعين من الغزل : الغزل العذري ، والغزل الماجن . وقد بسطنا ذلك من قبل . ووجد بجانب الغزل العذري ، والغزل الماجن — الغزل الفني .

وجد الغزل بأنواعه الثلاثة في هذا العصر . وغنى الغزل في هذا العصر بثروة في الشعرا ، وثروة في الشعر ، وثروة في الألفاظ والمعاني .

وكان للشعر في العصر الأموي طابعان :

طابع الشعر السياسي ، دعت إليه طبيعة الملك ، وما يتصل به من احتراب واختلاف ، ووجود شيع وأحزاب . وتبع هذا الشعر السياسي : المدح . والهجاء . مدح الأنصار والأشیاع . وهجاء الخصوم والأعداء .

وطابع الغزل . دعا إليه ما بسطنا من عوامل وأسباب .
ولا ضرورة لإضافته في غير شعراء الغزل . فليس هذا مكانه الآن . أما شعراء الغزل فيربى عدهم على العشرين .

ذكرنا من شعراء الغزل في شيء من البسط والبيان جميل بن معمر العذري ، وهو زعيم الغزل العذري . وعمر بن أبي ربيعة ، وهو زعيم الغزل الماجن . وللآخرين . نسج في الغزل قد يكون مثل نسج جميل ، أو نسج عمر ، أو يختلف عنهم ما بعض الاختلاف .

ومن هؤلاء الشعراء :

١ - قيس بن الملوح . ويدعى بمحنون ليلي ، نسبة إلى ليلي التي اشتهر بحبه لها .
ولم يعرف أنه تغزل في غيرها . وسواء كانت سيرة قيس ، وما حاطها من شعر وقصة
من نسج الحقيقة والخيال . فإن ما نسب إليه من شعر كان قائماً ، يمثل العصر الذي
تتحدث عنه . ولا يكاد يختلف في كثير عن أترابه .

ويقول في ليلي هذه :

أَعْدَ اللِّيَالِي لِيَلَةً بَعْدَ لِيَلَةً
وَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا لَا أَعْدَ اللِّيَالِي
أَرَانِي إِذَا صَلَيْتُ يَمْتَّنُّ نَحْوَهَا
بِوجْهِي وَإِنْ كَانَ الْمُصْلِي وَرَائِيَا
وَمَا بِيَ إِشْرَاكٌ وَلَكِنْ حَبْهَا
كَوْد الشَّجَاجُ أَعْيَا الطَّبِيبُ الْمَدَاوِيَا
أَحَبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا
وَأَشْبَهُهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مَدَانِيَا
٢ - قيس بن ذريح ، وصاحبته لبني . التي أحبتها ، وأخلص لها في الحب ،
وأصابها في سبيل حبها عذاب وستم وهلاك . وحب قيس لبني قصة رائعة ، تتمثل فيها
الوازآن من الوفاء ، ومن الإخلاص .

يقول قيس :

وَجَرْتْ مَذْنَاهِيْتِيْ عَنِ دَمْعِيْ
زَالَتِ الْيَوْمُ عَنْ فَوَادِيْ ضَاءِيْ
شَمْ يَشْتَدُّ عَنْدَ ذَلِكَ وَلَوْعِيْ
هَلْ لَهُمْ مَضِيْ إِلَيْنَا مِنْ رَجُوعِ

بِتْ وَالْمَمْ يَا لَبِينَى شَبِيعِيْ
وَتَنْفِسِتْ إِذْ ذَكْرُتُكَ حَتِّيْ
أَنْتَاسِكَ كَيْ مُرِيْغَ فَوَادِيْ
يَا لَبِينَى فَدَقْتُكَ نَفْسِيْ وَأَهْلِيْ

وَيَقُولُ :

بَهَا كَلْفَأَمْ كَانَ عَنْدِيْ يَعْيَاهَا
وَتَلَكَ امْرِيْ تَوْبَةَ لَا أَتُوْهَا
فِيَا نَفْسُ صَبِرَأَ لَسْتَ وَاللهُ فَاعْمَى
بَأَوْلِ نَفْسٍ غَابَ عَنْهَا حَبِيبُهَا

٣ — وَعْرُوْةُ بْنُ حِزَّامَ الْعَذْرِيْ . أَحَبَ عَفْرَاءَ بْنَ عَمْهُ . وَيَكَادُ يَكُونُ شِعْرَهُ
مَقْوِلاً فِيهَا وَحْدَهَا . وَقَدْ أَصَابَهُ مِنَ الْحَبْ سَهَامُ أَضْنَتْهُ ، حَتَّى بَدَا عَلَيْهِ الْاضْعَفُ وَالْمَزَالُ .
وَقَدْ رَأَاهُ عَرَافُ الْيَمَامَةَ فَسَأَلَهُ عَمَّاْ يَهْبِطُ ، فَقَالَ لَهُ عَرُوْةُ : هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِالْأَوْجَاعِ؟ فَقَالَ : نَعَمْ .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَرُوْةُ^(١) :

مَا بِيْ مِنْ خَبِيلٍ وَلَا بِجَنَّةٍ
أَقُولُ لِعَرَافِ الْيَمَامَةِ : دَاوِيْ
فَوَا كَبِدَا أَمْسَتْ رَفَاتَكَانَا

وَلَكُنْ عَمَى يَا أَخَىَ كَذَوْبَ
فَإِنَّكَ إِنْ دَاوَيْتَنِي اطَّيْبَ
يَلَدَّعَهَا بِالْمَوْقَدَاتِ طَيْبَ

٤ — تَوْبَةُ بْنُ الْحَمِيرِ . أَحَبَ لَبِيلَ الْأَخْيَلِيَّةَ . وَمَاتَ فِي سَبِيلِ حَبْرِهَا .

وَفِيهَا يَقُولُ :

وَهَلْ تَبَكَّرِيْنَ لَبِيلَ إِذَا مُتْ قَبْلَهَا
كَمَا لَوْ أَصَابَ الْمَوْتَ لَبِيلَ بَكِيْتَهَا
وَأَغْبَطَ مَنْ لَبِيلَ بِمَا لَا أَنْالَهَ

وَقَامَ عَلَى قَبْرِيِ النَّسَاءِ النَّوَافِعِ
وَجَادَهَا دَمْعُ مِنَ الْعَيْنِ سَافِعٌ
لَبِيلَ ، كُلَّ مَا قَرَتْ بِهِ الْعَيْنِ طَافِعٌ

(١) آدَابُ اللَّهِ الْعَرَبِيَّةِ ج ١ ص ١٤٢

ولو أنَّ ليلى الأخيلية سلمت على ودوني جندل^(١) وصفائح^(٢)
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا^(٣) إلها صدّى من جانب القبر صاحب
هـ — كثيير بن عبد الرحمن ، يعرف بكثير عزة ، نسبة إلى عشيقته عزة ، بنت
حميد بن وقارص .

وفيها يقول :

خليلي هذا رسم عزة فاعقلأ
فأوصيكما ثم أبكيا حيث حلت
وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا
ولا موجعات القلب حتى تولت

* * *

قتلت لها يا عز كل مصيبة
إذا وُطئت يوماً لها النفس ذلت
أسيئ بنا أو أحسن ، لا ملومه
لدينا ولا مقلية إن تقلت .
هنيئاً مريئاً غير داء نخامر
لعز من أعرضنا ما استحلت .
هـ — يزيد بن الطثية . أحب امرأة من جرم يقال لها وحشية .

وفي ذلك يقول :

بنفسي من لو مر برؤ بناه
على كبدى كانت شفاء أنا لم
فلا هو يعطينى ولا أنا سائنه
أسيئ بنا في كل أمر وحيته
وزار بيوتاً لبني جعفر ، ورأى هناك أسماء الجعفرية ، وقال فيها متغلاً :
فمن هابني في كل أمر وحيته
فإن تمنعوا أسماء أو يك نفعها
لكم ، أو تدبوا بيننا بالغوايل
على كل شيء من مدى العين قابل
فلن تمنعوني أن أعمل صحبتي

ويقول :

هبيني اسرؤا إما بريئاً ظلمته
وإما مسيئاً تاب منه وأعتبا
وكنت كذى داء تبغى لدائه
طيبياً فاما لم يجده تطبيها

(١) الجندل : الصغير العظيم . (٢) الصفائح : الأحججار العريضة . (٣) زقا الطائر : صاح

٧ — الأَحْوَصُ . وَقَدْ تَغَزَّلَ فِي نِسَاءِ كَثِيرَاتٍ . تَغَزَّلَ فِي أُمِّ جَمْفُورٍ وَهِيَ ا

مِنَ الْأَنْصَارِ وَفِيهَا يَقُولُ :

هَبِينِي أَمْرًا إِمَّا بِرِيشِيْمَ ظَالِمَتِيْهِ
 وَإِمَّا مُسِيَّشًا مُذَنِّبًا فَيَتوب
 فَلَا تَنْزِكِي نَفْسِي شَعَاعًا فَإِنَّهَا
 مِنَ الْحَزَنِ قَدْ كَادَتْ عَيْنِكَ تَذَوَّبْ
 لَكِ اللَّهُ، إِلَى وَاصِلَ ما وَصَلْتَنِي
 وَآخِذَ مَا أُعْطِيْتَ عَفْوًا وَإِنِّي
 لِأَزْوَرُ عَمَّا تَكْرَهِينَ هَيْوَبْ
 وَتَغَزَّلَ فِي سَلَامَةِ الْقَسِّ الْمُغْنِيَّةِ :

أَسْلَامٌ، إِنَّكَ قَدْ مَلَكْتَ فَأَسْبِجْجِيْ
 قَدْ يَمْلِكُ الْحَرُّ الْسَّكْرِيْمُ فَيُسْبِجْجِيْ
 فِي الْعُلُّ عَنْدَكَ وَالْعُنَّاَةُ تُسَرِّحُ
 مُنْيٌّ عَلَى عَانِيْمَ أَطْلَتْ عَنَاهُ
 سَيَّانٌ عَنْدَكَ مِنْ يَغْشُ وَيَنْصَحُ
 إِنِّي لِأَنْصَحْكُمْ وَأَعْلَمُ أَنِّي
 قَالَتْ : أَجَدُّ مِنَّا ذَا أَمْ تَرَحُّ
 وَإِذَا شَكُوتُ إِلَى سَلَامَةَ حَبَّهَا
 كَمَا تَغَزَّلَ بِالْدَلَانِ :

٨ — عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرَّثْقَيَّاتِ ، وَكَانَ مِنْ شُعَرَاءِ السِّيَاسَةِ ، وَمِنْ أَنْصَارِ عَبْدِ
 ابْنِ الْزِّيَّرِ ، وَمِنَ الْمُعَارِضِينَ لِبَنْيِ أُمِّيَّةِ . وَكَانَ غَرْلَا رَقِيقًا ، وَكَانَ غَرْلَهُ أَدَةً لِأَشَدِ
 هُوَاهُ السِّيَاسِيِّ . ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَذَكُّرُ نِسَاءَ خَصْصُومِهِ السِّيَاسِيِّينَ . وَيَتَنَاهُ مِنْ ذَكْرِ
 وَسِيلَةِ هُلُّ حَرْبِ هُؤُلَاءِ الْخَصْصُومِ . خَاصِمُ بَنْيِ أُمِّيَّةِ تَغَزَّلَ فِي أُمِّ الْبَنِينَ أَمْرَأَ الْوَلَدِ
 ابْنِ عَبْدِ الْمَالِكِ وَبَنْتِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى . وَرَزِيَّ فِي شِعْرِهِ أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ النِّسَاءَ جَبَّ
 وَرَزِيَّ فِي رُوحِ هَذَا الشِّعْرِ أَنَّهُ كَانَ يَنْزَعُ فِي هَذَا إِلَى مَثَلِهِ الْمُلِيَّاَ فِي الْجَمَالِ . وَتَغَزَّلَ أَيْ
 فِي رَقِيقَةَ بَنْتِ عَبْدِ الْوَاحِدِ ، وَفِي كَثِيرَةَ ، وَثَرِيَا ، وَسَعْدَةَ ، وَسَلَامَةَ .

يَقُولُ ابنُ قَيْسِ الرَّثْقَيَّاتِ فِي كَثِيرَةَ :

عَادَ لَهُ مِنْ كَثِيرَةَ الْطَّرْبِ
 فَعَيْنِهِ بِالْدَمِ— وَعَنْ تَنْسِكِ
 كَوْفِيَّةَ نَازِحَ مَحَلَّهُمَا لَا صَفَّبُ

وَاللَّهُ مَا إِنْ صَبَّتْ إِلَىٰ وَلَا
إِنْ كَانَ بَيْنِهَا سَبَبْ
إِلَى الَّذِي أُورْثَتْ كَثِيرَةً فِي الْقَدْ
بَ وَالْحُبُّ سَوْرَةٌ عَجَبْ
وَيَقُولُ فِي رُؤْيَاَ :

وَمِنْنَا لَنْفِي ثُمَّ امْطَلَّنَا
رُؤْيَ بَعِيشَكُمْ لَا تَهْجِرِينَا
عَدِينَا فِي غَيْرِ مَا شَتَّتْ إِنَا
نَحْنُ وَإِنْ مَطْلَّتْ الْوَاعِدِينَا
فَإِمَّا تَنْجِزِي عِدْتِنِي وَإِمَّا
نَعِيشْ بِمَا نَوْمَلْ مِنْكَ حِينَا
— الْعَرْجِي .

من شعراء قريش الذين شهروا بالغزل . نحا في ذلك نحو عمر بن أبي ربيعة ، وكان مشغوفاً بالله والصلوة . شبيب بجیداء - أم محمد بن هشام بن اسماعيل المخزوبي - وكان ينسب بها جماعة لابنها - محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك - وكان والياً على مكة ..

وفيها يقول :

عوجى علينا ربنا الهودج
إنك إن لا تفعلي تحرجى
إحدى بنى الحارث من مدحاج
ما نلتقي إلا على منهاج
نلبث حولاً كاملاً كلـه
في الحج إن حجـت، وماذا مـنـي
أيسـرـ ما نـالـ مـحبـ لـدى
نـقـضـ إـلـيـكـ حاجـةـ أوـ نـقـلـ
كـلـ شـبـ بـزـوجـهـ - جـبـرـةـ - وفيـهاـ يـقـولـ :

عوجى على فسامى جـبرـ فىـمـ الصـدوـدـ وأـتـمـ سـفـرـ
ونـقـلـ العـرجـىـ فـيـ أـمـ الأـوقـصـ - مـحمدـ بنـ عـبدـ الرـحـمـنـ المـخـزوـبـىـ - وـفـيـ عـاتـكـةـ
زـوـجـةـ طـرـيـحـ بنـ إـسـمـاعـيلـ الثـقـفـىـ . كـلـاـبـةـ مـوـلـاـةـ لـتـقـيـفـ ، كـانـتـ عـنـدـ
عـبـدـ اللهـ بنـ قـاسـمـ الـأـمـوـيـ .

وَفِيهَا يَقُولُ :

أَنَا الَّذِي أَنْتَ مِنْ أَعْدَائِهِ زَعْمُوا
حَتَّىٰ بَلَيْتَ وَحَتَّىٰ شَفَنِي السُّقْمَ
مِنْ بَعْضِنَا أَطْعَمُوا لَهُمْ ، إِذَا طَعَمُوا
فَطَالًا مَسْنَىٰ مِنْ أَهْلَكَ النَّعْمَ
أَنْ يَحْدُثُوا تَوْبَةً فِيهَا إِذَا أَنْتُمْ
فَارْضَىٰ بَهَا وَلِأَنْفِ الْكَاشِحِ الرَّغْمَ^(١)

قَالَتْ كَلَابَةٌ : مِنْ هَذَا قَلْتَ لَهَا
وَأَنَا أَمْرُؤٌ جَدْبَىٰ حَبْ فَأَحْرَضَنِي
لَا تَكَلَّمْنِي إِلَىٰ قَوْمٍ لَوْ اتَّهَمْ
وَأَنْهِي نَمَمَةً تَجْزَىٰ بِأَحْسَنِهَا
سَتْرُ الْمُبَهِّبِينَ فِي الدِّينِ لَعَلَّهُمْ
هَذِي يَمِينٌ رَهْنٌ بِالْوَفَاءِ لِكُمْ
١٠ — التَّمِيرِي .

مِنْ شِعَرَاءِ الْغَزْلِ فِي الدُّولَةِ الْأَمْوَالِيَّةِ . كَانَ يَهُوَى زَيْنَبُ بُنْتُ يُوسُفَ بْنَ الْحَكَمِ
أَخْتَ الْحِجَاجِ بْنِ يُوسُفِ . وَفِيهَا يَقُولُ :

مَطْوَقَةٌ وَرْقَاهُ شَمْجُواً عَلَىٰ غَصْنٍ
عَنَّاكَ وَهُلْ يَعْنِيكَ إِلَّا الَّذِي يَعْنِي
وَصَرَّحْتَ بِاسْمِي فِي النَّسِيبِ فَاتَّكَنْتَنِي
لِيَهْنِئَكَ مَا تَهْوَاهُ ، إِنْ كَانَ ذَا يَهْنِي
فَقَلْتَ لَهُ : خُذْ لِي فُؤَادِي أَوْ دُعْنِي
وَقَدْ لَامَنِي فِيهَا ابْنُ عَمِّي نَاصِحًا

١١ — ابْنُ مِيَادَةَ :

كَانَ يَنْسَبُ بِأَمْ جَيْحُونَ — بُنْتَ حَسَانَ الْمَرِيَّةِ إِحدَى نِسَاءِ بْنِ جَذِيمَةَ — وَلَهُ
فِيهَا شِعْرٌ كَثِيرٌ . وَغَزْلٌ كَثِيرٌ ، وَشَيْوَنٌ كَثِيرَةٌ . وَفِيهَا يَقُولُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَىٰ أَمْ جَيْحُونَ
سَبِيلٌ ؟ فَأَمَا الصَّبَرُ عَنْهَا فَلَا صَبَرَا
فَإِنْ يَكَّ نَذْرٌ رَاجِعًا أَمْ جَيْحُونَ
عَلَىٰ لَقْدِ أَوْذَمْتُ^(٢) فِي عَنْقِ نَذْرَا

(١) مَثَلَةُ الرَّاءِ مَعْ سَكُونِ النِّينِ ، وَحَرَكَتْ اِضْرُورَةُ الشِّعْرِ . وَالرَّغْمُ : الْذَّلِّ . وَأَسْلَهُ
مِنْ أَنْ يَلْتَصِقَ أَنْفُهُ بِالرَّغْمِ وَهُوَ التَّرَابُ . (٢) أَوْذَمْتُ عَلَىٰ نَفْسِهِ كَذَا : أَوْجَبْ .

وإني لأشتتني^(١) الحديث من أجلها لأشمع منها وهي نازحة ذِكْرًا
وإني لأشتتني من الله أَنْ أُرَى إِذَا غدرَ الْخَلَانُ أَنْوَى لَهَا غدراً
وشبب ابن ميادة بزبنب بنت مالك . كَمْ تغزل في امرأة من بنى حرام يقال لها :
أم الوليد ، رآها وأعجب بها . وقال فيها :

أَلَا حَبَّدَا أُمَّ الْوَلِيدِ وَمَرْبَعَ لَنَا وَهَا نَشْتُو بَهْ وَنَصِيفُ
وهناك من شعراء الغزل عدًّا من ذَكْرِنَا كثيرون :

الحارث بن خالد المخزوبي : يهوى عائشة بنت طلحة

أبو دَهْبَل الجُمَحِي^{*} : يهوى امرأة من قومه اسمها « عمرة »

الخَيْلَ القيسي^{*} : يهوى ابنة عمِّه مِيلَاء

ذو الرُّمَة^{*} : وصاحبتها مَيَّة

هذه طائفة من شعراء الغزل في هذا العصر ، وهم من السَّكَثَة إلى حد كبير .
ولعل هذه السَّكَثَة تعطيك صورة صادقة عن الغزل في هذا العصر ، من حيث
إقبال الشعراء عليه ، ومن حيث استماع العرب إلى وحي الشعراء ، ومن حيث البيئة
التي طبعت هؤلاء بحب الغزل ، ونفذت إلى أولئك بفودوا وقروا على منابر شعرهم
هذا النغم الحلو التميم ، وهذا الوحي لما تجيش به صدور المحبين .

كثير من هؤلاء الشعراء آثروا شعر الغزل ؛ على ما عداه من سائر أبواب الشعر
فلم يقولوا في مدح أو هجاء ، أو وصف أو رثاء ، أو حماسة وزهد ، وبعض هؤلاء
الشعراء قالوا في أبواب أخرى ولكنهم لم يجودوا ، ولم يكتروا إلا في شعر الغزل .

وهناك شعراء آخرون غنى بهم هذا العصر :

فالأخطل ، وجرير ، والفرزدق من خقول شعرائه .

وقد غالب على شعر هؤلاء المدح والفاخر والمجاء .

(١) استلهى الحديث : تعرفه وبحث عنه .

ولكن جريراً كان مجدداً في الغزل كما كان مجدداً في المدح والهجاء
الأخطل قال في النسيب وإن لم يكن قوله كثيراً .

وهناك جهورة من شعراء السياسة يحسن أن نشير إلى أن طائفة منهم قالوا
ومن هؤلاء :

ابن مفرغ الحميري ، والراعي ، وأبو صخر الهمذاني . وبيهس الجري ،
ابن يسار .

وهل عرفت بعد هذا ماذا أسلى عصر بني أمية إلى شعر الغزل ؟
وكيف كان الغزل في هذا العصر أكثر نمواً وأكثر ازدهاراً في أ
سابق أو لاحق ؟

فقد نشأت في هذا العصر ألوان من الغزل لم تكن قائمة ، ونال بعض
الألوان حظ من الانتشار والازدهار لم تنته إلى وقتنا الحاضر .

كما غنى هذا العصر بطائفة من شعراء الغزل أضفوا على الشعر ثروة
من الألفاظ المعذبة والمعانى الرائعة والأخيلة الشائقة الجذابة .

كم نحن مديرون لهذا العصر في شعر الغزل بالشى ، السكتير !
وقد رأيت شيئاً من ذلك فيما قدمنا من بسط وبيان ، وسترى ذلك .
حين تتحدث عن سائر كتب الغزل .

في العصر العباسي :

عرفت فيما سبق كيف أن الشعر بما في العصر العباسي نحو آخر يخالف
في العصر الأموي .

فقد أصبح العرب في حال من الترف والغنى والثروة ، فليجنوا هذه الثمار ،
لهذا الجنى أثر في معيشهم ، وفي أدبهم الذي هو ترجمان هذا المعاش .

وأصبح العرب في حال من الملك والسياسة ، وفي حال من اختلاط بالأعاجز

من سيطرة لهؤلاء الأعاجم على مظاهر الحكم ، ومظاهر العيش ، ومظاهر الأدب .
تأثر الشعر بكل هذا ، فهذا الغزل الملائج ، وضرب فيه الشعراء بهم وافر .
فقد ابتعد الشعراء إلى حدّ ما عما كان يصونهم من قرب البداوة ، ومن قرب
الوازع الديني ، ومن قرب رعاية التقاليد التي كانت مألوفة في ذلك الحين ، وجاء نوع
جديد كله ثورة على القديم ، وكله ثورة على ما كان معروفاً من نظم وأوضاع .
جاء بشار وأبو نواس ، وهما من أصل فارسي ، يحملان نوعاً جديداً من الأدب
ومن الشعر ومن الغزل .

كنا نجد بعض بدايات القصائد من الغزل: أما في هذا العصر فقد كثُر البدء بوصف
القصور، و المجالس اللهو، وإنْخوان السمر، وغناء القيان، أو بوصف المهر وما يتصل
بـهذا الوصف.

وكنا نجد الغزل العذري ، ونجد به بكترة وقوة في العصر الاموي ، أما في هذا العصر فقد غاب واحتتجب لأن أسبابه لم تعد قائمة في هذا العصر؛ ولأنه وجد في هذا العصر من العوامل والأسباب ما ينافي الغزل العذري .

ويكاد ينقسم شعراء هذا العصر قسمين :
شعراء الموالى الذين نشروا من أصل فارسي ، أو كان لنفوذ الفرس والأعاجم أثر
قوى في شعرهم ، وفي منحاتهم الشعرى .
ومن هؤلاء بشار ، وأبو نواس ، وابن الرومي ، وأبو العتاهية ، ومسلم بن الوليد .
وحسين بن الصحاك ، وسلم الخناسر ، وحمّاد عبّرد .

وشعراء العرب الذين بعدهم من اعهم ، وبعد بعهم حفاظهم عن أن يسلكوا
في شعرهم ما سلكه الموالى ، أو أشياعهم .

ومن هؤلاء : أبو تمام ، والمتني ، والبحترى ، والمرى ، والعباس بن الأخفى ،
وابن خفاجة ، وابن هانى .

أما القسم الأول :

فقد نحا بالشعر منحى قريباً إلى ما يوافق هوى شعرائه ، ويافق البيئة التي
أحاطت بهم ، والعوامل التي أثرت فيهم . يوافق تجاذبهم لأوضاع العرب ، وتوجهين
لتقاليدهم المعروفة .

وكيف كان ذلك ؟

سبق أن أشرنا إلى أن بشاراً وأبا نواس عانيا على الشعر العربي البدء ، بصف
الأطلال والدمن ، ودعوا إلى وصف الحر ، وبمحالس الله .

وأشرنا إلى أن هؤلاء الشعراء في هذا العصر وصفوا الحر في كثير من الإسراف ،
وكثير من التبذل ، وكثير من الاستهثار : وصفوا الحر في دنانيرها ، وفي كؤوسها ،
كما وصفوا الساق ، وبمحالس الشراب ، وما يقع فيها من هدر ، وهزل ، وعبث ، ومجون .
وأشرنا إلى أن هؤلاء الشعراء خرجوا من الغزل بالمؤنث إلى الغزل بالذكر . وصفوا
حسنه وجماله ، وتجنّيه ودلالة ، وصفوه في بسط ، وقالوا فيه كما بسطوا في المرأة وقالوا .
وأشرنا إلى أن هؤلاء الشعراء خرجوا من غزل القلب والروح ، أو غزل الأنماط
والمعنى ، إلى غزل حسى عابث ، يمثل هذا الفجحش الذي طبع حلائفه من هؤلاء
الشعراء على تلك الصورة ، التي لم تكن معروفة من قبل .

هذه المعانى نجدها ظاهرة ، واضحة الظهور في شعراء القسم الأول . وإن لم يكن
وجودها عند الجميع على حد سواء .

وصف هؤلاء الشعراء الحر ، وأسرفوا في الوصف :

یقوقل بشار :

يا ابن موسى أسفني ودع عنك سامي
إن سامي حمي وفي احتشام
رب كأس كالسلسلي تعللت بها والعيون عن نيم
حبست للشرأة في بيت رأس^(١)
عُتقت عانساً عليها المختام
فتحت نفحة فهزت نديمي
وكان المعالول منها إذا را
بسيم وانشق عنها الركام^(٢)
ح شج في لسانه يرسم^(٣)
صدمة الشهول حتى بعينيه انكسار وفي المفاصل خام
وهو باق الأطراف حيث به الكا
وفقي يشرب المدامة بما
أنهت كأسه الدنانير حتى
تركته الصهباء يرنو بعين
جم من شربة تُمل بالخرى
وبكي حين سار فيه المدام
و يقول أبو نواس :

وأسقنا نُطَك الشَّاءِ الْيَمِنَا
يَتَسَوَّفُ مُخْبِرَ أَنْ يَكُونَا
وَتَبْقَى لَبَابَهَا الْمَكْنُونَا
لَوْ تَجْمَعَنَ فِي يَدِ لَا قُتْنَيْنَا
تَمْنَعُ الْكَفَّ مَا تُنْيِحُ الْعَيْنُونَا
جَارِيَاتٌ بُرُوجُهَا أَيْدِينَا
فَإِذَا مَا غَرَبَنْ يَغْرِبُنْ فِيمَا
غَنَّنَا بِالظَّلُولِ كَيْفَ كَيْلِيْنَا
مِنْ سُلَافٍ كَانَهُ كُلُ طَيْبٍ
أَكْلَ الدَّهْرَ مَا تَجْسَمَ مِنْهَا
شَمْ شُجَّةً فَاسْتَضْحَكَتْ عَنْ لَالٍ
وَإِذَا مَا لَمْسَتْهَا فَهَبَاءٌ
فِي كَوْسٍ كَائِنَنْ نَجْوَمٌ
طَالِعَاتٌ مِنْ السَّقَاءِ عَلَيْنَا

(١) اسم قريتين إحداهما في بيت المقدس والأخرى في حلب . (٢) كلة فارسية يقصد بها المهزان

(٣) قد يكون المعنى أن يكون بالفاصل انتخاء (٤) العين : الذهب . واستمر : ذهب .
 (١) اسم فردياً يخدمه في بيت المتن و يفتح على حرفه الأولى .
 (٢) يفتح على حرفه الأولى .

(١) مد ينجزون سعى بـ دـي روـبـونـسـونـ وـ السـوـامـ : الـأـبـلـ الرـاعـيـ وـ المـرـادـ بـهـاـ هـنـاـ الـمـالـ الرـاعـيـ كـالـسـاعـةـ .

قالت : قومٌ من قرية يصطادونا
نائماتٍ يزيدُها العُشرُ إلينا
عفته مُكْرَهًا وخفت الأمينا
وأنفرَ العُودَ إله يأهينا
ودع الذِّكْرَ للطَّلَولِ إذا ما دارت الكأسُ يُشَرَّةً وَيُبَيَّنا
فانظر كيف وصف بشار وأبو نواس الخمر هذا الوصف الرقيق الدقيق . طلب
بشار أن يُسقى الخمر ، فهى حبيبة إلى نفسه ، قريبة إلى هواه ، وذكر أنه راغب عن
المرأة ، فهى بعيدة عنه ، وفيه احتشام ، وإن كنا لا نصدق أن فيه احتشاما ، ينفعه
عنها ، ويجعله يتجفوها ، وهو ما نعرف غير ذلك .

ثم أخذ يصف الخمر ، وأنها معتفة ، يتعالى بها والناس من حوله نُوْمٌ ، وهو
الساهر اليقظان .

ثم أخذ يصف أثر الخمر في صاحبها :

عقله كالثواب فهو يهدى ، وفي عينيه انكسار ، وفي مفاصله ارتخاء ، وفي أوصاله
موات . وكأنه مجنون لا يعن ما يقول .

وكيف وصف الخمر أبو نواس ؟

فعل مثل صاحبه بشار . في أن أقبل على الخمر ، واطرح من عدتها . وكلاتها
اطرح المرأة . ولكن بشارا صرخ بها ، أما أبو نواس فقد صرخ بأثر من آثارها ،
وهي الأطلال والدمن .

وكذلك وصف أبو نواس الخمر ، وكان وصفه دقيقاً جميلاً . وصف طيبها ، وأنها
معتفة ، أكل الدهر ما تجسم منها ، ووصف نقاها وصفاتها ، ووصف حبيبها ولائتها
الضاحكة الباسمة .

لو ترى الشربَ حولها من بعيد
وغزال يديرها بيَنَانَ

ذاك عيشٌ لو دام لى غيرَ ، أى
ادر الكأسَ حان أن تسقينا

ودع الذِّكْرَ للطَّلَولِ إذا ما دارت الكأسُ يُشَرَّةً وَيُبَيَّنا

فانظر كيف وصف بشار وأبو نواس الخمر هذا الوصف الرقيق الدقيق . طلب

بشار أن يُسقى الخمر ، فهى حبيبة إلى نفسه ، قريبة إلى هواه ، وذكر أنه راغب عن

المرأة ، فهى بعيدة عنه ، وفيه احتشام ، وإن كنا لا نصدق أن فيه احتشاما ، ينفعه

عنها ، ويجعله يتجفوها ، وهو ما نعرف غير ذلك .

ثم أخذ يصف الخمر ، وأنها معتفة ، يتعالى بها والناس من حوله نُوْمٌ ، وهو

الساهر اليقظان .

ثم وصفها في الكؤوس ، وما أجمل تشبيهه الكؤوس بالنجوم ! وما أجمل خياله
في طلوع هذه النجوم وغزو بها !

ثم وصف تجمّع الشاربين حولها كأنهم يصطادون من قرّة البرد .
ووصف الساق ، وأنه كالغزال ، ناعم البناء .

فأنت ترى من هذا أن بشارا وأبا نواس يتفقان في صور ، ويختلفان
في أخرى .

يتتفقان في أن كلّيهما يميل إلى الحمر بقلبه وهواد . ويتتفقان في وصف الحمر .
ويفترقان في أن بشارا ذكر أثر الحمر في صاحبها ، ولم يفعل ذلك أبو نواس .
ويفترقان في أن أبو نواس وصف الكؤوس ، ووصف الساق ، ووصف الشاربين
وتجمّعهم ، وتزاحمهم ، ولم يفعل ذلك بشار .

هذا مع ما ترى من اختلاف في تخيل هذه الصور .
وانظر بعد ذلك أي الوصفين أقرب إلى التأثير في نفسك وقلبك .
كما وصف الحمر ابن الرومي ، وحسين بن الصحاح ، وسلم ، وحمد .

* * *

ووصف هؤلاء الشعراء مجالس الالهو ، وأسرفوا في الوصف :

يقول حسين بن الغضاح :

ما لأنس كان مبتذلا منكَ لى بالأمس لم يُعد
إيه قل لى غير محشمش . هل دهانى فيك من أحد
حبـذا والكأس دائرة لهـونـنا والصـيد بالطـرد^(١)
وـحدـيث فـي القـلـوب لـهـ أـخـذـ^(٢) يـصـدـعـنـ فـي الـكـبدـ

(١) الطرد . مزاولة الصيد ، يقال طرد — بكسر الراء — زاول الصيد وتبنته .

(٢) الأخذة : الرُّقْبة كالسحر يؤخذ بها .

دون نَدْمَانِي يَدَا بِيَدٍ
يُومٌ تعطِينِي وَتَأْخِذُهَا
تَلَعُّهُ (٢) مِنْ ظِبَابَةِ الْبَلَدِ
فَإِذَا أَلَوَيْتُ (١) هِيجَنِي
أَشَرَّ كَافُورٍ عَلَى بَرَادِ
وَإِذَا أَصْغَيْتُ ذَكْرَنِي
فِيهِ مَعْذُورًا عَلَى الْحَسَدِ
ذَالِكَ يَوْمٌ كَانَ حَاسِدُنَا
مَاذَا وَصَفَ حَسَنِ بْنَ الصَّحَافِكَ؟

وَصَفَ مجَلسًا مِنْ مجَالِسِهِ لَهُوَ ، كَانَ يَفَازِلُ فِيهِ غَلامًا اسْمُهُ « يَسْرٌ » ، وَقَدْ
أَصَابَ حَسِينَنَا مِنْ هَذَا الغَلامِ صَدٌّ وَدَلَالٌ . فَأَخْذَ يَتَسَاءَلُ حَسِينٌ : مَاذَا دَهَاهُ فِي هَذَا
الْغَلامُ؟ وَمَاذَا غَيَّرَتِ الْأَيَّامُ؟ وَقَدْ كَانَ الْأَنْسُ يَنْهَمُمَا بِالْأَمْسِ مُبْتَدِلاً .

ثُمَّ أَخْذَ يَصْفُ هَذَا الْهُوَ ، وَمَا فِيهِ مِنْ خَمْرٍ ، وَصَبِيدٍ ، وَمَا فِيهِ مِنْ حَدِيثٍ وَسِرِّ.
وَقَدْ اعْتَدَ الْمُجَبُونَ أَنْ يَكُونُ لَهُمْ حَاسِدُونَ يَعْذُلُونَهُمْ ، وَيَرْقِبُونَهُمْ . وَهُؤُلَاءِ
الْحَاسِدُونَ نِعْمَةٌ وَبَلَاءٌ عَلَى الْأَحْبَابِ وَالْأَصْحَابِ . يَكْرَهُونَهُمْ ، وَلَا يَرْضُونَ مَا يَفْعَلُونَ .
أَمَا هَذَا الْيَوْمِ فَمُفْتَعِلٌ لَذِيْدٍ . يَفْوَقُ كُلَّ إِمْتَاعٍ وَلَذْتَ . وَلَذْكَ كَانَ حَاسِدُوهُ مُعْذُورِينَ
إِنْ غَاظُهُمْ مَا رَأَوْا ، فَخَسِدُوا ، وَكَرِهُوا أَنْ يَكُونُ لَغَيْرِهِمْ هَذَا النِّعْمَ .

* * *

وَتَغْزِلُ هُؤُلَاءِ الشُّعُراءَ بِالْمَذْكُورِ :

تَغْزِلُ بِالْمَذْكُورِ أَبُو نَوَّاسَ ، وَحَسِينَ بْنَ الصَّحَافِكَ ، وَابْنَ الرُّومِيِّ ، وَحَمَادَ .

يَقُولُ إِنَّ الرُّومِيَّ :

أَيْهَا الْذَاهِلُ عَنِي نَمْتُ عَمَّنْ لَا يَنْسَمِ
طَالَ بِي صَدْكَ وَالصَّدَّ عَلَى الصَّبَّ غَرَامِ
مَنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّةِ الْحَسَنِ فَنْ أَهْوَ إِمَامَ
هُوَ بِالْدَلْلِ فَتَّاهَ وَهُوَ بِالْزَى غَلامَ

(١) أَلَوَى بِرَأْسِهِ . أَمَالَهُ (٢) التَّلْعُ . طَوْلُ الْعَنْقِ .

حار في خديه ماء مازج الماء ضرام
يلتقط في وجهه ضدّ ان نور وسلام
وقد ذكرنا من قبل في الفصل الأول طائفة من أمثلة الغزل بالمذكرة.
وتغزل هؤلاء الشعراء بالمرأة غزلاً ماجنباً خبيثاً.

تغزل بشار بأمرأة من أهل البصرة يقال لها عبيدة، وتغزل بأخرى اسمها «عبدة»
كانت تحضر مجالسه في منزله، فلما سمع كلامها تعلق بها، وكلف بها كلفاً شديداً.
وتغزل بجارية اسمها فاطمة، كما تغزل في جارية له أخرى.

وكان بشار في غزله ماجنباً خبيثاً، حتى خشى الناس على نسائهم من شعره.

قالوا^(١):

ماشي، أدعى لأهل هذه المدينة - أى البصرة - إلى الفسوق من أشعار هذا الأعمى!

وقال واصل بن عطاء:

إن من أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد.
وذلك لأن بشاراً - كما قيل - يقارب النساء حتى لا يخفى عليهن ما يقول،
وما يريد. وأى حرقة حصانٍ تسمع قول بشار فلا يؤثر في قلبه. فكيف بالمرأة الغزيرة،
والفتاة التي لا هم لها إلا الرجال؟

قال بشار:

مني ومنه الحديثُ والنظرُ
بأنسٍ إذ لم تحلَّ لي الأزرُ
فوق ذراعي من عضها أثرُ
والبابُ قد حال دونه الستُّرُ
أو مصْرُّ ريق وقد علا الهرُ^(٢)
والسوق سراقة مخلَّلُها
واسترخت السُّكُفُ للعرالِ وقا

حسبي وحسبُ الذي كلفت به
أو قبلة في خلال ذاك وما
أو عضة في ذراعها لها
أو لمسة دون ميرطها^(٣) بيدي
والسوق سراقة مخلَّلُها
واسترخت السُّكُفُ للعرالِ وقا

(١) الأغانى ج ٣ ص ١٨٢ (٢) كسام بئتر بـ . (٣) تابع النفس واتقطاعه من الاعباء .

أنت وربِي مُفازِلٌ أَشِرْ
وَاللهُ لِي مِنْكَ فِيكَ يَلْتَهِرْ
مِنْ فَاسِقٍ جَاءَ مَا بِهِ سَكَرْ
انهضْ فَمَا أَنْتَ كَالَّذِي زَعَمُوا
قدْ غَابَتِ الْيَوْمُ عَنْكَ حَاضِنَتِي
يَا رَبِّ خَذْلِي قَدْ تَرَى حَسَرَعِي
أَتَرِى مَاذَا قَالَ بِشَارٌ؟

قال في هذه القصيدة غلا ماجناً ما بعد ذلك مجون ، خبيثاً ما بعد ذلك سجدة
حدثنا عمما يينه وبينها .

ولم يكن ما بينهما حديث القلب والعاطفة ، حديث الوفاء والإخلاص ، حديث
العيون ، التي تترجم عمما في القلوب من لوعة الحب وشوق الغرام ، حديث الروح المذهب
المضنى ، الذي هدأه الصد وأسلمه البعض فهو يحتال ويتوسل ، يطلب الرضا والوصال ،
ولكنه حديث الشهوة ، والشهوة الجامحة .

فهو لا يرضي منها بالحديث والنظر ، ولكن يعتقد به العبث إلى القبلة ، والمعضة ،
والمس ، ومن الرائق ، وهو لا يرضى منها بهذا كله ، وهذا كله كثير وكثير ، ولكن يريد
 شيئاً آخر صرخ به في بقية القصيدة . وقد يصور لنا هذا الخبث الذي أراده بشار أنه
قامت بينهما معركة حامية الوطيس ، يريد هو في عنقه وجبروه أن يقهراها على ما يريد ،
ولا يريد إلا الفحش والخنا ، وهي تدفعه وتدفعه ، وهي تمنعه وتزجره ، وهي تسكب الدمع
عليه يكون لها شافعاً وشفيعاً . وهي تود لو أن حاضرته كانت حاضرة ، إذن لتقوت بها
ومنعت عنها العداون والأذى ، ثم هي تطلب إلى الله ، وهو نصير العاجز الضعيف ، في وقت
الشدة والبلاء أن ينصرها ، وأن يأخذ بيدها من هذا الفاسق الذي جاءه وما به سكر .

الآن أن هذا الشعر يليل القلوب ويلين الصعب كما قالوا؟ بلى .

إنه يغزو النفوس ، فيهيج فيها مواضع الشهوة والإثم والفحش .

ويقول بشار في عبادة التي أشرنا إليها من قبل :

يا عبد بالله فرجى كربلي فقد براني وشفني نصحي

وضقت ذرعاً بما كلفت به من حبكم والمحب في تعب
ففرجي كربة شجيت بها وحرّ حزن في الصدر كاللهب
ولا أظني ما أشتكي لعباً هيبات قد حل ذات عن اللعب
ونزل أبو نواس باسمه يقال لها « حسن » كما نزل « بجهان » جارية

ل عبد الوهاب التقى .

ونزل أبو العتاهية ، ومسلم بن الوليد ، وابن الرومي ، وحماد ، وسلم .

ونزل حسين بن الصمحة بمعنى يقال لها — فتن —

ومن غزله الماجن أن قال له الحسن بن سهل ذات يوم :

كيف كنت في ليتك ؟ وكيف كنت عند نومك ؟

شده عن ذلك . قال :

تألفت طيف غزال الحرم
واما زلت أفع من نيله
بما تجتنيه بناءً على الحلم
بنفسي خيال على رقبة
ألم به الشوق فيها زعم
أتاني يجاذب أرداه
من الهر^(١) تحت كسوف الظلم
وعنبرة ريقه والنسم
تموج سوالفه مسكة
قطم^(٢) من بعد تجميره
فطاب من القرن حتى القدم
يقول ونازعته ثوبه
على أن يقول لشيء نعم
فضض الجفون على خجلة
وأعرض إعراضة المحتشم
فشبكت كفي على كفه
وأصغيت اليم دڑاً بهم
بحيد ولا مطعم معترض
ثنتي وقال لي الويل لم
إذا ما همت فأديته

(١) تابع النفس وانقطاعه عن الأعياء . (٢) تصريح بالطيب : تلطخ به .

فَازَتْ أَبْسُطُهُ مَا زَحَّا
وَأَفْرِطَ فِي الْأَهْوَى حَتَّى ابْتَسَمَ
وَحَكَمَنِي الرِّيمُ فِي نَفْسِهِ وَلَكِنْهُ مُسْكَنُّهُ
فَوَاهَا لِذَلِكَ مِنْ طَارِقٍ عَلَى أَنْ مَا كَانَ أَبْقَى سَقَمَ
حدثنا حسين بن الضحاك في هذا عمراً وقع بينه وبين طيف غلام للحسن بن سهل ،
كان الحسين قد علّق به .

ولما نريد أن نشرح هذا الحديث ، ولا أن نعنى عليه بأكثر مما قاله الحسن
ابن سهل . قال :

يا حسين : يا فاسق ! أطن ما ادعنته على الطيف في النوم كان في اليقظة
مع الشخص نفسه .

* * *

هذه المعانى — كما قلنا — تجدوها في شعراء الموالى ، الذين ذكرناهم ، ولا تجدوها
على هذه الصورة بين شعراء هذا العصر الذين نشأوا من أصل عربي .
ولكن بجانب هذا نعرف أن مطينا بن أبياس كان خليعاً ماجيناً ، وكان وصافاً
للخمر ، وكان غزواً بالمذكر . وهو وإن كان كذلك ، ولكن في صورة ضيقه محدودة ،
وفي وضع يكاد يكون ضيق الطاق .

أما شعراء القسم الثاني ، أو بعبارة أخرى أما شعراء هذا العصر الذين نشأوا
من أصل عربي فإنهم لم ينهاجوا هذا النهج الذي قدمنا .
ومن الطبيعي أن يكون ذلك .

لأنهم عرب ، يحافظون على تراثهم الأدبي ، ويادفون عنده هذا العلمي ، الذي
وفد عليهم من طريق الفرس ، وسائل الأغاجم .

فإذا كان الشعراء الذين ينتون في النسب إلى أصل غير عربي يتهجنون كل
ما هو عربي ، يختارونه في صور شتى ، فإن هناك شعراء آخرين ينتون إلى أصل

عربي ، لا يحاجرون بهم فيما يفعلون ، بل يصدون تيارهم الجارف .

وَمَنْ هُؤْلَاءِ الشُّعُرَاءُ؟

من هؤلاء الشعراء أبو تمام ، والمتني ، والبحترى ، والمرى ، والعباس بن الأحنف ،
وعلى بن الجهم ، وابن خفاجة ، وابن هانىء .

فلا تكاد ترى واحداً من هؤلاء الشعراء أدمى في وصف الخير ، أو تنزل
في المذكرة ، أو تنزل غزلاً ماجناً ، كما فعل شعراء الموالى .

ولسنا بقصد الترجمة والحديث عن هؤلاء الشعراء ، في كل نواحيهم الشعرية
حتى نبسط ذلك كل البسط .

ولكنا بقصد شعراء الغزل .

وما حظ الغزل من هؤلاء الشعراء؟

وفي أي نوع من أنواع الغزل؟

كثير من هؤلاء الشعراء قالوا في الغزل .

قالوه مبتدئين في أول القصيدة ، كما فعل شعراء العرب الأولون في العصر الأموي
وفي العصر الباهلي ، وهذا هو الغزل الصناعي الذي ذكرنا ، وذكرنا له أمثلة كثيرة
من الشعر .

ومن هؤلاء المتني ، والبحترى وغيرهما .

يقول المتني ^(١) في أول قصيدة أرسلها إلى السلطان ، وكان قد حبسه إثر وشایة .

أيا خَدَدَ وَاللهُ وَرَدَ الْخَدُودَ وَقَدْ قُدُودَ الْحَسَانِ الْقُدُودِ ^(٢)

فَهُنَّ أَرْسَانٌ دَمًا مُقْتَلَىٰ وَعَذَّبَنَ قَلْبِي بِطُولِ الْصَّدُودِ

وَكَمْ لِلْهُوِيٍّ مِنْ فَتَّىٍ مَدْنَفٍ ^(٣) وَكَمْ لِلنَّوِيٍّ مِنْ قَتْلَىٍ شَهِيدٍ

(١) ديوان المتني شرح البرقوق ج ١ ص ٢١٧ (٢) التشديد: الشق . القد: القطع طولاً.

يدعوا على ورد الخدود أن يشققه الله فيزول حسنه ، وأن يقطع القدود الحسان ، وهو دعاء

محب وامتنان . (٣) المدنب: من أتقائه المرض .

فوا حسرتا ما أُمِّرَ الفراق
وأعْلَقَ نيرانه بالكبود
وأغرى الصباة بالعشرين (١)
وأقتلها للمحب العميد (٢)
ولهيج نفسي لغير الخنا
يُحب ذات الآمن (٣) والنَّهود
ويقول البحترى (٤) — ولم يكن يبدأ قصائده بغير النسib — في أول قصيدة
يمدح المعزز :

مَنْ عَذِيرِي مِنَ الظباءِ الْفَيْدِ
إِنْ سُحْرَ الْعَيْوَنْ ضَلَالْ لَبِيْ
وَالْأَمَانِيْ مَا تَرَالْ تَعْنِيْنَا
وَمِنْ الْعَيْشِ لَوْ يَسْاعِدُ عَيْشَ
وَبِنَفْسِي الَّتِي تَوَلَّتْ بِنَفْسِي
بَعْدَتْ دَارُهَا فَمَا مِنْ تَلَاقِ
أَتَرَاهَا دَامَتْ عَلَى الْوَصْلِ أَمْ مِنْ
أَوْ تَرَانِي مَلَاقِيًّا مِنْ قَرِيبِ
الْإِمَامِ الْمُعْتَزِ بِاللهِ أَوْلَى
وَجْهِيِّيْ هاشمِيْ بِالْفَصْرِ وَالْتَّأْيِيدِ

* * *

كما أنهم قالوا الغزل كأى غرض من أغراض الشعر ، ولكن لم يكن غالباً ،
ولا قوى الحساسية ، ولا عظيم الأثر كما رأينا في عصر بني أمية .
إلا العباس بن الأحنف فقد امتد نفسه في الغزل وقد صدق عاطفته فيما قال .
قالوا إنه شاعر غزل ظريف مطبوع لم يكن يتتجاوز الغزل إلى مدح ولا هجاء .
ولذا كاد يكون شعره غناء يطرب الأفئدة ، ويستهوي القلوب .

(١) النَّى أَضَنَاهُ الْعُشُقُ . (٢) الْأَمَى : سِرَّةُ فِي الشَّفَةِ . (٣) دِيْوَانُ الْبَحْتَرِي
مطبعة هندية ١٩١١ ج ٧ من ١٩٣

وقد ترى صدق العاطفة ، وحرارة الغزل في هذه الآيات :

سلبتي من السرور ثيابا وكستني من المموم ثيابا
 كلما أغلقت من الوصل بابا فتحت لي إلى المنية بابا
 عذيني بكل شيء سوى الصدود فاذقت كالصدود عذابا

ويقول :

أبكى الدين أذاقوني مودتهم حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
 فأنت ترى من هذا كله أن العصر العباسي لم يكن كالعصر الأموي فيما خلف لنا
 من آثار في الغزل ، وفيما نهجه من هذه الآثار .

أما الغزل العذري فلا نراه في هذا العصر .

وأما الغزل الصناعي فنراه بين كثير من الشعراء .
 والغزل الماجن نراه بكثرة في هذا العصر .

وقد عرفت فيما سبق الأسباب التي دعت إلى انتشار الغزل الماجن وخاصة بين
 الشعراء الموالى ، وأود في هذه المناسبة أن أوجه نظر القارئ إلى أن هؤلاء الشعراء
 الذين أكثروا من المجنون في شعرهم نشئوا في العراق حيث كان نفوذ الفرس والأعاجم
 قوى الأمر عظيم الجانب . فكان من الطبيعي أن ينساقوا في هذا المضمار ، وأن يتأثروا
 بما حمله إليهم الفرس من لهو وعبث ومجون .

أما من لم تزل أقدامهم ولم تقع أيديهم في هذا العبث فقد نشئوا بعيدين
 عن العراق ، بعيدين عن مواطن الفتنة والفساد .

نشأ في العراق : بشار ، وأبونواس ، ومسلم بن الوليد ، وأبو العناية ، وسلم ،
 وسحاد ، ومطبيع ، وحسين بن الصحاك ، وابن الرومي .

ونشأ أبوتمام في قرية جاسم قرب دمشق . والبحترى في مَدْيِج من قبائل البدو
 الضار بين بين حلب والفرات ، ولأنم وهو فتى أبا تمام . والتنى ، وإن كان قد ولد

بالكوفة ، ولكنها خرج إلى الشام وهو في العشرين من عمره ، وعاش في بادئته «بني كلب» فترة طويلة من الزمن تذوق فيها لغة البداوة ونشأ أبو العلاء في معرة النعمان بين حلب وحماء .

في العصر الحديث :

بعد أن سلك الغزل في العصر العباسي هذه الأدوار التي ذكرناها وبسطناها في شيء من الإجمال جاءت عصور على الأدب لم تكن زاهرة ، بل كانت جامدة مقرفة ، جمود الحياة التي كانت تحياها الأمة العربية في هذا الزمن ، وإفقار العيش الذي كان يرفرف على العرب في هذه الحقبة .

كانت فترة من الضعف والتدهور السياسي والاجتماعي تبعهما ضعف وتدحرج في الأدب ، وفي الغزل . وفي مثل هذه الظلال لا تعيش حياة الغزل ، وهي باسمة ناعمة مشرقة الجبين ، وضوءة الخيل .

حتى جاء العصر الحديث وهبت على بلاد العرب نسمة من اليقظة والبعث والحياة ! بدأ العربي في كل بلد ينفض عن عينيه غبار الظلم والنذل والاضمحلال . تفتحت عيناه فوجد العالم في رق وحضارة ، ووجد العالم في علم وفن وأدب ، ووجد العالم يرفل في ثياب من السعادة والهناء .

فلم لا يأخذ حظه من هذه الحياة ؟ وهو السباق ذو المجد المؤجل ، والمدنية العربية التي اغترف منها هذا العالم ، حتى وصل إلى هذه الحال من رق وسمو وسؤدد .

وكان أنت طلع نور المدنية الأوربية على بلاد الشرق ، وحمله إلينا رسل العلم من مدارس وأساتذة وبعوث وكتب وصحافة . واتسعت هذه الرسالة وتجددت في مظاهر مختلفة حتى أصبح لنا من الأدب العربي تراث نحتذيه ، ونتأثر به ، ونسق منه كثيراً من صور العيش الذي يطلانا ، وأخذنا نقرأ من الأدب الغربي ونترجم من الأدب

الغربي حتى أصبحنا إلى هذه الحال التي نحن الآن عليها ، تلك الحال التي دعت كثيراً من المفكرين إلى أن ينادوا بالوقوف إلى ما وصلنا إليه ، وعليينا بعد ذلك أن نستثير ما بين أيدينا من أدب وفن ، وأن نخرج منه صورة تلأم عصرنا ، وتحيى إلينا الفكرة النشطة والحياة العريقة ، والعيش الناعم الباسم ، وأن تكون هذه الصورة عنواناً لنا ورماً يمثل ما نصبو إليه من رفعة ووثبة وجد .

وكان من الطبيعي أن توجد حولنا في هذا العصر حياة أدبية خاصة ، وأن يكون لنا طابع من الاستقلال في هذه الحياة .

ومن أسباب ذلك :

أن وجد لنا ملك ، ووجدت لنا سيادة ، ووجد لنا ظل من القوة والمنعة .
وفي ظلال القوة يعيش الأدب وتنمو أدب ، وفي ظلال الضعف يضمحل الأدب
وتذبل نضارته شبابه .

صحا الشرق من رقده ، وجاحد في سبيل حريته واستقلاله ، وخحي بالرخيص
والغالى حتى نال حظه في الحياة وحظه من الوجود .

وقادت في أقطار العرب ممالك وإمارات وحكومات ذات قوة وسيادة .
وحظى الشرق بملوك وحكام نابحين ، ملوكوا زمامه ، وسعوا جهد الطاقة في أن
يرفهوا عن شعوبه ، وأن يأخذوا بيدها إلى مدارك الرق والفلاح .
فالماروق : في مصر رمز الآمال ، ومعقد الرجاء يبعث فيها الحياة ، ويحيى إليها
أسباب الخير والسعادة .

وفيصل : في العراق تهفو إليه القلوب ، ويستمد منه الشعب العراقي النبيل معالم
القوّة والظلمة .

وابن السعود : في الحجاز يبني ملكاً موطد الأركان ، ذا عزة وسيادة وسلطان .
وشكري القوتلي : في سوريا يحكي النمار ويصون الحمى .

وبشارة الخوارى : في لبنان يرفع راية العروبة كريمه مجيدة ، ويسعى في أن يكون
لبنان رفيق الدرى شامخ البنيان .

ويحيى الامام : عاهم اليمين ، ورمز القوة فيها والحياة .

أولئك فرسان صناديد وعرب أمجاد يسرى في عروقهم دم العروبة نقىأبيا ،
صافيا من هوا ، فيذكرون حياة الآباء والأجداد ، ويزكرون ما كان لهم من صول
وسلطان ؟ وما كان لهم على المدنية من أياد وآثار ، فيتأخرون في سبيل مجد العروبة ،
ويتنادون إلى تلبية نداء الحق ، نداء الحرية ، نداء الشرف ، فيلبون النداء .

وما أكرم نفس العربي ! يندو عن الحمى ويدفع العدوا .

إذن وجد للعرب كيان بعد أن تمزقت صفوفه ، وتواترت معالمه ، ووجد لهم ملك
يستظلون بظله الوارف ، ويستمدون من سلطانه القوة والجبروت .

وإذن أخذت تقوى أسباب الحياة في كل قطر : فانتشر التعليم وأزدهر العمل
وانتشرت المطبع والصحف والمجلات .

وقويت آصرة الثقافة بين العرب في جميع الأقطار فتبادلو الكتب والصحف
والمجلات ، وتبادلو الأستانة رسول علم ونور وعرفان .

بل قويت إلى ما هو أبعد مدى فوجد الجميع اللغوى الملكي يضم رجالا
من الأقطار العربية ومن المستشرقين تجمعهم رابطة وثيقة ، هي خدمة الفصحى ، وخدمة
الثقافة العربية في أوسع صورة وأقوم طريق ، بل قويت إلى ما هو أبعد من الثقافة ،
قويت وامتدت إلى الروابط الأخرى التي يجب أن تسود بلا دأ شقيقة يقطنها أخوة
أشقاء . يجمعهم دم واحد ، ولسان واحد ، ودين واحد ، فلا بد أن يتشارفوا ويتآلفوا ،
ولا بد أن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه ببعض ، ولا بد أن يكون القوى عون
الضعيف ، وأن يكون الغنى رحمة للمحتاج ، وأن يكون الأخ عوناً لأخيه ، تقوى به
شوكته ، ويأمن به غواص العداون .

لذلك كانت الجامعة العربية تجتمع تحت لوائها رجالات العرب ، فيسعون ويعملون
ما فيه خيرهم وفلاحهم وصلاحهم .

وها هي ذى روابط الود والإخاء تزيد على مر الأيام وقوى آخرتها ، وفي كل
يوم نرى من ثمارها ما يبشر بتحقيق الآمال .

وطالما رأينا ملوك العرب يجتمعون ويُضفي اجتماعهم على العرب الخير والمعروف .
تلك هي حال العرب في هذا العصر .

حرية كسبوها بعد طول جهاد .

وملك يهيئون أسلوبه ، ويوطدون دعائمه .

ووحدة تظلمهم في كل جمٍ ، وترتبطهم في كل ناد ، فتفوز كلّهم لأنّها كلمة الحق ،
وتعلو رأيّهم لأنّها رأية العدل والسلام .
ويقطة في العلم ، يقطة في السياسة ، يقطة في العمار ، يقطة في كل مظاهر
من مظاهر الحياة .

ومن الطبيعي والأدب مرآة العصر وترجمانه – أن تشمل هذه اليقطة فنون الأدب .
ومن الطبيعي أن يمثل الأدب صور هذه الحياة ، وما فيها من ملك وقوة ، ونهضة
ووحدة ، ونور ومعرفة .

ولا أريد أن أبتعد في حديثي عن الغزل .

فلا تتحدث عنه بعد أن ذكرت هذه الإلمامة عن حال الأدب في هذا العصر . ولابد
من ذكر هذه الإلمامة لأن الغزل مرتبط بالأدب ، وبالحال الاجتماعية برباط قوى وثيق .

ما دواعي الغزل في العصر الحديث ؟

ومن شعراه الغزل في العصر الحديث ؟

وما أغراض الغزل في العصر الحديث ؟

هذه ثلاثة أسئلة . ولابد لكل سؤال من جواب .

هذه الأُجوبة قد تطول ، فيتسع أمامها مجال القول . وقد تخرج بنا هذه السعة عن المدى الذي رسمناه لأنفسنا .

فلنجزئي ، قدر الإمكان حتى يكون هناك تكافؤ بين المصور ، وحتى يكون هناك مجال للبساط والبيان لمن شاء البساط والبيان .

رواغي الغزل في العصر الحديث :
ذكرنا من قبل دواعي الغزل .

فلنلخص هذه الدواعي . ولنطبقها على هذا العصر .

ماذا زاد ؟ وماذا نقص ؟ وما السبيل إلى هذه الزيادة ؟ وما السبيل إلى ذلك النقص ؟

قلنا من دواعي الغزل :

١ — بيئه العربي وطبعه :

أما البيئة وإن لم تكن في جميع الأقطار صحراء مشرقة الجبين ، وضوءة الخيال ، فإن في الكثير الغالب من بيئه هذه الأقطار ما يدعو إلى صفاء الذهن ، ورقة الحس ، وبجمال العاطفة .

في بيئه كثير من هذه الأقطار الطبيعة الباسمة الطربة . فيها صفاء السماء ، ورقة الماء ، وخضراء النبت والزرع .

وهذه أسباب تدفع المرء إلى أن يكون غزلا ، وأن يكون في عيشه طرباً .
أما طبع العربي فلا يزال — وإن كانت قد أدت عليه أحداث — يميل إلى أن يأنس إلى المرأة ، وتأنس المرأة إليه في ظلال من الود ، والمطاف والحب .

٢ — اختلاط الرجل بالمرأة :

لم تكن المرأة العربية محتجبة في منزها ، فكانت تلقى الرجل ، وكان الرجل يلقاها .
وذكرنا من أسباب اللقاء المرعى ، والتزاور والاستسقاء ، ومواسم العرب .
تطور هذا العامل تطوراً حساساً . فلم يعد المرعى عاملاً من عوامل الغزل .

وَالآنْ قَدْ يُلْقِي الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فِي الْمَرْعَىِ . وَلَكِنْ لَا يَقُولُ عَنْ هَذَا الْلَّقَاءِ غَزْلٌ .
لَأَنَّا بَعْدَنَا كَثِيرًا عَنِ الشَّاعِرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَلَمْ نَصْبِعْ شُعُراءً بِالْفَطْرَةِ وَالسُّلْيَّةِ ،
كَمَا كَانَ الْعَرَبُ ، فِي كَثِيرٍ مِنِ الْعَصُورِ الْمَاضِيَّةِ ، بَلْ أَصْبَحَ الشِّعْرُ عَلَمًا وَصَنْاعَةً ، وَهِيَاتٍ
أَنْ يَحْيِيْهَا مِنْ يَنْتَجُهُنَّ السَّكَلًا وَالْمَرْعَىِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ !

وَمِثْلُ ذَلِكَ الْاسْتِسْقَاءِ إِذَا أَصْبَحَ غَيْرَ قَائِمٍ فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ ، وَقَدْ وَجَدْتُ
وَسَائِلَ كَثِيرَةً يَحْصُلُ بِهَا الْمَرْءُ فِي رَحِيلِهِ عَلَى الْمَاءِ . أَمَّا التَّزَوُّرُ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ مِنْ وَسَائِلِ
لِقَاءِ الْمَرْأَةِ بِالرَّجُلِ ، وَالرَّجُلِ بِالْمَرْأَةِ ، وَقَدْ يَلْتَقِيَانِ فِي إِحْدَى الْزِيَارَاتِ ، فَيَلْتَقِيَ قُلُوبَهُمَا ،
وَتَتَلَاقِي نَبَضَاتُ قُلُوبِهِمَا ، وَيَلْتَقِيَ إِشْعَاعُ نَاظِرِيهِمَا ، فَإِذَا وَجَدَ هَذَا لِسَانًاً مِنَ الشِّعْرِ
قُويًا فَتِيًّا ، حَدَّثَكَ حَدِيثُ الْغَزْلِ الرَّائِعِ الْجَمِيلِ .
أَمَّا مَوَاسِيمُ الْعَرَبِ فَلَمْ تَعُدْ كَمَا كَانَتْ .

كَانَ الْحِجَّ مَوْسِمُ الْعَرَبِ الْأَكْبَرِ ، وَكَانَ مَثَارًا لِإِذْكَارِ رُوحِ الشَّاعِرِيَّةِ فِي نَفْوسِهِمْ
وَقَدْ قَرَأْتُ فِيهَا سِبْقَ كَيْفَ أَوْحَى الْحِجَّ إِلَى كَثِيرٍ مِنِ الشُّعُّرِ كَثِيرًا مِنِ الْغَزْلِ الرَّقِيقِ
لِأَنَّهُمْ رَأُوا الْمَرْأَةَ فِي هَذِهِ الْمَثَابَةِ الْكَرِيمَةِ ، فَذَكَرُوا حَسَنَهَا وَجَاهَهَا ، وَكَأُمُّهُمْ بِذَلِكَ
يَذَكُّرُونَ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ هَذَا الْبَدْعَ مِنَ الْحَسْنَ وَالْجَهَالِ ، وَكَأُمُّهُمْ بِذَلِكَ وَهُمْ يَصْفُونَ
بِأَرْوَاحِهِمْ إِلَى نَسِيَانِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَصْفُونَ بِمَا طَقْتُهُمْ فَيَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْمَرْأَةِ حَدِيثًا
حَلْوًا جَيِيلًا .

وَفِي الزَّمْنِ الْمَاضِيِّ كَانَ الْعَرَبُ فِي مَوْسِمِ الْحِجَّ يَتَجَهُونَ إِلَيْهِ جَمِيعًا رَجَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ
حُكَّامَهُمْ وَمَحْكُومَهُمْ ، أَغْنِيَاهُمْ وَفَقَرَائِهِمْ ، شَيِّهُهُمْ وَشَيَّابَهُمْ .
أَمَّا الْيَوْمِ فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ .

وَمَا سَمِعْنَا ، وَلَا حَمِلَ السَّمْعُ إِلَيْنَا أَنْ شَاعِرًا فِي عَصْرِنَا هَذَا رَأَى مَا رَأَى عُمَرُ بْنُ
أَبِي رَبِيعَةَ فِي تَلْكَ الْعَرَقِيَّةِ الْحَسَنَاءِ ، فَأَوْحَى إِلَيْنَا مِنْ شِعْرِهِ مَا أَوْحَى عَمَرٌ .
وَلَسْتُ أَدْعُوكَ إِلَى اطْرَاحِ الْحِجَّ إِذَا أَنَا ذَكَرْتُ الْوَاقِعَ ، بَلْ أَرْجُو أَنْ يَعُودَ الْحِجَّ

كما كان تتجه إليه الفتاة الغضة الناضرة ، والفتى الغض الناضر ، أو يتوجه إليه الجميع
لأفرق بين الشيوخ والشباب ، ولا بين الأغنياء والفقراة ، ولا بين المترفين والمعدمين ،
ولا بين الزعماء والمتزعمين ، ولا بين الشعرا وانخطباء والكتاب ورجال العلم
والفقه والقانون .

إذن لأُفدى من الحج فائدة عظيمة واتخذنا منه دروساً نافعة وانتظمت من جموعنا
فيه مؤتمرات تتدارس فيها أمورنا ، ويتلاقى فيها نتاج عقولنا ، وكان لنا من كل ذلك
خيراً خيراً

ولا شك أن الشعر ومنه الغزل يجد مادة خصبة في هذا المجال ، فإذا رأى الشاعر
الغزل ، ذو الحس المرهف المرأة الباسمة الفاتنة جرى خياله وراء حسنه ، فزيده وصوّره ،
وآخر لنصورة حية مؤثرة ، قد تتفوق بعض الصور في المصور الماضية ، لأنّه زاد عليها
خيالاً جديداً ، وزاد عليها عقل جديداً ، وزادت عليها ألوان من الحياة ، لم تكن قائمة ،
فأصبحت اليوم في قوة ونمو وازدهار .

على أننا إذا عدمنا ما كان عند العرب من موسم اللقاء وما يكون ثمرة لهذا
اللقاء من غزل رفيع ، ومن ثروة في الغزل ، فإننا لا نعدم في وقتنا الحاضر ما يكون كالحج
وسيلة من وسائل لقاء الرجل المرأة واستئثاره شاعريته ، بما ولهها الله من حسن
وفتنه وجمال .

تلك هي مواسم الاصطياف .

إن كان الاصطياف على شاطئ البحر رأيت أسراباً من الغيد الحسان ، رائحات
غاديات ، أو جالسات يستمتعن بالظل ، وهواء البحر ، أو عائدات ساحرات ، يسرن بين
طبقات الماء القريبة أو البعيدة ، ويتواجن مع الأمواج ، ويداعبن نسيم البحر ، والبحر
أليس محبوب ، قد يكون وادعاً فيأنسن إليه ، ويرضى بهذا الأنس فترة من الزمن ،

وقد يكون ثأراً فيثأرن لأنفسهن منه، ويرضى كذلك بهذا الثأر، فهو ثأر من لاقوه له ولا خوف منه، وهو كذلك يكون ضرباً من ضروب التسلية والسرور.
أليس ذلك من بوعاث الغزل؟

بلى.

إن ذلك يثير في الرجل العادى أن يتأمل وأن ينظر، وأن يسوقه التأمل والنظر إلى الإعجاب، وتقدير هذا المجال، وقد يسوقه ذلك أيضاً إلى أن يحمد الله الذى خلق فصور، وأحسن الخلقة والصورة.

فما بالك بالرجل الأديب؟، الذى يصوغ الوزن والقوافي، والذى رق قلبه وصفا وجداه وقويت حساسيته، وقرأ في الشعر العربي صور الخيال وعرف في الشعر العربي ضروب الغزل.

إنه لا شك يحدثنا عن هذا حديثاً قوياً جداً.

ولا شك أن شعره يحمل إلينا صورة من هذه الحياة الجميلة الجذابة. وقد يجمع الله بين قلبين تعارفاً في هذه البيئة وتحاباً، وقد يجعل الله في هذين القلبين روحًا من الشاعرية. وفي هذا المجال من الشاعرية يقوم الغزل ويقوى، ويضفي علينا ألواناً من روائع الشعر، تصور هذه الحياة أجمل تصوير، لنسعد به ونأنس إليه. وإن كان الأصطيفاف في مكان آخر فيه الطبيعة تزهو، والماء يجري، وفيه الربوات تزدان بالأشجار والأشجار. رأينا أيضاً جماعات المصطافين لا حرج بينهم ولا تثريب، يجتمعون ويأتلفون، ويتسامرون، ويلتقى الفتاة بالفتاة.

والعرب في أي قطر كانوا يرتحلون حيث يجتمعون في الصيف على شاطئ البحر أو غيره، فيلتقيون في مكان واحد، ويتولد عن هذا اللقاء تعارف وتألف، وقد يتولد عنه ما يذكر هذا التعارف من علاقة ومودة.

على أن اختلاط الرجل بالمرأة في هذا العصر فاق كل عصر، فأصبحت الفتاة

تعلمت كالفق ، وأصبحت تخالطه في كثير من المجتمعات والمنتديات ، وأصبح يراها ويجلس إليها في دور العلم ، ودور الثقافة ، ودور الخيلاء ، والحدائق والمقاهي . وقد تفوض ما كان هنالك من حجاب ، يجدها أسيمة المنزل وقميضة المدار ، وتتفوض ما هنالك من قيود اجتماعية ، فأصبح المرأة مالاً ل الرجل ، حتى في الحقوق السياسية تقوم الآن صيحة جديرة بالتبني في أن يكون لها في هذه الحقوق مثل الرجال .

وقد يكون للبيئة الغربية وتأثير العرب بهذه البيئة أثر في هذا الذي وصلنا إليه من اختلاط الرجل بالمرأة ، ولست بعذد بيان ما لهذا الاختلاط من أثر حميد ، أو غير حميد . ولكننا بعده موضوعنا ، وما يتصل به من أثر الاختلاط في الغزل . وكيف أفاد الغزل من هذا الاختلاط .

لا شك أنه أجدى كثيرا .

ولو نشر الشعراء ما عندهم من هذا الأثر ، ولو نشر شباب الشعرا ما عندهم ، ولم يتعرجوا ، ولم ينشوا جانب العتب واللوم ، ولم ينشوا جانب الشمير ، وما يجره على المحبوبات من أمور كثيرة . لو نشر الشعراء ذلك لم يجدت ما لهذا الاختلاط من أثر في الغزل ، ولوجدت ل الغزل في هذه الناحية مجالاً فسيح المدى .

٣ - أسرار الرُّب :

قلنا إنه كانت العرب أسواق في الأدب ، كانوا يتناولون فيها الشعر ، وكانوا يجودونه ، ويتسابقون في هذه الجودة . وينصبون بينهم من يحكم لسابقين الجودين . وقد تدرج العرب في هذه الأسواق ، وتنوعوا . وهناك أسواق عامة ، يجتمع فيها الشعراء ، من كل مكان ، وكانت لها أوقات محدودة . وهناك مجالس خاصة . يجتمع فيها طائفة من رجال الأدب وعشاقه . يتتسرون ، ويتأشدون الشعر ، ويتدارسون أخباره ونادره . وشعر الغزل كما قلت قريب إلى النقوس ، حبيب إلى الأفادة . وفوجدوا منه مادة لا ينضب معينها .

لم تعدم عصور الأدب هذه الأسواق . ولكن لم توجد بحال واحدة في هذه العصور ، ولم يكن أثراها واحداً في هذه العصور . بل اختلفت قوّة وضعفها ، واختلفت قلة وكثرة ، وتفاوتت مكانتها بين جمهرة الناس . وهي لا تزال في هذا الاختلاف ، حتى وصلت إلى عصرنا الحاضر .

فماذا نرى من الأسواق الأدبية؟

نرى بعض هذه الأسواق في صورة بسيطة تقام في دور العلم . وتقام في بعض المناسبات كتكريم شاعر ، فتشار صفحات شعره ، يتناولها الأدباء بالتحليل الدقيق ، والوصف الرقيق .

وكان العرب في قديم الزمن في حاجة ماسة إلى هذه الأسواق الأدبية ، إذ بعدت الشقة بينهم ، وتناثرت ديارهم ، فكانوا يتذمرون من هذه الأسواق مثابة لاجتماعهم ، ومثابة لنثر أزاهير أدبهم .

ولا شك أن هذه الطريقة آثارها وفوائدها . ومن الحسن أن نحذو حذوها في هذا العصر ، لأن فيها إذ كاء لروح التنافس ، وحفزاً لهم ، وبعثاً ليقظة الأدب . ويظهر أننا أحمسينا بهذه الحاجة ، فراح جماعة من أدبائنا يؤلفون رابطة أدباء العروبة . يرتحلون بين وقت وآخر إلى بلد ، حيث يرتفق منبر الخطابة والشعر جماعة من رجال العلم والأدب ، ويطللون علينا بصورة من شعرهم وأدبهم ، فيها ما هو حسن جميل .

والذكرى في ذاتها صالحة نافعة مشمرة .

ونحن أحوج ما نكون إلى إذ كاء روح الشاعرية والأدب في ثفوسنا . فحياة الأمم لابد لها في نهضاتها ووثباتها إلى روح من الأدب ، يذكر فيها الحياة ، ويذكر فيها اليقظة ، ويذكر فيها الإحساس بالوجود ، بل الإحساس بالعظمة والجلد .

الحاجة إلى هذه الأسواق الأدبية ماسة . وحسناً تفعل جامعته أدباء العروبة .
ولكن الأمر يحتاج إلى توجيهه ، وتنظيمه ، وبحث ، ودراسة .
أفهم أن تعقد هذه الجماعة أو غيرها من جماعات الأدب أسواقاً أدبية . يتبارى
فيها الخطباء والشعراء في موضوع معين . يتناولونه جميعاً بالبحث ، والدرس . والبيان .
ويحيط الفائزون السابقون مكافآت ، وينشر بين الناس نتائج قرائحهم .
ولا يخفى ما في هذا من تشجيع ، وإذكاء لروح الأدب بين كثير من الناس .
وأفهم أن يعقد لواء الأدب ، فيترك الخيار للخطيب أو الشاعر فيما يقول . وحينذاك
يتناول حديثهم شتى الموضوعات . ومن أحسن الاختيار ، ومن هز الأفادة ، ووصل
إلى موضع الرضا من نفوتنا كان جديراً بالسبق والتقدير .

ولو اتسعت هذه الأسواق ، وانتظمت في فترات معينة من السنة ، والتآمت
في كل فترة في إحدى عواصم الأقطار العربية . ولو ترك الخطباء يقولون ويتحدثون
فيما يسوقنا إلى الخير ، ويدفعنا إلى الحياة الكريمة . ولو ترك الشعراء يكشفون لنا
عن خلجانات قلوبهم . لهذا يصف ، وذاك يمدح ، وذلك يتغزل — إذن لـ كانت لنا
من هذه الأسواق حياة رفيعة ، وسلطان في الأدب منيع .

هذا وإن أسواق الأدب وجدت في عصرنا الحاضر ، ولكن في صور أخرى .
فالصحف ، والجلات ، والمكتب ، والمذيع — كل هذه أسواق أدبية .

نقرأ في جميعها ، ونسمع في جميعها صوراً أحية من الأدب ، وصوراً حية من شتى الفنون .
أما الصحف — وأعني الصحف قبل هذه الحرب ولما تهيأ لها الفرصة الآن —
فإنها كانت تخصص صفحة من صفحاتها للأدب . وفي هذه الصفحة نقرأ أولاً
من الشعر ، في مختلف الأغراض ، وشعراء كثيرون من جميع الأقطار العربية .
ونرى هذا في الجلات . ولكن في صورة فسيحة المدى ، دققة الأمر .

والكتب الأدبية كثيرة متنوعة . دفعها يراع الكاتبين والأدباء ، فنشروا

في صفحاتها فصولاً من الأدب ، وفصولاً من الشعر . فيها ما هو حسن جليل ، رائع مؤثر .
والمذيع نسمعه في كل يوم ، وفي كل مكان . نسمعه في البيت والمدرسة ،
ف الشارع والمنتدى .

نسمع ونحن في مصر صوت العراق ، وصوت الشام ، وصوت فلسطين ، بل
أصواتاً عربية في جهات أخرى ، وفي بمالك أخرى .
ولالشعر ، وللغزل حظ عظيم مما نسمع .

ولو وجد في المذيع توجيه سليم لكان خير المنابر ، يوحى إلى الناس غذاء العقول
والقاوب . وكان سوقاً أدبية لا يمكن أن تجاريها سوق أخرى ، من حيث الزيوع
والانتشار ، ومن حيث الفائدة وحسن التأثير .

أما الصحف والكتب والجلالات فقد كثرت ، وانبسطت تبعاً للطبعاعة التي وصلت
في تقدمها إلى حد بعيد . والمذيع أصبح قائماً من عهد قريب . ولكن ألي في هذه
الناحية البلاء الحسن ، وقدم لنا خيراً ما يقدم من دروس . وأعتقد أنه سينمو أثره
في المستقبل ، ويزيد نفوذه ، وخاصة عند تعليم — التليفزيون — .
هذه ولا شك أسواق أدبية .

وهي الآن في هذه الناحية مفيدة نافعة . وستكون بعد الحرب أكثر فائدة وفعلاً ،
إذ يحتاج القارئ إلى مزيد من الأدب . والسامع إلى مزيد من غذاء القلب والروح .
وهنالك سوق أدبية أخرى ، كثيرة الرواج ، بعيدة الانتشار . تلك هي
الشاشة البيضاء .

كم نرى فيها من المشاهد !
وكم نقرأ فيها من شعر الغزل !
وكم نرى فيها من حوادث الغزل !
وكم يشجعون فيها غناه الغزل !

ونتأثر نحن ، وتهتز قلوبنا بما نسمع ، ونقرأ ، ونرى .
ومن هذا كثير .

ومن هذا . قيس وليني ، ومحمدون ليلي ، وعنترة وعبدة
وتقوم كذلك فرق التمثيل بكثير من الروايات . فيها غزل ، وفيها شعر غزل ،
وفيها غناء غزل .

٤ — مظاهر الترف :

قلنا إن الترف من دواعي الغزل . وذكرنا مظاهر الترف : من شباب ،
وجوار ، وغناء .

وما حظ عصرنا هذا من تلك الدواعي ؟
إن شباب الأمة العربية لم يكتمل بعد .

ففي عهد قريب كسرت قيود النزول والاستبعاد . ومنذ عهد قريب نالت حقوقها
من الحرية والاستقلال . وهذا هي ذى تعد العدة لبناء مكانها من العالم ، واستكمال
ما يتطلبه شبابها من عدة وعتاد ، ومن ثروة وغنى ، ومن علم ومعرفة ،
ومن رق وحضارة .

ولا أعني بهذا أن الأمة العربية في وقتنا الحاضر ليس فيها أدب ، وليس فيها
شعر . بل أعني أن الأمة العربية في دور اليقظة والتكون ، وهي حين تصل إلى عهد
الشباب ، وستحصل إليه بعون الله وتوفيقه في يوم قريب — يكون لها لون من الأدب
يفوق كثيراً ما نحن عليه الآن .

ولا يمكن أن يستوي عود الأدب إلا بعد أن يستوي عود الحياة .
وعود الحياة في بلادنا العربية لا يزال غض الإهاب ، لم يتماسك بناؤه ، حتى
يشق طريقه إلى الوجود ، شامخ الرأس ، موفور الكرامة . والعرب يسعون الآن
في أن يصونوا هذا العود من عبث الأهواء والأذناء ، حتى يتم بناؤه ، وثبتت دعائمه .

والجواري :

لاحظنا فيهن ، إذ أصبح الناس جمِيعاً أحراراً لا فرق بين سيد ومسود ولا مالك أو ملاوك .

والغناء :

وقد وصل في عهدها الحاضر إلى درجة عظيمة ، داع وانتشر ، حتى طغى على كل شيء ، وأصبحنا نعيَّب أنفسنا على هذا الطغيان ، طغى على ما هنالك من فنون الأدب ، ومن فنون الحياة ، ومن ألوان الحياة .

ومن الحق أن يكون له المقام الأول ، ولكن ليس من الحق أن يكون له كل مقام .

يحمل الغناء إلى أذنك ، وإلى قلبك المذيع ، والشاشة البيضاء . وفي دور التمثيل والخلفات العامة نسمع الشيء الكثير .

وأصبح لغناء في نفوسنا منزلة كبيرة كريمة .

وإذا شئت أن تعرف ما للغناء من منزلة في نفوس الناس فعليك أن تشهد رواية غنائية على الشاشة البيضاء ، وفي دور التمثيل ، وعليك أن ترقب الناس وهم يجلسون إلى المذيع يستمعون إلى بعض الأغاني ، إنك تجد شيئاً عجيباً غريباً ، تجد إقبالاً وتهافتاً ورغبة وحنيناً ، تجد ذلك كلها من جميع الناس لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ، ولا بين جاهلهم ومتعلمهم .

وعرف القائمون بالأمر هذه الرغبة الملحة ، فعملوا على إشاعتها ، أو على إروائهما بما يخرجون في كل يوم من أغان ، وما يخرجون من روايات في دور الخيالة أو التمثيل ، وما يطلع به علينا المذيع في كل ساعة من أغان كثيرة الألوان ، مختلفة الغايات . وسعد الغناء بطاقة من المغنيين والفنانات ، مازهم الله بالصوت الحسن ، واللحن الجميل ، والموسيقا الجذابة .

سعد الغناء : بأم كلثوم ، ونادرة ، ونجاة ، وملّك ، وأسمهان ، وفتحية أحمد ،
وليلي مراد ، وسعاد زكي ، ونور المدى ، ولور دكاش .

كل سعد : بمحمد عبد الوهاب ، وصالح عبد الحفيظ ، ومحمد عبد المطلب ،
وعلى محمود ، وعبد الغنى السيد ، وفريد الأطرش ، ومحمد الكھلاوى .

إن من بين هؤلاء من إذا سمعته أشجاك ، وهز فيك المشاعر ، وانتقل بك
إلى عالم آخر ، فيه تزهو ، وتعجب ، وتطرف .

وإنه ليساعد على روعة الغناء في هذا العصر فوق جمال الصوت ، وحسن النغم ،
ماوصلت إليه الموسيقا من تقدم ورقى .

أما مادة الغناء فأكثرها في الغزل ، والأمر ما كان كذلك . ذلك لأن الغزل
كما قلنا قريب إلى النفوس ، يشير فيها مواضع الإعجاب والحساسية ، وأنه وجه الحياة
الضاحك المشرق ، والإنسان يميل إلى كل ما هو ضاحك طروب ، وأن مشيرات
الرضا في الغناء الغزلي كثيرة متعددة : قوة الغناء ، وقوه المعانى ، وقوه الموضوع ،
ولاشك أن الصوت الجميل يستهوى القلوب ، ومعانى الغزل تطرب لها الأفئدة ، وموضوع
الغزل تهفو إليه الطباع ، ويتم للإنسان بذلك لون جهيل من اللذة ، والفرح ، والسرور .

وتعال معى لنقرأ ونسمع شطراً من هذه الأغانى :

أم كلثوم :

لغني :

أمّا الهوى نهى ولكن مثلّي لا يذاع له سر وأذلت دمعاً من خلاقه الكبير إذا مت ظمآنًا فلا نزل القطر إذا هي أذكتها الصباية والفكـر	أراك عصـى الدمع شيمـتك الصبر نعم أنا مشتاق وعندـى لوعـة إذا الليل أصـوانـى بـسـطـتـ يـدـ الهـوى معلـقـى بالـوصـلـ والـموتـ دونـهـ تـكـادـ تـضـيـ النـارـ بـيـنـ جـوانـحـى
---	---

قتيلك قالت أئهم فهم و كثـر
فقلت معاذ الله بل أنت لا الدهـر
وإيـاـيـ لـوـلاـ حـبـكـ المـاءـ والـخـمـرـ
لـهـ الـذـنـبـ لـاـ تـجـزـيـ بـهـ وـلـىـ العـدـرـ

فـقـلتـ كـلـاـ شـاءـ لـهـ المـوـىـ
فـقـالـتـ لـقـدـ أـزـرـىـ بـكـ الدـهـرـ بـعـدـنـاـ
وـحـارـبـتـ أـهـلـىـ فـيـ هـوـاـكـ وـأـهـمـهـ
وـعـدـتـ إـلـىـ حـكـمـ الـغـرـامـ وـحـكـمـهـاـ

وـتـغـنـىـ مـنـ شـعـرـ الـأـسـتـاذـ أـحـدـ رـاميـ :

أـذـكـرـيـ كـلـاـ الطـيـرـ شـداـ
يـنـصـتـ الـزـهـرـ إـلـىـ أـنـفـاسـهـ

* * *

قـدـ ظـلـلـتـ الـيـوـمـ أـبـكـيـ
مـرـسـلـاـ فـيـ الـجـوـ أـخـانـ الصـفـاءـ

وـشـدـاـ الطـيـرـ وـغـنـىـ
فـيـحـيـيـهـ يـلـشـرـ وـأـخـنـاءـ

* * *

فـنـذـكـرـتـ الـذـىـ طـافـ بـسـمـىـ
إـذـمـرـجـتـ الـكـأسـ فـكـفـيـ بـدـمـىـ

وـهـفـاـ قـلـبـيـ مـنـ طـولـ أـنـيـنـىـ
فـارـجـىـ دـمـىـ وـغـنـىـ وـأـذـكـرـيـ

وـمـحـمـدـ عـبـدـ الـوـهـابـ :

يـغـنـىـ مـنـ شـعـرـ الـمـرـحـومـ أـحـمـدـ شـوقـيـ :

تـلـفـتـ ظـبـيـةـ الـوـادـيـ قـلـتـ لـهـ
لـلـلـلـيـلـيـ :ـ مـنـادـ دـعـاـ لـيـلـيـ خـفـ لـهـ

لـلـلـلـيـلـيـ :ـ نـدـاءـ بـلـيـلـيـ رـنـ فـيـ أـذـنـيـ

لـبـلـيـلـيـ :ـ تـرـددـ فـيـ سـمـىـ وـفـيـ خـلـدـيـ

هـلـ الـنـادـونـ أـهـلـوـهـاـ وـأـخـوـهـاـ

إـنـ يـشـرـكـوـنـ فـيـ لـلـلـيـلـيـ فـلـاـ رـجـعـتـ

أـغـيـرـ لـيـلـلـاـيـ نـادـواـ أـمـ بـهـاـ هـتـفـواـ

لـاـ لـاحـظـ فـاتـكـ مـنـ لـلـيـلـيـ وـلـاـ الجـيدـ
نـشـوـانـ فـيـ جـنـبـاتـ الـصـدـرـ عـرـيـدـ

سـحـرـ لـعـمـرـىـ لـهـ فـيـ السـمـعـ تـرـدـيـدـ

كـمـ تـرـدـدـ فـيـ الأـيـكـ الأـغـارـيـدـ

أـمـ الـنـادـونـ عـشـاقـ مـعـامـيـدـ

جـبـالـ نـجـدـ لـهـمـ صـوتـاـًـ وـلـاـ الـبـيدـ

فـداءـ لـيـلـيـ الـلـيـلـيـ الـخـرـدـ الـغـيدـ

كسا النداء اسمها حسناً وحبيه حتى كان اسمها البشري أو العيد
ليلي : ترى أنا مجنون يخيل لي لا الحى نادوا على ليلي ولا نودوا
ويغنى من شعر الأستاذ على محمود طه المهندس — أغنية الجندول — ومنها :
أين من عيني هاتيك الجمال يا عروس البحر يا حلم الخيال ؟
أين عشاقك سمار الليالي أين من وادييك يا مهد الجمال ؟
موكب الغيد وعيد الكرنفال وسرى الجندول فى عرض القناال

* * *

بين كأس يتشهى السكرم خمره وحبيب يقمنى الكأس ثغرره
التقت عيني به أول مرة فعرفت الحب من أول نظره

* * *

فأنت ترى قدرا من هذه الأغانى . وترى في هذا القدر لونا من ألوان الغزل .
فأغنية أم كلثوم — أراك عمى الدمع شيمتك الصبر — تحدثنا عن كثير
من شؤون الغزل .

فذو الموى معنى بكثير من الأرzae والأهواe ، لا يستطيع لها صبرا . وذو الموى
دممه غزير هتون ، لا يستطيع له زجاً أو منعاً . وذات الموى متجمبة متعللة ، تمنيه
بالوصل والأمانى ، ولكنها لا تجود . يتوسل لها ، ويضرع إليها ، ولكنها تمعن
في الصد والهجران .

وهذا حوار جميل اطيف بين الرجل وهواد . يدل على كثير من معانى الغزل .
يقول الرجل :

أنا قتيلك .

وكان من الطبيعي أن تحمد فيه هذه التضحية ، وأن ترجمه ، وتحنون عليه . ويكتفى
أنه ذهب في جها إلى هذا المدى . والجود بالنفس أقصى غاية الجود .

وماذا يكون الجواب ؟

تفريطه هي ، وتقسو عليه ، وتشتت في الغيظ والقصوة ، وتقول له أى القتلى أنت ؟
إذن هام بها كثيرون ، وشفقوا حبا . بل وصلوا إلى أن أصبحوا قتلاها وصرعاها .
وليس هناك أقسى على المحب من أن تستهتر به الحبيبة ، وأن تظهر له أن كثيرين
يبادلونها عاطفة الحب . والحب غيمور مستثار .

وهذه حاله : سهد ، وألم ، وحرقة ، وعذاب . أضناه ذلك وأسفمه وأهلكه .
تتجاهل الحبيبة كل ذلك ، وتتجاهل أنها سببه ، وتقول له : لقد أزرى بك
الدهر بعذتنا .

ويقول الحبيب : معاذ الله . بل هي التي كانت سببا في ذلك كله . إنه يهواها
وفي سبيل هذا الهوى حارب أهله ، وهم لديه أحباب من المخ والماء .
وأغنية « اذْكُرِينِي » تحدثنا عن ألم الحب ، وصارته ، وما يوجيه من دموع
وأنين ، ومن لوعة واشتياق ، فهو يطلب أن تذكره ، وأن ترجمه .

وأغنية « محمد عبد الوهاب » - تلفت ظبية الوادي - تحدثنا عن بعض صفات
الحسن في الحبيبة من لحظ ، وجيد ، وأن اسمها حلو جميل ، حتى كانه البشري
أو العيد . ويصف الحبيب نفسه كأنه في حال جنون : يتخيّل من يناديها : ومن هم
المندون ؟ أهلها أو عشاق معاميده ؟ وهل يشرّكه في حبها أحد ؟ إن هذا بلاء عظيم .
وهل ليلى هذه التي نادوها هي ليلاه ، أو غيرها ؟ هذه ثورة تقاد تكون جنوناً ،
يعبر عن حالة نفسية ، تقع كثيراً بين الحبين .

أليس ذلك كله غزلا ؟

وأليس غزلا رقيقاً جميلاً ؟

على أن هذا الغزل وإن كان رقيقاً جميلاً ، ولكن الصوت الجميل الذي حمله
إلينا جعله أكثر رقة ، وأكثر جمالا .

إنك تعرف ما في هذا الغزل من حلاوة وجمال حين تسمعه من أم كلثوم ،
أو من محمد عبد الوهاب ، وأمثالها .

وإلى أسئل القارىء الكريم ماذا يكون حظ هذه الأشعار من الزيوع
والانتشار . إذا لم تحظ بمثل أم كلثوم ، ترددتها وتغنىها ، فتحي بها القلوب ، وتطرب
الأفلاة وتصبح بعد ذلك نجوى كل حبيبة وحبيب .

إن الألفاظ والمعانى تسعد وتشق ، كما يسعد الناس ويشقون ، والشعر يكون حظه
من السعادة إذا كان المعنى جميلا ، واللفظ سهلًا ، وحين يغنى وجه جميل ، وصوت جميل .
وعلة ذلك عند علماء علم النفس أن التأثير وصل إلى النفس في أكثر من حاسة ،
وصل التأثير من طريق الذوق ، والسمع ، والبصر .

أما النطق : فطريقه تذوق الألفاظ والمعانى .
وأما السمع : فطريقه النغم الحلو ، والصوت الجميل .
وأما البصر : فطريقه ما وهب الله المغنيات من حسن وبهاء .

* * *

هذه أمثلة من بعض الأغانى المصوحة باللغة العربية الفصحى .

وهناك سيل جارف من هذه الأغانى ، صيغت باللغة العامية ، ولا يأس أن أذكر
شطرًا منها :

أم كلثوم تغنى .

إنت فاكرانى والا ناسينى يا لى ظالمانى يا لى هجرانى

إنت فاكرانى والا ناسينى

الحنين فاض بي والبعد طول والهوى في قلبي زاد عن الأول

إوعى تفتكرى قابى يتتحول يا لى ظالمانى يا لى هجرانى

إنت فاكرانى والا ناسينى

إمّي يتمتع بالوصال قلبي
والزمان يسمح بالمنا في حبي
دا الفراق قاسي والشجن زادي
يا للي ظالماني يا للي هبراني
إنت فاكريني والا ناسياني

طال على الليل اشتكي وجدى
زاد على الويل في السهر وحدى
وانت ليه ترضي في الهوى بعدى
يا للي ظالماني يا للي هبراني
إنت فاكريني والا ناسياني

ارحمي قلبي واسألي عنى
الغرام ذله واشتكي مني
يا للي ظالماني يا للي هبراني
إمّي تصفي لي وابق متهنى

ولين مراد تغنى :

يا قابي اصبر على الأيام يمكن يعود صفووك تانى
عهد الهوى ذكراء أحلام يا قلبي إمّي تعيش هانى
يا قلبي اصبر على الأيام

آسيت في دنيا الحب كتير وليه يا قلبي طاوعت هواك
بعد الوفا ما لقيتش نصير ما شفت غير في الوحدة أساك
عهد الهوى ذكراء أحلام

حيثت وشفت اللي جرالك ظلمت ليه حال وياك
شريد ومين يرحم حالك وحيد ومين يسمع نجواك
عهد الهوى ذكراء أحلام

أبات وأنا وياك حيران واتمنى يوم يرتاح بالي
ما لقيتش غير جفني السهران ولا حبيب يبكي لحالى
عهد الهوى ذكراء أحلام

وأسمهان تغنى :

لای قلبی مال إلیه
 وانشعال فکری علیه
 واغنی لحن الهوى الجميل
 والقرب يحمل من غير عذول
 وزاد في قلبی المیلل
 أغنى من شدة وجدى
 والحب ظاهر في عیني
 يمکن فوائدك يرحمني

وَمُحَمَّدْ عَبْدُ الْمُطَلَّبِ^(١) يَغْفِي :

يا بو العيون السود يالى جمالك زين
 ميتي^(٢) الوداد يعود وتنول منهاها العين
 ميتي يا نور العين
 حبيبت وجلت^(٣) ياريت الحب يصف الى
 وياريت ما كنت هوبيت ولا كان على بالي
 ليه يا جمبل صدّيت شمت عـذالي
 يابوى يابوى يابوى

(١) هذه الأغنية على لسان رجل من أهل الصعيد - الوجه القبلي بمصر - وفي بعض لهجاتهم العامية ينطقون القاف جياماً كا ترى . (٢) أى متق . (٣) أى قلت .
 (٤) أى فلابي عشق قديك . (٥) أى قلبك . (٦) أى تقل .

وتشوف عيني بهاك واهنی من تانی

يا بوی يا بوی يا بوی

العين ضناها النوع م السهد وأنيسني

والجلب بات مجريح كان ليه تجافيني

ياللي معاك الروح بالجرب^(١) هنیني

يا بوی يا بوی يا بوی

* * *

وتعال معى لأترجم لك هذه الأغانى :

في أغنية أم كلثوم :

حبيب ينابي حبيبته ، التي ظلمته بهجره الله ، دون ذنب جنى . ينابيها ،
ويسائلها : أتذكريه ؟ كما يذكرها ، أو تنساه ، ويغيب عن قلتها ؟
ثم يذكر لها أن طال بعادها ، ومع ذلك فهو لا يزال يحن إليها ، ولا يزال هوها
في قلبه ، يزيد الفراق لوعة ، وشوقاً ، وغراماً .
والفارق فاس مرير . ومع ذلك فهو يصبر . ويدعو الله أن تدنو ساعة الوصال ،
وفيها الهناء والسعادة .

ليل الحبيب طويل . فيه ذكريات ، وفيه آلام ، وفيه وحشة ، وفيه سهاد .
هذه حال المحبوب . حال تتطلب من الحبيبة أن ترق ، وترحم ، فهو يتسلل
إليها ، حتى تصفعى إلى خفقات قلبها ، وتأسو جراحه ، حتى يعود إليها صفاء العيش .
وفي أغنية أسمahan :

يطلب الحبيب من النسيم أن يحمل سلامه إلى من مال قلبها إليه ، وأصبح فكره
بها كلها معنى .

(١) أي بالقرب .

فِي النَّهَارِ يَنْأِي طَيْفُهَا ، وَيَغْنِي لَحْنَ حَبْهَا وَهُوَا هَا ، وَيَعْنِي نَفْسَهُ الْآمَانِي ، لَمْ يَرَاها ، يَرَاها وَحِيدَةً ، دُونَ رَقِيبٍ أَوْ عَذُولٍ . وَفِي هَذَا خَيْرٌ مُتَعَدِّدٌ لِلْمُحِبِّينَ .
وَفِي الْلَّيْلِ يَزِيدُ وَجِيلِبُ قَلْبَهَا بِحَبْهَا . وَلَعْلَ ذَلِكَ يُدْفِعُهُ إِلَى أَنْ يَعْرُجَ عَلَى دَارِهَا ،
فَيَغْنِي غَنَاءَ الْحُبِّ ، وَيَشَدُّو شَدَوَ الْمُوْيِّ .

وَفِي أَغْنِيَةِ مُحَمَّدِ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ :

يَسَائِلُ الْمُحِبُوبِ الْحَبِيبِ :

مَتَّ يَكُونُ الْوَصْلُ ؟ وَمَتَّ تَقْرَئُ الْعَيْنَ بِلَوْغِ الْآمَانِي ؟ وَلَا أَمْنِيَّةَ لِلْمُحِبُوبِ
إِلَّا أَنْ يَلْقَى حَبِيبَتِهِ ، وَأَنْ يَصْفُو بِنَهْمَاهَا الْحُبِّ .

ثُمَّ لَا يَدْرِي سَبِيلًا لِصَدِ الْحَبِيبِ ، فَيَسْأَلُ عَلَامَ الصَّدُودِ ؟ ، وَفِي الصَّدُودِ شَمَاتَةُ الْعَذَالِ .
ثُمَّ بَيْنَ أَنْ يَعْشُقَ حَبِيبَتِهِ ، وَأَنْ يَؤْثِرَهَا بِهَذَا الْعُشُوقِ . فَهُلْ يَلْمِينُ قَلْبَهَا لَهُ ؟
وَهُلْ تَرْحِمُهُ : فَتَقْلِيلُ أَشْجَانِهِ وَأَحْزَانِهِ . وَهُلْ يَهْنَأُ بِهَا ؟ ، فَتَرْتِي عَيْنَهُ حَسْنَهَا وَبَهَاهَا .
ثُمَّ ذَكْرُ سَقْمَهُ فِي سَبِيلِ حَبْهَا : عَيْنٌ سَاحِرَةٌ ، وَقَلْبٌ جَرِيجٌ . فَلِمَ الْمُبْجَرُ وَالتَّبَاجَفُ إِنْ رُوحَهُ مَعَهَا ، فَلِمَ لَا يَهْنَأُ بِالْقَرْبِ مِنْهَا ؟ ، ذَلِكَ مَا يَشْتَهِي وَيَتَمَنِي .

* * *

هَذِهِ أَغْانٌ جَمِيلَةٌ حَقًا : جَمِيلَةٌ فِي تَصْوِيرِهَا ، وَفِي خَيْلَهَا ، وَفِي مَعَانِيهَا ، وَكَثِيرٌ
مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي عَرَضَ لَهُ الشُّعُورُ الْجَيِيدُونَ ، وَبِسُطُوهٍ فِي قَوَافِيْهِمْ ، وَبِعُضُّهُمْ جَدِيدٌ مُبْتَكَرٌ ،
وَخَاصَّةٌ فِي صُورَهُ وَأَخْيَلَتِهِ .

لَكِنْ يَشُوبُ جَمَالَ هَذِهِ الْأَغْانِي أَنَّهَا صَيْفَتُ بِالْلُّغَةِ الْعَامِيَّةِ ، وَقَدْ طَغَتْ هَذِهِ
الصِّيَاغَةُ عَلَى الْأَغْانِي فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ ، فَسَخَّنَتْ رُوتُهَا وَجَلَّهَا .

وَالْلُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ سَهْلَةٌ ، غَنِيَّةٌ مِيسَرَةٌ ، فَلِمَ لَا نَسِيرُ عَلَى نَهْجَهَا ، فِي كُلِّ أَثْرٍ مِنْ آثارِنَا
مِنْ حَدِيثٍ ، وَخَطَابَةٍ ، وَكِتَابَةٍ ، وَشِعْرٍ ؟

كَمْ نَوْدُ أَنْ يَرْتَفِعَ الْفَنَاءُ إِلَى مَسْتَوِيِّ رَفِيعٍ مِنْ حَيْثِ الصِّيَاغَةِ ، وَمِنْ حَيْثِ رُوعَةِ

المعانى . إذن لزاد جمالاً فوق جمال ، وزاد حسناً فوق حسن .
ويظهر أن هذا سببه ما نشكو من نقص في نسبة التعليم بيننا . وحين نصبح
جديعاً متعمدين ، بل حين نصبح جديعاً في درجة متقاربة من الثقافة والأدب نرتفع
بنفسنا عن أن نسمع غناء بغير اللغة العربية الفصحى ، ويرتفع المغنيات والمغنوون عن
أن يسمعونا غناء بغير اللغة العربية . لأن من الواجب أن توجد بين المغنيين والسامعين
صلة روحية في الفكرة ، واللغة ، والأسلوب :

وعيب تفشي الأممية بين شعوبنا العربية قد يكون من العوامل التي تؤخرنا
عن أن يكون لنا في هذا العصر أدب دائم رائع .
وقد يكون هذا هو الفارق بيننا وبين العرب في العصور الأولى .

العربي في عصورة الأولى كان يتذوق اللغة العربية ، وينتفهم معانها ، ويجرى بها
قلمه ، ويهتز بها لسانه ، ويصوغ القوافي سجية وطبعاً ، دون تكاليف ، أو تحمل أو إعفاء :
أما في عصتنا الحاضر ، فقد بعدها عن أن نجحى في هذا الميدان ، لما غلبتنا من
جهنة ، وبعجمة ، وما خالطنا من سيل جارف أجنبي ، وما وقع علينا من أحداث ، آلت
بنا إلى هذا الوضع .

هذا العيب تواصى الآن جديعاً على اطرافه ، لأنه لا يليق بكرامتنا ، ولا بما
نصبو إليه من مجده وحضارته أن يقوم بيننا ، وخاصة ونحن في عصر غالب ، والغلبة
فيه لم تسلح بسلاح العلم .

لابد من محاربة الأممية ، بل لابد من أن يتقارب الشعب العربي في درجة من
الثقافة ، لا تجعله متفاوتاً متنافراً . وحينذاك يقوى الأدب ، ويزدهر . وحينذاك
نجدد جمهرة من الشعراء ، وجمهرة من السامعين والقارئين ولا أبالغ إذا قلت إننا إذ
نصل إلى هذه الحال تكون بلا شك خيراً من العصور الأولى ، في كثير من الأخلاق
والآلفاظ والمعانى .

شعراء الفرزل في العصر الحديث :

غنى العصر الحديث بطاقة من الشعراء ، أضفوا على اللغة العربية ثروة من الأخيلة والمعانى .

واستطاع هؤلاء الشعراء ، وقد طفت على دولة الشعر غواصي الزمن أن يعيدوا لها مكانتها ، وقوتها ، حتى أصبحت الآن قاعدة البناء ، ثابتة الداعم ، وأرجو أن يتم لها في المستقبل القريب ما نصبو إليه جمِيعاً من رفة ومجدى .

ومن مشهورى متقدمى هؤلاء الشعراء .

الشيخ أمين الجندي الحمصى ، والشيخ شهاب الدين المصرى ، والشيخ خليل اليازحي ، وخليل الخورى ، وعبد الله باشا فكرى ، وعائشة التيمورية ، ومحمد باشا البارودى ، وحفنى ناصف ، واسمعيل صبرى .

وبعد هؤلاء ، غنى كل قطر عربى بطاقة من الشعراء .

فنـ شـعـراءـ مـصـرـ :

أحمد شوق ، وحافظ ابراهيم ، ومحمد عبد المطلب ، وخليل مطران ، وعلى الجارم ، ومحمد المراوى ، حسن القaiاتى ، وعباس محمود العقاد ، وأحمد راي ، وابراهيم عبد القادر المازنى ، وعلى القaiاتى ، محمود حسن اسماعيل ، وسيد قطب ، ومحمد الأسمري ، وعبد العزيز عتيق ، ويرم التونسي ، ومحمد عبد الغنى حسن ، محمود غنيم ، وزكي مبارك ، وعلى محمود طه ، وعلى الجندي ، والعوضى الوكيل ، وفائد العمروسى ، محمد الحناوى ، محمود عمار ، طاهر الجيلاوي ، طاهر أبو فاشا ..

ومن شـعـراءـ الـعـرـاقـ :

المعروف الرصافى ، جليل صدقى الزهاوى ، عبد الحسن الكاظمى ، محمد رضا الشبيبي ، محمد مهدى الجواهرى ، حبيب العبيدى ، خيرى المنداوي ، كاظم الدجىلى .

ومن شعراء سورية ولبنان :

خير الدين الزركلى، وشبل ملاط، وبشاره الخوري، وإيليا أبو ماضى، عمر أبو ريشة.

ومن شعراء المهجر بأمريكا :

ميخائيل نعيمه، جبران خليل جبران، حليم دموس.

ومن شعراء فلسطين :

إسعاف النشاشيبي، أبو الإقبال العقوبى.

ومن شعراء الحجاز :

أحمد عبد الغفور عطار، على أحمد باكثير، طاهر زمخشري.

ومن شعراء البحرين : إبراهيم العريض.

ولاشك أن هناك شعراء آخرين ، قد يكونون مجهودين لم نصل إلى "أخبارهم" ،
وليست لدى مصادر عن شعرهم ، ولبعذرني هؤلاء إذا لم أعرض إلى ذكرهم .
هؤلاء هم الشعراء عامة .

فأين منهم شعراء الغزل ؟ وأين حظ الغزل في شعرهم ؟

ولعل في بيان ذلك — إذا شئنا الإطالة والتفصيل — كثيراً من الصعوبة والمشقة .
وقد تدعونا الضرورة لهذه الإطالة إذا شئنا أن نتحدث عن الشعراء في العصر
الحديث ، أو عن شعراء الغزل في العصر الحديث — حديثاً خاصاً ، فائماً بذاته .
ولكننا نتحدث الآن عن تطور الغزل ، وتتحدث عن الغزل في ثلاثة كتب ، هذا أحدها .
فليكن حديثنا إذن مجالاً ، نعرض فيه العوامل ، والأسباب ، والنتائج ، ونذكر
أمثلة شعرية لهذا ، دون استقرار أو استيعاب .

شم إن كثيراً من هؤلاء الشعراء ليس لهم دواوين ، تحوى نتاج قراحتهم ، وقد تبعد
الشقة بينى وبينهم ، فلا أستطيع الاتصال بهم ، لأنهم منهم بعض ما أريد . وهيهات
أن يكون ذلك ! فأعباء الحياة ثقيلة كثيرة ، لا يتسع فيها وقت الباحث ، ولا تتمكنه طاقته

أن ينتقل ويرتحل ، ليتصل بالشعراء ، ويستوحى منهم ما يساعد على تحقيق تلك الغاية .
على أنني لا أخفى عليك أيها القارئ الكريم — لتكون شاهداً بيني وبين
طائفة من هؤلاء الشعراء ! — رغبة مني في الدقة التي يتطلبه البحث العلمي ، أردت
أن أتصل بجماعة من شعراء الفرز ، اتصالاً غير مباشر ، فأرسلت لهم كتاباً ، أكشف
عن أرببي ، وأعرض حاجتي ، فلقيت من بعضهم بعض العون . واعتذر لبعضهم ،
متعملاً ببعض العلل والأسباب . وكانت النتيجة فاشلة ، ولو نجحت لعمتها ، ونشرتها
في دائرة أكثراً اتساعاً ، وفي آماد بعيدة . ومن يدرى إذا كنت قد بدأت بغير
من بدأت بهم لكان التجربة ناجحة موفقة !؟ .

وشيء آخر كان سبباً في هذا العناء . ولم يوجد لما كانت هناك حاجة إلى التجارب ،
وارتقاب نتائجها من فشل أو نجاح — ذلك أنها في أعقاب حرب ، لم تتمكن ظروفها
من طبع الدواوين الشعرية ، ومن تزويد الصحف والمجلات ، بذاتج قرائح الشعراء .
ومن العجيب الغريب حقاً ، ونحن في عصر نهضة ، ونحن نأخذ أنفسنا بأسباب
هذه النهضة في كل شيء ، ومنها الأدب ، أو في مقدمتها الأدب ، لأنه باعث الحياة ،
وموحيها ، ومحيها — من العجب الغريب ، وقد كثر النقد الأدبي بيننا ، وأصبحت له
أصول ، وقواعد ، وفنون . أن لم يعرض الناقدون شعراء هذا العصر ، فييسطروا نتاج
قرائحهم ، ويشيروا ما فيها من آيات وروائع ، وينبهوا إلى ما فيها من أكدار وشوائب .
إذن لكان لنا من ذلك خير .

ومن هذا الخير أن يتدارس النساء الشعر في العصر الحديث . أو بعبارة أخرى
أن يتدارس النساء حياتنا في العصر الحديث ، لأن الشعر مرآة الحياة ، وعنوانها
الصحيح ، في صورتها الباسمة ، أو العابسة .

ما أحوجنا إلى أن ندرس أنفسنا ! ، وأن ندرس ما حولنا ومن حولنا ، وأن ندرس
آلامنا وأمالنا .

فصلاح الأمة ، وإصلاحها يتطلب أن نعرف ما هي ؟
أين وجه الخير ؟ حتى نقويه وندعمه ، وأين وجه الشر ؟ حتى نحاربه وننهيه .
وكذلك الأدب لابد أن نعرف ما هو ؟
أين فيه ما يبعث القوة والجمال ؟ فنقذيه وتنمييه .
وأين فيه ما يبعث الضعف والانحلال ؟ فنطرحه ونجفوه .
ولا يكون ذلك إلا بالنقد ، والدرس ، والتحقيق .
وعسى أن يكون .
ولنعد الآن إلى ما كنا فيه .

ولتناول من بعض هؤلاء الشعراء بعض الأمثلة في شعر الغزل ، لنتبين منها طابع الشعر في هذا العصر ، والغاية التي يتوجه إليها . وقد أعرض بعض هذه الأمثلة في شعر من الشرح والتحاليل ، مكتفيًا في هذا بالقدر القليل ، وأترك للقارئ الليبب تحليل مالم يتناوله القلم .

- ۱ - احمد شوقي :

يقول في أول قصيدة في وصف حفل^(١):

طال عليهَا الْقِدَمْ
 قَدْ وَئِدْتَ فِي الصَّبَا
 بِالْأَلْيَخْ فَرْعَوْنُ فِي
 أَهْرَقْ عَنْقُودَهَا
 كَاهْنَا كَاهْنَ
 اكْتَشَفْتَ فَانْجَتْ
 غَيْرَ شَذِّاً^(٤) أَوْ ضَرَّاً^(٣)
 نَاحِيَةً^(٢) فِي الْمَرْمَ
 كَرْمَتْهَا مِنْ كَرْمَ
 تَقْدِيمَةً لِلصَّمْ

(٢) وأد ابنته : دفنتها في القبر وهي حية .

(٤) الضم : الاشتعال .

(١) دیوانه ج ٢ ص ١١١
(٢) الشذا: قوۃ ذکاء الرائحة

أو كِيَالٍ هَـا بَعْدَ مُتَابِ أَمْ
نَمْ بَهَا دَهْـا وَهِيَ عَلَيْـهِ أَنَّمْ

ويقول^(١) :

وَأَعْتَبِكُمْ^(٢) وَمِلَّهُ النَّفْسُ عَتْبِي^(٣)
وَيُضُوِّنِي^(٤) الظَّلَامُ أَسَى وَكَرْبَا
فَيَصْبُو ناظِرِي وَالْقَلْبُ أَصْبِي
وَأَجْزِيَكُمْ عَنِ التَّعْذِيبِ حُبْـا
فَـا بَالِي جَعَلْتُ الْحَبَّ دَأْـا
وَمِلَّهُ النَّفْسُ مِنْهُ هَـوِي وَعَتْبِي
عَتْبِتُكَ بِالْمَهْوِي وَكَفَاكَ عَتْبِـا
إِذَا عُدَّ الْفَهَارُ عَلَيْكَ ذَنْـا
فَعِينِي قَدْ دَعْـتَ وَالْقَلْبُ لَــي
فَدِيَتُكَ قَالِبِـا فِــيْهِ وَقْلِـا
وَأَخْشِـي أَنْ يَصِيرَ التَّيْـهُ دَأْـا
لَــقَدْ رَمَــتُ الْبَدِيلَ فَرَمَــتُ صَعْـا
فَـا بَالِــي مَعَ السَّلَــوَانَ أَصْبِـا
فَـقَدْ تَبَــتَ يَــدُ السَّاقِ وَتَبَــا
وَأَكْرَــمُ مِنْ عَذَــارِي الدِّيرِ شَرْــا
كَزْــهُ الْوَرَدِ نَدَــوَهُ فَهَـــبَــا

أَرِيد سَلَــوَكَ وَالْقَلْبُ يَأْبِــي
وَأَهْــرُــكَ فِــي هَــجْــرِــنِي رُــقَادِــي
وَأَذْــكُــرُــكَ بِرَؤْــيَــةِ كُــلِّــ حَسْــنِــ
وَأَشْــكُــرُــكَ مِنْ عَذَــابِــي فِــهَاــكِــمِــ
وَأَعْــلَــمُــ أَنْ دَأْــبِــكَ جَــفَــائِــي
وَرُــبَّــ مَعَــاتِــ كَــالْعِــيشِ يُــشْــكَــي
أَنْجَــزِــيــنِــي عَنِ الْزَّــلْــفِــ نِــفَــارِــا ؟
فَــكُــلِّــ مَلاَــحَــةِــ فِــالنَّــاسِــ ذَنْــبِــ
أَخْــذَــتُــ هَــوَــاــكَــ مِــنْ عَيْــنِــي وَقْلِــيــ
وَأَنْــتَــ مِــنْــ الْمَــحَــاــسِــنِــ فِــمَــثَــالِــ
أَحْــبَــكَــ حِــينَ تَــشْــنِــيــ الْجَــيــدِــ تِــهِــاــ
وَقَــالُــوــاــ فِــالْبَــدِــيــلِــ رَــضَــاــ وَرَــوْــحــ
وَرَاجَــعَــتُــ الرَّــشَــادَــ عَــسَــاــيــ أَــسَــلَــوــ
إِذَا مَا الْكَــاــسُــ لَــمْ تَــذَــهِــبَــ هَــمِــوْــيــ
عَــلَــىــ أَــنِــ أَــعَــفَــ مَــنْــ اــحــتــســاــهــاــ
وَلِــنَــفــســ أَــرَــوِــيــهــاــ فَــتــزــكــوــ

(٢) يقال أعتبه : أى أزال عتبه أى أرضاه

(٤) أضواه الأمر : أضفه

(١) ديوانه ج ٢ ص ١٤٥

(٣) العتبى : الرضا

ويقول^(١) :

يَا نَاعِمًا رَقْدَتْ جَفُونَهِ
 مُضْنِاكَ لَاهِدًا شَجُونَهِ
 حَلَّ الْهَوَى لَكَ كَلَّهِ
 إِنْ لَمْ تَعْنَهُ فَنْ يَعْيِنَهِ
 عُدُّ مَنْعِمًا أَوْ لَا تَعْدُ
 أَوْدَعْتَ سَرَكَ مِنْ يَصُونَهِ
 بَيْنِ وَيْنَكَ فِي الْهَوَى
 سَبَبَ سَيِّجَمَعُنَا مَقْيِنَهِ
 رَشَأْ يُعَابَ السَّاحِرُو
 نَ وَسْحَرُهُمْ إِلَّا جَفُونَهُ
 الرُّوحُ مَلْكُ يَمِينَهِ
 مَا الْبَانُ إِلَّا قَدْهُ
 يَفْدِيهِ مَا مَلَكَتْ يَمِينَهِ
 لَوْ تَيَمَّتْ قَلْبًا غَصُونَهِ
 وَيَزِينَ كُلَّ يَتِيمَةَ
 فَهُ وَتَحْسَبَهَا تَزِينَهِ
 مَا الْعَمَرُ إِلَّا لِيَلَةَ
 كَانَ الصَّبَاحَ لَهَا جَبِينَهِ
 بَاتَ الْفَرَامُ يَدِينَنَا
 فِيهَا كَمَا بَتَنَا نَدِينَهِ
 بَيْنَ الرَّقِيبِ وَيَنِينَا
 وَادَ تَبَاعِدَهُ حُزُونَهِ
 بَقِيَ الرَّقِيبُ وَلَا عِيُونَهِ
 نَفَسَابَهُ وَنَقْوُلَ لَا

فَأَنْتَ تَرَى فِي شِعْرٍ شُوقِي غَزْلاً ، وَتَرَى فِيهِ رِقَّةً وَعَذْوَبَةً .

وَكَثِيرًا كَانَ شُوقِي يَبْدِأْ قَصَائِدَهُ بِالْغَزْلِ كَمَا رَأَيْتَ مِنْ قَبْلِهِ . وَيَبْدِأْ قَصَائِدَهُ بِوَصْفِ الْخَزْرِ كَمَا تَرَى فِي الْمَجْمُوعَةِ الْأُولَى مِنْ هَذِهِ الْأُمْثَلَةِ الشِّعْرِيَّةِ .

وَفِي الْمَجْمُوعَةِ الثَّانِيَّةِ :

يَحْدِثُنَا شُوقِي أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَسْلُوْهَا ، وَلَكِنَّ الْقَلْبَ يَأْبِي بِهِرْهَاهَا سَهْدًا ، وَعَذَابًا ، وَكَرْبَاً .

إِنَّ الْحَبِيبَ يَذْكُرُ حَبِيبَتِهِ ، لَأَنَّ فِي ذِكْرِهَا خَيْرًا وَنِعْمَةً . إِنَّ فِي ذِكْرِهَا أَمْلًا حَلَوَا ، يَنْيِرُ الْحَيَاةَ أَمَّا الْحَبِيبَينِ . وَالْحَبِيبَةُ جَمِيلَةٌ فِي عَيْنِ الْمَحِبُوبِ . فَإِذَا رَأَى شَيْئًا جَمِيلًا ،

أو منظراً حسناً تذكرها ، يتمثلها في كل ما هو حسن جميل . وكان كل ما هو حسن مستمد منها ، وكل ما هو جميل مأخوذ عنها . يشكوا من تعذيبها له . وما أكثر شكوى الحبيبين ! تجفوه ، وهذا دأبه ، لا تنفك عنه ، ولا تحييد . أما هو فيجزيها على ذلك مودة وحبها ، ويجعل ذلك دأبه ، لا تنفك عنه ، ولا تحييد . هذه حاله معها . وتلك حالها معه . ويسائلها : أتجزى عن الزلفي نفاري ؟ والجواب على ذلك صد وهران ، أو متابعة للصد والهران . ويصور كيف وصل الحبيب إلى الحببية ، ووقع في شراك هواها . رأتها العين ، ورأت حسنها ، وملحها ، وجمالها . أما العين فأعجبها ذلك الحسن والجمال ، وأما القلب فقد خفق متاثراً بالحسن والجمال ، فابى دعاء العين ، وما دعاها إلا الحب والهوى . ويأتي دور العواذل ، ولا شأن لهم إلا أن تقوم الكراهية بين الحبيبين ، يزينون لهم الفرقة ، والفتنة ، والجفوة . إنهم راموا له بديلًا يغنى عنها ، فما أغنى عنها بديل . راموا أن يسلوها ، فلم يستطع أن يتحقق لهم ماراما ، بل زادت صبوته ، وزاد شوقه وحنينه ، حتى احمر احتساها — وهو المف — لعله ينسى المهموم والأحزان . هموم الحب وأحزان الهوى . ولكن لم ينسها ، لأن حبها تسكن في قلبه ، ولأن هواها امتزج بلحمه ودمه ، وهيئات أن تنسى نزوة الحمر ما حل في القلب ، وامتزج باللحم والدم ! .

وفي الجموعة الثالثة :

تظهر صورة صادقة للحبيب المغرم المقيم .

الحببية تمام راقدة الجنن ، قريرة العين . والحبيب لا يزور النوم عينيه . فهو مضنى معذب لا تهدأ شجونه ، ولا تجف أحزانه .

هذه حال تتطلب الشفقة والرحمة . الشفقة منها وحدها ، فهي التي تعرف داءه ومصايبه .

وأخذ يذكّر حسن هذه الحبيب.

جفون ساحرة . والسحر معيب إلا من هذه الجفون . وقد كالبان ، تيمت القلب
غضونه . وفم عذب الثناء ، وجبين مشرق وضاء .

ثم يصف ليلاً اجتمع فيها المaban ، في ظلال الغرام يتناجيان ، ويتبادلان
كؤوس الهوى . وما ألل هذه الكؤوس ! . والرقيب ناء بعيد ، يتلهيان باغتيابه
وملامه ، وينتشيان بظفرهما عليه ، حيث كان هذا اللقاء بعيداً عن الرقيب وعيونه —
لابق الرقيب ولا عيونه !

٢ — عبد الحسن الكاظمي :

يقول متغزلاً ويدرك وطنه^(١) :

أيها الأرض إن فيك نجوم السماء
تبجل في كل حين فتتجلى
إذ رأه أحبابه من ضياء
بضياء تعشو له كل عين
أيها القلب كم تحن إلى السكر
وشجيئ أراك في كل حين
لصحاب من الجوى أخلياء
أخذوا النوم من جفوني وباتوا
في جفون ريا^(٤) من الأغفاء^(٥)
ويقول متغزلاً ويشكوا الزمان^(٦) .

ما العيش إلا ليلاً
وفاك من تهوى وقد
حيث الصباية في الحشا
يسقيك طيب حدشه
في الدهر نام وشاتها
شغل العيون سباتها^(٧)
نار ذكت جمراتها
خرجا حللت نطفاتها^(٨)

(٣) الزوراء : بغداد

(٢) الكرخ : محلة في بغداد

(١) ديوانه ص ٤٤

(٦) ديوانه ص ٣١٦

(٥) أى الناس

(٤) ريا : صرتوية

(٨) جمع نطفة وهي الماء الصافى

(٧) جمع سنة وهي النوم

ويظل يمزجها هوى
أو تنطفي حرقاتها
في الأرض جنات وقد
جمعت لنا جناتها
رسها وطاب جناتها^(١)
في روضة طابت مفا
ويقول غزلا في أول قصيدة :

يَهْفُو إِلَيْكَ وَيَصْبُو
مُتَسِّمٌ بِكَ صَبُّ
فَوَادِهِ يَتَظَاهِرُ
وَدَمْعُهُ مُنْصَبٌ
لَطْيَ الْوَجْهِ دَفِ حَشَاءَ تَشَبُّ

في المجموعة الأولى :

يخاطب شاعرنا الكاظمي الأرض ، ويشير إلى أن بها نجوماً تفوق نجوم السماء ؛
في الحسن ، والبهاء والجمال . ويدرك وطنه وأن له فيها خلاناً يهفو اليهم ، وينحن
لمودتهم . بل أهل فيه هوى نفسه ، التي تأخذ النوم من جفنه ، وتتركه مضى معدباً .

وفي المجموعة الثانية :

يصف صفو الحياة . وصفوها في أن يلقى الحبيب حبيبته ، بعيداً عن الوشاة
والرقباء . ييشها صبابته وغرامه ، وتسقيه من طيب حديتها خرماً ، أو أرق من الحر ،
وأكثرنشوة في النفس من الحر . وفي الحياة الأولى كالحياة الأخرى جنات . وفي هذه
الجنات نعيم ، وخلود . هي حيث تكون ظلال الحب ، وحيث يكون العيش تحت
هذه الظلال ، وحيث يكون سلاماً وأمناً .

٣ — حافظ ابراهيم :

يقول في أول قصيدة مدح^(٢) :

أوشك الديك أن يصبح ونفسى
بيـنـهـمـ وـبـيـنـ ظـنـ وـحـدـسـ^(٣)
يا غلام المدام ، والكاس ، والطا
س وهـيـ لـنـاـ مـكـانـاـ كـامـسـ

(١) جع جان وهو من يحيى الحر . (٢) ديوانه ج ١ ص ١٣٠ (٣) الحدس: التخييم والتوجه .

أطلق الشمس من غيَّاً هبَّ هذا الدَّنِ
نَ واملاً من ذلك النور كأسى
من سنها فذاك وقت التَّحْسِيُّ^(١)
وتعجل وأسْبَلْ سُتُورَ الدَّمْقَسْ^(٢)
وادع نَدْمَارَ خالقِي وأتِسَاسِي
واسقنا ياغَ لَامُ حتى ترانا
خمرة قبيل إنْهَم عصروها
من خُودِ اللاحِ في يوم عُرس

ويقول متفراً في أول قصيدة مدح^(٣) :

كَمْ تَحْتَ أَذِيَالِ الظَّلَامِ مَقْتَمِ
ما أنت في دُنْيَاكِ أَولَ عَاشِقِ
أَهْرَمْتَنِي يَا لَيْلَ فِي شَرْخِ الصَّبَا
لَا أنت تَقْصَرُ لِي وَلَا أَنَا مَقْصُرٌ
لَهُ مَوْقِفُنَا وَقَدْ نَاجَيْتَهَا
قَالَتْ مِن الشَّاكِي؟ تَسْأَلُ سِرْبَهَا
فَأَجَبْنَاهَا وَعَجَبَنَ كَيْفَ تَجَاهَلْتَ
أَنَا مِنْ عَرْفَتْ وَمِنْ جَهَلْتْ وَمِنْ لَهَ
أَسْلَمْتُ نَفْسِي لَاهَوْيَ وَأَظْنَهَا
وَأَتَيْتَ يَمْدُو بِي الرَّجَاءِ وَمِنْ آتَى
أَشْكَو لِذَاتِ الْخَالِ مَا صَنَعْتَ بِنَا
لَا السَّهْمُ يَرْفَعُ بِالْجَرِيجِ وَلَا الْمَوْيِ
فِي الْجَمْعَةِ الْأُولَى :

يصف المطر ، وما يتصل بها من لهو وسرير .

(١) التَّحْسِيُّ : المربُّ شيئاً فشيئاً . (٢) الدَّمْقَسْ : الحرير . (٣) ديوانه ج ٣ ص ١٤٣

وفي الجموعة الثانية :

يحدثنا عن الليل ، وكم يحوى من متيمين ، أضناهم الهوى ، وأدمني أفتديهم .
وليت من يرجي القلب ، فيكلمهه ويدميه ، يخنو ويترجم ، إنه قاس جاف ، لا يرق
ولا يلين ، وهذا شأن العاشقين ، منذ أن خلق الله الكون .

وكم لهذا الليل من ساعات : فيها أحوال ، وفيها شدائ드 ، وفيها آلام .

ثم هذا هو الحبيب ينادي حبيبة قلبه ، ويسألاها حزنه ومكثون حبه ، وهو في هذه
النحوى يذوب صباة ، ويخترق ألمًا وأسى ، والحقيقة لا تحس بذلك ، بل تتجاهله
وتسائل ترها في شيء من التفاصي والاستهتار : من الشاكي ؟ ، من هذا الذى يتظلم ؟
كأن الأمر لا يعنيها : وكأن الأمر لا يتصل بها ! وكأن ليس في الأمر ما يؤبه له ،
ويستحق منها النظر والرعاية ! أما أثرابها فقد عجبن ، كيف تتجاهل هذا الذى تراه ؟ ،
ولا ترى إلا صفة الوجه ، ونحوه الجسم ، كيف تتجاهل هذا الذى تسمعه ؟ ، ولا تسمع
إلا الآلة والألة ، آلة القلب الكسير ، وأنة المؤاد المكلوم . هو ذلك المتوجع المتألم
الذى تسألين عنه أيها الظالمة المتجنية !

وإنه بعد ذلك يسلم نفسه للهوى ، وقد تجشّمها الهوى آلامًا ، وإنه يشكو ما تصنع
باليون : من أسر وفتوك وسحر .

ولا يزال الحبيب معنىًّا بثلاث من النائبات الدواهى : سهم قاتل لا يرفق به ،
وهو فاتك ، لا يقى عليه ، وصباة لا تترجم .

٤ — عباس محمود العقاد :

يقول^(١) :

لا تسألني متعبًّا أنت فما تتعب الأرواح في علية السباء
بحسناحين من الحب ومن حسنك الخافق ينقاد الفضاء

(١) ديوانه : هدية الكروان من ١٠١

طرت لاأشكوا المدى من تعب . حين صاحبتك في ذاك المساء
 لم أكن أمس أرضاً إما كان تأسى حين أمسى في ضياء
 ويقول في وصف أحد شواطئ الاستحمام في الإسكندرية «ستانلي»^(١) :

هذا المحسن موسم أحيت مواسم من ساف
 بُجعت لعينك ساعةً وغضداً تفرّقها الغرف
 ملأت خليج «ستانلي» وطفت على أعلى الطنف^(٢)

* * *

فتـنـ شهدـتـ زحـوفـهاـ كـالـجيـشـ أـهـولـ ماـ زـحفـ
 فـهـتـفـتـ «ـفـلـيـحـيـ الـجـمـاـلـ»ـ وـقـدـ يـعـاقـبـ منـ هـتـفـ
 هـذـىـ مـعـارـضـ صـنـعـةـ اللهـ يـهـبـرـ منـ وـصـفـ
 ويـقـولـ^(٣) «ـتـحـتـ عـنـوانـ فـيـكـ مـنـ كـلـ شـىـ»ـ
 فـيـكـ مـنـ شـمـسـ الصـحـيـ الـعـيـنـ الـتـيـ تـرـسـلـ الـلـامـ مـضـيـاـ فـيـ الـظـلـامـ
 فـيـكـ مـنـ بـدـرـ الدـجـيـ أـخـلـامـهـ حـيـنـ يـسـرـىـ نـاهـاـ بـيـنـ نـيـامـ

* * *

فـيـكـ مـنـ كـلـ رـيـبعـ طـلـعـةـ تـنـبـتـ النـضـرـةـ عـامـاـ بـعـدـ عـامـ
 وـالـشـتـاءـ الجـهـمـ لـاـ يـعـدـوـكـ مـنـ عـهـدـهـ العـاصـفـ بـرـقـ وـغـمـامـ

* * *

ماـ تـفـيـ الطـيـرـ إـلاـ بـعـضـ مـاـ أـنـتـ رـاوـيـهـ ،ـ وـلـاـ نـاحـ الـحـامـ
 وـإـذـاـ الجـدـولـ نـاغـيـ نـفـسـهـ فـهـيـ أـصـدـاؤـكـ مـنـ غـيرـ كـلـامـ!

* * *

فـيـكـ مـنـ نـارـ الـحـيـاتـينـ الـهـوـيـ هلـ حـيـاةـ الـحـيـ إـلاـ مـنـ ضـرـامـ؟ـ

(٢) ديوانه وحي الأربابين ص ١٠٦

(١) الطنف : ما يبرز من البناء

* * *

فليك من دنياك نقص رائق^{*}
ومن الأخرى تباشير تمام
ومن الأملاك طيب ورضا^{*}
ومن الشيطان غي^{**} وأثام

三

* * *

فَيُكْفَرُ عَنِ الْأَرْضِ حَظٌّ وَافِرٌ
وَحْظَوْظٌ مِّنْ سَمَاءٍ لَا تَرَامٌ
أَقْدِيمٌ ؟ أَيْ نَعَمْ . قَالَ الْمُصَبِّرَا
أَجْدِيدٌ ؟ أَيْ نَعَمْ . قَالَ الْوَسَامُ

* * *

هـذـه الرـوعـة هـل تـجـمـعـها فـي مـدـى يـوـم لـهـوـم وـعـظـام؟
لـا وـرـبـي ! بـل دـهـوـر غـبـرـت قـبـلـا تـقـنـهـا الـأـيـدـى الـكـرـام

ويقول:

تریدین قابی ؟ خذیه خذیه ! .
 رویدک . لا . بل دعیه دعیه
 دعیه إذا غبت عنی اری
 محبک فیه ، وحی فیه
 وابن کنت من قبل لم تسمعیه
 وسرّ ابوح به خلسه
 به یا بنیة او تهملیه
 اخاف على بعدأن تلعي
 فکم لعبه وقعت من يد
 يك وقوعاً اری القلب لا يشتهي
 إذا ما لعبت به ها هنا
 فانی لامن اأن تكسريه
 تریدین قابی خذیه خذیه
 ولكن بربك لا تنقليه

فَإِذَا نَرَى فِي شِعْرِ الْمَقَادِ؟

فِي الْجَمِيعَةِ الْأُولَى :

نَرَى مُحِبًّا ، سَمَا رُوْحَهُ فِي الْحُبُّ ، فَعَافَ الْأَرْضُ وَسَاكِنَاهَا ، وَصَدَدَ إِلَى عُلُّيَا
السَّمَاءِ ، وَأَخْذَ مَطْيَّتِهِ فِي هَذَا الصَّمْودِ جَنَاحِينَ : جَنَاحًا مِنَ الْحُبُّ ، وَجَنَاحًا مِنَ
حَسْنِ الْحَبِيبِ ، وَالرَّحِيلِ شَاقِ عَسِيرٍ ، فَإِنَّمَا كَانَ بِهِ إِذَا كَانَ بَيْنَ أَجْوَازِ الْفَضَاءِ ! وَلَكِنْ
هَذَا الرَّحِيلُ سَهْلٌ هَيْنَ ، لَأَنَّهُ ارْتِحَالُ أَرْوَاحٍ ، وَالْأَرْوَاحُ لَا تَتَعَبُ ، وَلَا تَصَادِفُهَا مَشْقَةٌ
أَوْ عَنَاءٌ . وَالرَّحِيلُ حَلْوٌ جَمِيلٌ ، لَأَنَّ فِيهِ الْحَبِيبَ ، وَحِينَ يَكُونُ الْحَبِيبُ تَكُونُ السَّعَادَةُ
وَتَكُونُ الْهَنَاءَةُ . وَحِينَ يَكُونُ الْحَبِيبُ ، تَهُونُ الشَّدَائِدُ ، وَتَسْهِلُ الصَّعَابَ ، بَلْ يَصْبَحُ
الظَّلَامُ نُورًا ، وَالجَوْعُ شَبَعًا ، وَالظَّلَمُ رِيًّا .

وَفِي الْجَمِيعَةِ الثَّانِيَةِ :

يَصِفُ جَمَالَ هَؤُلَاءِ الْغَيْدِ الْخَسَانِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ .

وَفِي الْجَمِيعَةِ الْثَّالِثَةِ :

يَصُورُ الْحَبِيبَ كَمَا يَرَاهَا الْحَبِيبُ .

يَرَى فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ :

يَرَى فِيهَا نُورَ الشَّمْسِ ، وَأَحْلَامَ الْبَدْرِ ، وَنَصْرَةَ الرَّبِيعِ ، وَعَهْدَ الشَّتَاءِ مِنْ بَرْقِ
وَنَعْمَمِ ، وَغَنَاءِ الطَّيْرِ ، وَنَوْحِ الْجَامِ ، وَنَفْصِ الْحَيَاةِ الْأُولَى ، وَتَمَّ الْحَيَاةِ الْآخِرَى ،
وَمَلَكَ الرَّحْمَةِ ، وَغَيْرَهُ الشَّيْطَانُ ، وَسَكَرَةُ الْحَمْرَ ، وَغَذَارُ الْقُوَّتِ ، وَرَى الْمَاءَ .

وَفِي الْجَمِيعَةِ الرَّابِعَةِ :

يَهْبُ لِهَا قَلْبَهُ ، وَيَصْرَحُ لَهَا بِهَذِهِ الْهَبَةِ . وَلَكِنَّهُ يَفْكِرُ مُلِيمًا ، وَيَرَى أَنَّهُ مُخْطَطٌ
فِيهَا فَعْلٌ ، مُسَيٌّ إِلَى نَفْسِهِ ، وَإِلَى حَبِيبَةِ قَلْبِهِ . مُسَيٌّ إِلَى نَفْسِهِ ، لَأَنَّهُ يَرَى فِي قَلْبِهِ
حَمِيَّاهَا ، وَيَرَى حَبَّهُ فِيهَا ، فَإِذَا أَعْطَاهَا قَلْبَهُ حُرِمَ هَذَا الْحَيَاةُ ، وَحُرِمَ تَلَكَ الصُّورَ الْجَمِيلَةَ
مِنْ ذِكْرِي حَبَّهَا ، وَفِي هَذَا عَذَابٌ وَبَلَاءٌ . وَمُسَيٌّ إِلَى حَبِيبَةِ قَلْبِهِ . لَأَنَّهُ يَخَافُ عَلَى

البعد أن تهمله ، أو تلعب به فيصييه شرخ أو انكسار . وفي هذا وزر ، وجرم كبير إذن فليبق قلبه بين جوانحه حتى يكون عليه حارساً وحافظاً .

٥ — معروف الرصافي :

يقول : يصف مجلس هو^(١) :

ولي عند إخوان الصفا أريجية
إذا ماعقدنا مجلس الأنس بالطلا^(٢)
إلى كل خل في الزمان موافق
فيبني وبين السكر خمس دقائق

* * *

أسابق ندماني إلى السكر طائراً
فما هي إلا بعد شربى سويعة
فنادمت أصحابى على غير حشمة
وقلت لهم ما قلت غير منافق
ويقول : ^(٣) تحت عنوان — إلى جميع الغوانى : —

وقفت عليه^كن وقلبي الذي
ومنك^ن أحببت هاتى وذى
مير به الحب من السحاب

* * *

فنك^ن بيضاء ما مثلها ^(عـدا حـرة اـنـدـد) إلا القمر
فتك^ن التي طاب لي وصلها كالمـلة الـبـدر طـاب السـمـر

* * *

ومنك^ن حـراء جـذـابة حـكـي وجـهـها الشـمـس عـندـ الطـلـوع
أـرىـ عـيـنـها (وـهـيـ خـلـابـةـ) فـأـمـسـكـ بـالـكـفـ مـنـ الضـلـوعـ

* * *

ومنك^ن متـ هـيـ مـثـلـ الـرـيـاحـ لـهـافـ ذـرـاـ كلـ قـلـبـ هـبـوبـ
تـرـيدـ غـلـابـ جـمـيعـ الـمـلاحـ وـتـبـغـيـ عـذـابـ جـمـيعـ الـقـلـوبـ

(١) دراسة أدبية لـ ديوانه ص ١٦٦ ، (٢) الطلاق : المحرر ، (٣) دراسة أدبية للرصافي من ١٧١

ومنك من هي مثل النجوم من بعد ناظرة تبتس
ف تلك عليها فوادي يحوم وتلك إليها الردى اقضم

* * *

ففيك طرًا بوادي الموى أهيم وإن لم تعد عائده
ألا إن حبًا بقابي انطوى كثير فلم تكن واحده
ويقول^(١) — في الغزل بالذكر :

أسبغ الله نعيم الـ حسن في وجه نعيم
قر أغنى في الإشراق عن ليل بهيم
علم الناس صحيح الـ حب بالطرف السقيم
يرجع السحر بعينيه إلى همد الكليم
ويقول^(٢) تحت عنوان اسمى لي كلاما :

اسمى لي قبل الرحيل كلاما ودعيني أموت فيك غراما
هاك صبرى خذيه تذكرة لي وامتحى جسمى الضنى والسلاما
لست من يرجو الحياة إذا فارق أحبابه ويخشى الحماما
لثك يا ظبية الضرية طرف شد ما أوسع القلوب غراما

* * *

كلما زاد عاذلى فيك عذلا زدت في حسنك البديع هيااما
أفاحظى بزوره منك تشفي صدع قلبي ولو تكون مينا
ورب ليل بالوصل كان ضياء ونهار بالمجو كان ظلاما
قد شربت الشهد فيه مداما وتحذت النجوم فيه ندامي

(١) دراسة أدبية لشاعر العراق — معروف الرصاف ص ١٧٢

(٢) ديوان الرصاف طبع بيروت ص ١٩١

ما لقلبي إذا ذكرتك يهفو ولعيني تذرى الدموع سجاما
إن شكوت الهوى تلعمت حتى خلستني في تكلمي تماما

وماذا قال الرصافي؟

في المجموعة الأولى:

يصف مجلس اللهو ، وما فيه من حمر ، يتسابق إلى شرابها النداماء ، وما فيه من حديث ، يرسلونه ، وهم في نشوة من الحمر ، دون تحرج أو احتشام .

وفي المجموعة الثانية:

يتتحدث عن حبه . فقد وقف على النساء جبعاً قلبه ، وقد وزعه بينهن ، دون أن تكون له حال من الثبات والاستقرار . هو الحب الذي لا يمثل العاطفة المشبوبة ، بل هو ينتقل ، من امرأة إلى امرأة ، فإذا صادفه جمال وصفه ، دون أن يترك الوصف في قلبه كلوماً أو جرحاً ، كما ترك جمال الحبانية في قلب المدف المقيم . وقسم أحوال النساء ، وذكر بعض ألوان جمالهن ، وأنه يهيم بهن جميعاً ، ولا تكفيه في الحب واحدة .

وفي المجموعة الثالثة:

يتغزل بالذكر ، ويصف حسن وجهه وإشراقه ، ويصف طرفه ، وسحر عينيه .

وفي المجموعة الرابعة:

يودع حبيبته ، ويتسلل إليها أن تستمع إلى نجواه قبل أن ترحل . إن ارتحالها عنه يجعل له الضنى ، ولا يرجو الحياة بعد هذا الفراق . ثم يذكر أن عذل العوائل يزيده كلفاً بها وهياماً . إنها تهجره وتتجفوه ، فهلاً زارتة ، ولو في النمام ، حتى يشقى صدع قلبه؟ . وقد تغيرت معايير الحياة ، فأصبح النهار يهجرها ليلاً ، وأصبح الليل بوصلها نهاراً ، وأصبح حين يشكو الهوى تماماً ، لا يكاد يبيت ، وهو الفصيح ذو اللسان والبيان .

٦ — اسماعيل صبرى :

يقول في مطلع قصيدة يهنىء الخديو اسماعيل بقدومه من الأستانة^(١) :
 أطْلَمُ الْكَاسَ كَوْكَابًا فِي ازْدَهَاءِ
 اسْتَقْبَاهَا حَتَّى تَرَانِي لَا أُفْتَهُمْ نَصْحَا يَمْلِهِ إِصْفَائِي
 عَاطِنِيهَا صَرْفًا وَلَا تُطْفِئُ النَّوْرَ رَذْنِي زَانَ حَسْنَهَا بِالْمَاءِ
 وَأَدْرَهَا خَدَا وَحْيَ النَّدَاءِ بِعِذَارٍ^(٢) الرِّيحَانَ وَأَغْمَ شَنَائِي
 مَجْلِسٌ فِيهِ مَا جَلَّا صَدَأُ السَّمَاءِ — وَقَرْتَ بِهِ عَيْنَ الرَّأْيِ
 مِنْ مَعْنَى يَفْزُوا الْمَمْوُمُ بِأَوْتَارِ رَفِيْحَوْيِ أَعْنَةِ الْأَهْوَاءِ
 وَغَزَالُ أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ يَسْعَى بِكَوْؤُسِ الْفَرَامِ وَالصَّهْبَاءِ
 مَذْرَأْتَ خَدَهُ الْمَدَامُ عَلَاهَا عَرَقٌ مِنْ حَبَابَاهَا^(٤) لِلْحَيَاةِ
 وَيَقُولُ فِي مطلع قصيدة يهنىء الخديو عباس الثاني بعيد الأضحى^(٥) :

شوق يهيجه نوالك وجوى يؤججه هواك
 كم ذا أراك تميل عن مضناك يا غصنَ الأراك
 وتسونى صبرا وصبرى عنك أقتل من جفالك
 صيرتَ بعدهك من محبابك بعده وعدك من وفالك
 يا فقة العشاق حسب الناس ما جرت يدالك
 وكفاك ما صنعت بأر باب الصباية مقنلاك
 أنت النسيم فـا لقلبي ليس يسلم من أذاك
 إنـى وإنـى بالـفتـ فى هـجرـى وأـلمـى قـلاـكـ

(١) ديوانه من ١٣ (٢) حالة النداء حلقتهم ومجتمعهم (٣) العذار : مدار على الخد من الشعر (٤) الحباب : ما يعلو الشراب من الفاكح . أى أن استحب الخمر من حسن الساق فكانت الفاكح قناعاً يستر به الحباب (٥) ديوانه من ٣٦

أصبو إلـيـك إذا النسيـم سـرـى يـثـلـى شـذاـك
 أو دـارـتـ الـكـلاـسـاتـ بـالـصـهـاءـ تـخـبـرـ عنـ لـمـاـكـ^(١)
 وأـعـدـ قـربـكـ مـشـهـاـيـ وـغـايـتـيـ الـقصـوـيـ رـضـاـكـ

٧ - على الجارم

يقول في سنة ١٩١٦^(٢): «تحت عنوان الحب»

وـمـضـىـ وـخـلـفـ فـيـ الضـلـوعـ ضـرـاماـ
 فـلـأـنـ قـلـبـيـ أـنـصـلـاـ^(٤) وـسـهـاماـ
 لـماـ اـرـقـيـتـ ،ـ وـلـاـ اـتـقـيـتـ مـلـامـاـ
 فـتـشـيرـ مـاـ يـكـ ثمـ تـهـجـرـ عـامـاـ
 غـرـيـبـ يـمـودـ مـعـرـةـ وـأـنـاماـ
 مـاـ أـطـيـبـ الـأـيـامـ وـالـأـحـلـامـاـ !
 فـيـصـولـ سـيفـاـ أوـ يـسـيلـ عـمـاماـ
 وـلـقـدـ تـكـونـ بـهـ الـحـيـاةـ سـقـاماـ
 يـحـيـيـ التـفـوـسـ وـيـقـتـلـ الـأـجـسـاماـ
 سـكـتـ الـوـجـودـ وـأـطـرـقـ أـسـعـظـالـاماـ
 وـحـيـاـ إـذـاـ مـاـ شـئـتـ أـوـ إـلـهـاماـ
 يـوـمـ التـفـاخـرـ سـيـداـ مـقـادـاماـ
 لـاـ يـتـقـيـ رـحـماـ لـاـ صـمـاصـاماـ
 وـأـعـدـهـ لـمـكـرـمـاتـ غـلامـاـ

عـاجـ اـنـخـيـالـ فـلـمـ يـيـلـ أـوـاماـ^(٣)
 مـالـيـ وـلـكـحـلـاءـ هـجـتـ عـيـونـهاـ
 يـاـ قـلـبـ وـيـحـكـ ماـ سـمعـتـ لـنـاصـحـ
 لـعـبـتـ بـكـ الـحـسـنـاءـ تـدـنـوـ سـاعـةـ
 وـالـحـبـ مـاـ لـمـ تـكـتـفـهـ شـمـائـلـ
 وـالـحـبـ أـحـلـامـ الشـابـ هـنـيـةـ
 وـالـحـبـ نـازـعـةـ^(٥) الـكـرـيمـ تـهـزـهـ
 وـالـحـبـ مـلـهـاـ الـحـيـاةـ وـطـبـهاـ
 وـالـحـبـ نـيـرـاتـ الـجـوـسـ لـهـيـهاـ
 وـالـحـبـ شـعـرـ النـفـسـ إـنـ هـتـفـتـ بـهـ
 وـالـحـبـ مـنـ سـرـ الـسـيـاهـ فـسـمـ
 لـوـلـاهـ مـاـ أـضـحـيـ وـلـيـدـ زـيـبةـ^(٦)
 وـلـمـ رـمـىـ فـيـ الـجـحـلـيـنـ بـصـدـرـهـ
 الـحـبـ أـلـبـسـهـ الـمـروـءـ يـاـ فـعـاـ

(١) التي : سمرة في الشفرين (٢) ديوانه من ٦٨ (٣) الأوام : حر العطش

(٤) الأنصل : جمع نصل وهو حديدة الرمح والسيف ونحوها (٥) النازعة : الميل

(٦) زبيبة : أم عترة بن شداد العبسي ، وهو المقصد بوليدها .

يا شَدَّ ما فعل الغرام بِهِجَة
ذابت أُسَيْ وصبايَةً وهِياماً
كانت صَوْلًا^(١) لأنَّيل خطأها^(٢)
فُقدت أَذَلَّ السِّيَامَاتِ^(٣) خطأماً
سَكَنَتْ إِلَى حُلُونَ الغرام وُسْرَهُ
ورعت عهوداً للهوى وذمَّا
وطَوَتْ أَحَادِيثَ الْجَوَى فَطَوَتْ بِهَا
دَاءَ يَدُكَ الرَّاسِيَاتِ عُتَمَّاً^(٤)
فَعَلَامَ رَوَعَهَا الصَّدُورُ عَلَامَاً؟
نَالَ الضَّفْنِي مِنْهَا الَّذِي قَدْ نَالَهُ

يا زَهْرَةَ نَمَ النَّسِيمُ بِعِرْفِهَا
وجَرَى بِهَا مَاهُ التَّعْبِيْمِ جَامَا^(٥)
يا جَنَّةَ لَوْ كَانَ يَنْفَعُ عَنْدَهَا
ثُسْكُ لَبِشَنَا سُجَّداً وَقِياماً
يا طَلْعَةَ الرَّوْضِ النَّضِيرِ تَحْيَةَ^(٦)
وَمُجَاجَةَ^(٧) الْمِسْكِ الَّذِي سَلَامَا

في هذه القصيدة يتحدث شاعرنا عن الطيف ، وأنه حين يموج لا يطغى غلة ، بل يترك خلفه أواراً من النار ، يتلطفى به القلب الجريح . ثم أخذ يذكر بعض صفات الحبيبة ، وبعض أحواله معها : فهي كحلا العيون ، وعيونها ذات سهام فواتك . وهي حسناء لعوب ، تعرف كيف تستثير لواعج الغرام في قلبك ، ثم تهجرك وتتجفوك ، عاماً طويلاً ، كم فيه من أشهر وليل ! ، وكم تطوف به نجوم يرعاها بين السماد والأرق !
وأخذ الشاعر بعد ذلك يحدثنا عن الحب العذري ، وعن حلاوة الحب .
يجب أن يكون الحب طاهراً بريئاً ، وإلا كانت عاقبته خشاً ونكراً . وهو كذلك حلو جليل ، على قدر ما في الحياة من حلاوة ، وعلى قدر ما يحمله العيش من جمال ونعم . هو حلم الشباب ، وما أحلى هذه الأحلام ! هو هلو الحياة البريء ، وهو طيبها

(١) المسؤول : الوَلَابُ النافرُ من الإبل (٢) الخطام : الزمام - المفرد -

(٣) السِّيَامَاتِ : جمع سِيَامَةٍ، من سامت الماشية إذا رعت (٤) العقام : يقال داء عقام : أى لا يبرأ منه

(٥) الجام : جم جم وهو الكبير (٦) المجاجة : في الأصل الريق ، والمراد هنا الفتات والخلافة

من كثير من الآفات والأدواء . هو كالنار عند الجوس ، تميّتهم وتحرقهم ، ولكنها تطهر نفوسهم وتحيّتها ، وكذلك الحب يضفي أحبابه ، ويهدأ أجسامهم وقوامهم ، ولكنه يحيي قلوبهم ، ويعث فيها نشوة الأمل ، وفرحة الحياة . والحب أغنية النفس ، إذا هتفت به سكت الوجود جمِيعاً ، من جماد ونبات وحيوان ، وأصغوا إلى جمال هذا الغناء ، وأحنوا رءوسهم إجلالاً وإكباراً .

وأخذ الشاعر بعد ذلك يحدّثنا عن أثر الحب .

فمنترة بن شداد أحب ابنة عمّه « عبلة ». ودفعه هذا الحب إلى أن يكون فارساً مقداماً ، وجوداً كريماً ، وصاحب مروءة ومكرمات . ولو لا ذلك لكان عبداً هجينَا ، لا تعرف له هذا الشأو البعيد . والحب يهذب النفوس ، ويسلس قيادها ، فهو يروضها إلى الرقة والدقة ، بعد أن كانت جامحة نافرة . وفي الحب وفاء ، يجعل الحبيبين يرعون عهود الموى ، ويحفظون حقوقه وحرماته . وفي الحب صبر ، به يحتملون صره ، وعداته . وأخذ الشاعر يخاطبها بما فيها ، ويحييها تحية خالصة من قلبه . أخذ يذكرها ، ويدعوها بالزهرة ، وبالجنة ، وبالروض النضير . وخلاصة المسك . أما الزهرة فلها عرف ، ذكي الرائحة والطيب . وكذلك هي . وأما الجنة ، فهي تتطلب نساً كعايدين ، حتى يكون نسّكهم وعبادتهم قرباناً في دخولها . وهي جنة ، ولكن لا يجدى عندها سجود وقيام ، ولو أجدى لبات حياته كلها ساجداً ومقياً

٨ — محمد رضا السبيبي

يقول^(١) تحت عنوان ساحفة في الحب :

مالامنى لو أحس الناس أو شعروا ألسنم الحِسَ سمعى منه والبصر
كان الموى يبننا عهداً ويبنكم لما تعارفت الأشباح والصور

(١) ديوانه ص ١٤٣

إنا عذرنا من اللوّام طائفةٌ
خليّةٌ لو أحبوا مثناً عذروا
مُحاجرٌ رَقَّ ما تذرف الحجر
لَمْ لا يرقون بل لَمْ لا تؤرّ قهم

* * *

هل عند من أسرروا لأنفهم خبر
دجت ليالي محبيهم وآنسني
يومي أصيل إذا وافت بشائرهم
طيف الكري أثر قنعت به
هذا نصب من الدلنا خصضت به

ف الليل طول وفي أحبابنا قصر
ليل تضيء حواشيه إذا ذكروا
وليلي كلها من رقة سحر
يكفي من العين إن لم توجد الأثر
أم صدفة الدهر، أم هذا هو القدر؟

^(١) ويقول تحت عنوان «مختلة الحب»:

ما كفأكم من امتحان الحب
هل أسل البكاء علينا كميف؟
أعلى العين هذه فرض عين
أن تجاف عن المضاجع جنبي
أو أذاب الفراق قلباً كقلبي
حين يدعو داعي البكا أن تلبى؟

* * *

سوف أقضى من الصباية حتى
بعض الحب كل شيء يعني
آسمنا من القاء وقالوا :
حين أقضى من الصباية تحيى
فاستوى في المآل بغضي وحي
حسبك الطيف طارقاً قلت: حسي

ويقول ^(٢) متنزلاً في أول قصيدة:
سَوْرَ عَيْنِيكَ بَاعَثُ نَشْوَانِي
لَمْ تَجِعْ أَفَةَ الْقَطِيعَةِ إِلَّا
لَهَ ظُنْ - وَإِنْ أَسْأَتْ - جَمِيلٌ
مَا مَلَكْتُ النَّى هُوَيْتُ وَلَكِنْ

٥ — سبلي الملاط :

يقول في مطلع قصيدة بحفلة سيدات الملال الأخر في بيروت ^(١) :

ما حيلني وسواهى أعينُ العين
 خططن سفر عذابي قبل تكوبني
 فواتكْ وهي في الأجنان معمدة
 صوائل وهى في غير الميادين
 هن الدواء ، وهن الداء من قدم
 كلها رهن تحريرك وتسكين

ويقول في مجلس أنس ^(٢) :

وافِ الكروم وهاها
 ماء الكروم برخلة
 تولى الكهولة قوّة
 مصورة تروى الكبد
 كالروح تشكيُّ في الجسد
 وإذا مشت وتحكمت
 وتهيج منها ما خند
 بالشَّيخ ردّته ولد
 ساقيتها في فتية
 كالزهر في هذا البلد
 يروى نسيم النهر عن
 نزلوا من الجبل الذي
 ليبنات واشوق إلى
 أخلافهم راحا وشهد
 نشوا به غاب الأسد
 أيام كنت أخا الهوى
 نشأوا به غاب الأسد
 ليبنات واشوق إلى
 عدل الحبيب أو استبد
 كالحظ يُعشقُ مستبد

ويقول ^(٣) :

يا أهل الوادي لي قرُّ
 بسأء الوادي مطلعه
 وبقابي النائب موضعه
 وبدرع الليل تحجّبه
 وبتفاوت النائم تختنه

فوالقلب بلا حبٍ قدح
لم تُرُو الشارب أدمعه
يا ظبياً يرتع في الودي
وبروحي الطبي ومرتعه
ما ألطف روحًا يحملها
مولاي تبارك مبدعه

٩ — فلبل مطرانه :

يتغزل في أدبية جميلة^(١) :

يا عيونا تسق العيون الرحيقا^(٢)
واصلي مُدمِنًا أبي أنت يفينا
أَسْكَرِينِي على الدوام وأفني
مهجتي دمعاً وعزى رحيقا
تلّك خمر الحياة من لم يذتها
مرة ليس بالحياة خليقا
واصطباحاً لشَرِبِها^(٣) وغبوقاً^(٤)
أنت يا من سقت فؤادي منها
حر وجد ولوحة وخفوقا
آمر الحسن أنت يكون شفينا
عذيبني فقد جنيدت على نفسي
ولالقاء خنت عهداً وثيقا
فلهذا العقاب عاودت حُبّي

* * *

ولَا زال حظى التأريقا
فسعادُ أسمى وأنسى عشيقا
لا يباهي والقدَّ لَدُنا رشيقا
أيها النائمون يهنيكم النوم
إن يكُ الساهرون مثلَ كثيراً
فاتني من جمالها الوجه طلاقاً

(١) الرحيق: الخمر

(٢) ديوان الخليل من ٢٧

(٤) الاصطباح: شرب العبايج . الاغتباق: شرب المساج

(٣) أى شاريهما

فأتنى عقلها الذي يبدع الخاطر روحًا وهي كلًا وعروقا
 فاتنى نظمها القرىض كأن تظم عقدًا في جيدها منسوبا
 فاتنى لطفها الذي ينعش الوجود ولو شاء أنشى التوفيقا
 ويقيم الآمال في النفس كالنور يحيي الوجود زهرًا أنيقا
 فَنَّ قَيْدَتْ بِهِنْ فُؤادِي وَارَانِي إِذَا شَكُوتْ عَقْوَقَا
 كُلُّ مُسْتَأْسِرٍ يَوْدَ اِنْطَلَاقَا وَشَقَائِي بِأَنْ أَكُونْ طَلِيقَا

ويقول^(١) يصف قضيته في الحب بين القلب والعين ، ويسلك في هذه القضية سلوك المحاكم : عرض ، ودفاع ، حكم في البدء وحكم في الاستئناف ، ثم نقض وإبرام : عرض القضية .

حملة توهن القوى
 بين قلبي ومقاتلي
 حكمًا قاضي الموى
 ونزاع بفصله
 الدفاع عن العين .

إنما العين أبصرت
 فصبا القلب وأكتوى
 عرضًا أبصرت ولا
 ذنب إلا لمن نوى
 الدفاع عن القلب .

لم يبت شاكى الجوى
 وهو لولا طموحها
 كلما نسمَّ المروء
 مستمرةً خفقة
 من ندى الدمع مرُّتوى
 شبه ظمآن ما له
 الحكم الابتدائي .

قال قاضي الغرام من
 سُدَّةٌ^(٢) فوقها استوى
 إن تلك العين أذنت
 حسبيها الشهد والنوى

(١) ديوان الخطيب من ٢٨ (٢) أى منبر

كيف تُجزى وما غوت
وسواها التي غوى
فهي القلب غرمه
فهي لم تجنب بل هو
حكم الاستئناف.

النفخ والإبرام .

القلوب والقل	هن للهوى رُسُل
لسن للهوى علاء	في الهوى لها علل
ربها وأمرها	يقتضى فتمثيل
حاكمة مشئته	لا تردها الحيل

* * *

عینك التي نظرت	منه جاءها الميل
والرؤاد طاوعها	وهو مكره وجل
فالمسيء غيرهما	ما إليه متصل
إنما الجزاء لمن	عن يصدر الزلل
عملة لما فسلا	لو تعاقب العمال

ويحسن أن نقف من هذه القضية التي أثارها شاعرنا موقف البحث والدرس . قضية بين خصمين : بين العين والقلب . وهما خصمان قويان عنيفان ، قامت بينهما هذه الجملة ، وكانت حملة قاسية ، طال فيها الكُرْ وَالْفَرْ ، وجال فيها الطرفان وصالا ، ولم يدخلوا في ذلك جهداً وقوتاً . فلم يكن بد ، بعد أن دام النزاع بينهما طويلا ، وبعد أن لم يصلوا فيه إلى فصل

الخطاب — أن يرفعوا أمرها إلى قاض حازم حكيم ، عليم بأدواء النفوس ، خبير بطبع القلوب . هو قاضي الموى .

نحن الآن إذن أمام منبر القضاء العادل ، وهذه جمهرة من الناس ، يتزاحمون بالأيدي والناكب ، يشهدون هذه القضية الصاذبة ، الثائرة ، لعل لهم فيها ما يطفئ الغلة ، ويشفي الغليل .
فما هي القضية ؟

من الجانى على ذى الموى ؟ العين التي أبصرت الحبوبة ، فعاد شعاعها يحمل إليه الإعجاب بحسنها وفتتها وزيتها . وسرى هذا الشعاع إلى القلب ، فاهتز وخنق ، واقترب الإعجاب إلى حب وغرام ، وكان من ذلك ألم ، وحرقة ، وعذاب .
من كان سبباً في هذا العناء الذي عاش الحبيب تحت ظلاله ؟
تقول العين :

القلب هو سبب هذا البلاء ، لأنه هو الذي صبا ، وهو الذي خنق . ولو لا ذلك ل كانت النظرة عابرة عارضة . وكم تنظر العين مثل هذه النظرات ! ، فلا يترتب عليها مثل هذا الأثر .

لا ذنب للعين إذن ، ولا إثم عليها .

ويقول القلب :

كيف لا تكون العين سبباً في عناء الحبيب ، وشعاعها هو الذي حمل إلى القلب حسن الحبوبة وجمالها . ولو لم يصل إلى القلب أثر هذا الحسن ما خنق خفة الموى .
إذن لا شك أن العين هي السبب في هذا كله .

وماذا حكم القاضي ؟

حكم قاضي المحكمة الابتدائية :

بأن الغرم على القلب ، وما غوت العين ، وحسبها عذاباً مالتقاء من السهد والنوى .

رأى القلب قسوة وعنفاً في ذلك الحكم الابتدائي فاستأنفه .

وحكم قاضي محكمة الاستئناف :

إن الغرم على العين والقلب ، كلامها جنى ، وكلامها اعتدى ، وكلامها
كان سبباً .

أما العين فقد رأت ، ومالت إلى مارأت ، وأما القلب فقد أحس واهتز ، ولم
يرعو ويزدجر ، فليأخذ كلامها عقابه ، ولينزل جزاءه .

وحكم قاضي محكمة النقض والإبرام :

برأ القاضي العين والقلب ، فلم يجعل لها إثماً ولا ذنباً ، فالعيون والقلوب في نظره
ليست علة للهوى وسبباً ، إنماهى رسال تؤدي رسالتها ، وتخدم صاحبها بأمانة وإخلاص ،
دون أن تكون لها مرحلة بعد ذلك ، تتجاوز فيها عملها ومهمتها . فعمل العين الروية
والبصر ، وعمل القلب التأثير بغيري . وقد ترى العين من هو حسن جميل ، ويتأثر القلب
بذلك الحسن والجمال ، ولا يتولد عن هذا أو ذلك حب وهوى . أو يتولد حب ماجن ،
أو حب عابر ، وهذا ومثله لا يكون ذات قيمة وأثر . هناك علل أخرى تundo الحسن ،
وتعدو إعجاب القلب به .

هناك في نظر الشاعر رب وأمر يحكم ويقضى ، فنمثلكم وقضائه . حاكم
يدين له العالم جميعاً بالخضوع والطاعة ، فتبصر العيون ، وتهفو القلوب ، إذ عانوا لأمره ،
وطوعاً لحكمه .

وهناك في نظرى توافق القلوب ، وامتزاج الأرواح ، هذا التوافق الذى
يخلق منها فكرة واحدة يؤمنان بها ، وينهان بهذا الإيمان . وهذا الامتزاج
الذى يسمى بهما إلى أن يكونا فى عالم الروح ، لا فى عالم المادة ، حيث تتغير
في عيشهما مظاهر الحياة ، فتصبح صفاء ، وطهراً ، وخلوداً . وهذا هو الحب
الصحيح .

١٠ — هبراء خليل هبراء :

يقول^(١) :

كالعشب في الحقل لا زهر ولا ثمر
يُرمي وأكثره المدمن الخطر
إلى فراش من الأغراض يتصرّف
يأنى الحياة ، وأعنوان له غدرها

والحب في الناس أشكال وأكثرها
وأكثر الحب مثل الراح أيسره
والحب إن قاتل الأجسام موتكه
كانه ملك في الأسر معتقل

١١ — زكي مبارك :

يقول تحت عنوان « حلم اللقاء » :
غداً سوف ألقى من حياتي نعيمها
وأقتل أحزاني وأحيي بشاشتي
الآن نحوى الحب بيني وبينه
رياض من اللذات يهفو نسيمهها

وأمسحُ في روض الموى وأجولُ
ويسمع مني فاتني فأقول
وقد غاب عنا كاشحٌ وعدول
فيحبها به المشتاق وهو قتيل

* * *

إذا ضمّنا عند السرّار مقبل
فإن انتظاري شمسه سيطول
أقول لها ما أشتوى وتنول
سأقطع ليلي بالأمانى أديرها
ونحن بفردوس الوصال حلول

أمّى فؤادي بالأحاديث في غدرِ
غد ، أين مني في الغرام صباحه ؟
سأقطع ليلي بالأمانى أديرها
سابدع في تصوير أحلامنا غداً

* * *

وبعض الأمانى الوعادات متطلّع
إذا ضاع ميعادٌ وخارط خليل
تقول الأمانى إن ميعادنا غدٌ
إلى الله أشكو وقدَّةَ الحزن في غدٍ

۱۲ - محمود حسن اسماعیل

يقول في وصف حمامات البحر - خليج ستانلي - :

من علمَ البحر لجاج الموى
وأترع الحب بـ طـانه ؟
وقال للووجة : خـر الصـبا
صـاف ، فـعـي الـكـأس من حـانـه ؟
وأنـشـدـى فـي الشـطـ أـغـنيـة
أـودـعـها النـاي بـأـلـحـانـه !

* * *

يا يدعة الشّط سلبتِ المدّى
 لولا جلال الفن في بُهْرَة
 الْهَبَتُ في شعرِي سعيرَ الْأَظْيَ
 أو أَلْهَمَ الْبَحَرُ مِسَاسَ الْجَبَا
 ولم يكُنْ فِي عَمْرِهِ سَايَّاً
 ويقول: (٢)

يازْهَرْتَنِي ! طلَعَ الصَّبَاحُ وَفِي
مَا زَالَ يَصْرَخُ فِي الْفَضَاءِ فَلَمْ يَجِدْ
أَسْيَانَ (٤) مُخْتَبِلَ النَّشِيدِ أَذَابَهُ
قَلْبُ كَعْصَفُورِ الْأَرَاكَةِ ذِيَّدَ عَنْ
جَرَحَتِهِ بِالْمَهْجَرِ . . . ثُمَّ تَرَكَتْهُ
كَمْ رَتَلَ اسْمَكَ - خَاشِعاً - فَكَانَهُ
الْمَحْرُ عَذَّبَهُ وَأَذْبَلَ رُوحَهُ

(۲) دیوانہ هکذا اُغنى مص ۱۴۴

(ع) ای حزین

(١) دیوانه هنکذا أغنى من ١٣٧
 (٢) ناغمة: كلها كلاماً رقيقاً ضعيفاً

وماذا قال الشاعر في قصيدة : يا زهرتى :

قدم الشاعر نفسه هذه القصيدة في ديوانه — هكذا أغنى — بهذه العبارة :
« عصفت بقلب الشاعر عاصفة من الوجد الصارخ عقب فراق مفاجئ ، نكتب
به منذ عامين ، فاستحالت حياته إلى جحيم من العذاب النفسي ، والقلق المرض ! ..
وقد تزعج به الحنين — يوما — إلى قصر عذر الله الملهمة ، حيث مهد غرامه ، وشط
الماء ، فنسق الشعر ، إلى أستاده في الصباح بنظارات مشدودة .. وروج شارد ،

(١) يقال لبع البرق لمحاناً وتلماحاً : لم
(٢) نفخ الطيب : انتشار رائحته

فوق لحظة ثم عاد بهذه الدموع المشتعلة — التي سكب نارها في هذه المناجاة !! »

هذه التقدمة تكشف لنا ماذا يعني الشاعر في هذه القصيدة .

يخاطب الشاعر حبيبه ويناجيهما ، يثنياً ألمه وعداه ، في هذا الفراق الطويل .

ولم يستطع أن يتحمل مرارته ، فهرع إلى دارها ، لعله يخفف هذه الآلام .

طلع الصباح ، وفي فمه نعم ينوح ، ولكن من يسمع نواحه ؟ ينوح ويصرخ في الفضاء ، وهو حزين ، مبتئس ، كسير القلب ، مهيب الخناх ، ولكن من يرق ويرحم ؟ أين من يردد صدى هذا النواح ، وذاك النغم ؟

قد جرحته بال مجر ، والمجر عذبه . وبكي ، فما أسا قلب الحبيب .

حجبوها ، ولكن لن يستطيعوا ذلك . فستانا نورها يسطع في الحشا والقلب .

حجبوها . ولكن لن يستطيعوا ذلك . فبعيرها يروى دمه ، ويدرك فؤاده .

حجبوها . ولكن لن يستطيعوا ذلك . فإنه يهتف باسمها ، وينشد الحات
جها وهوها .

حجبوها . ولكن لن يستطيعوا ذلك . فقلبه يختنق بحبها ، ولن يحولوا بين القلب
وخفاته ، ولا يزيد الفراق إلا لوعة وحنينا .

وافاها صباحا ، وعاد خائبا محسورا ، لم يظفر بوصول أولقاء . ولم يظفر بما يشق عليه ، ولم
يبق منه الحب إلا الآنة والأكة ، ولم يبق منه إلا الفزع والقلق ، ولم يبق منه إلا القصيدة ،
هي نفثة قلب المكلوم ، إذا ردّ الحانها انقلب نور هذا العالم ظلاما حالك السواد ،
وانقلب نعيمه ، بؤسا وشقاء . ويأتي دور العواذل ، وهم بلاء الحسين . يقولون
إن حبه إياها هو وجون ، فليحجبوها عنه . وهم كاذبون واهمون . فلهم صادق
دفين برى ، كم جرعة من اتراح وأحزان . سيظل يهتف باسمها ما بقي الزمن ،
وما بقي حياف هذا الزمن . ومن يدرى لعل روحه يهتف باسمها ، إذا انتقل إلى
الحياة الأخرى ؟ .

١٤ - سید فطح

يقول تحت عنوان «الكأس المسمومة»⁽¹⁾

أقلاك أقلاك كالشيطان أقلاك
أقلاك . إنك في نفسى وفي زمنى
سممت عيشى وأحلامى وأخيارتى
وعشت أرعاك فى قلبي وأنت بلا
من أنت ؟ ماأنت ؟ إنى حارقانى

三

أنسى اليمالي الذى قضيّتها قلماً
أنسى المموم الذى أرسلتها غدقاً
وكم يائى الذى ما كنّت أخضّها
أنسى لاذكراً أحلامى وأخيلى
وكلهن نجوم بين أحلاك
ولسن غير علالات وأشاراك

10

أهواك؟ لیت؟ فإنی لست أهواك
 بين الهوى والقلی كالضاحک الباکی
 ولست أروی بكأّس غیر ریاک
 هذا الرحیق فإنی لست بالشاکی
 ولا أحطّهمها تحطم سفاک
 أفلّاك؟ لیت؟ فإنی لست أفلّاك
 أهواي وأقلی وأیامی موزعة
 هذا الرحیق وهذا السم قد سرّجا
 هاتی لی السم صرفاً لا يمازجه
 مللت كأّسک لا ألتذ نشوتها

三

(١) قبلت في ٣ مارس سنة ١٩٤٣

يحدثنا الشاعر في هذه القصيدة عن صيابة نفسه .
والناس يكرهون الشيطان ، لأنه يضلهم طريق الحياة ، ويكرهون الأفعى ،
لأنها تؤذفهم ، وتبدي لهم بسمومها الفتك .
والحبيبة كالشيطان ، وكالأفعى . ولا شيء أنتك على الحبيب أو أكثر أذى له ،
أو انتقاما منه — كالحبيبة إذا هجرت ، وتنعمت ، وتجنت ، وتدللت ! وهذا كره
شاعرنا حبيبته .

لأنها سمت عيشه ، وأحلامه ، وأخيته .

وكيف سمت هذا العيش ؟

عاش يرعاها في قلبه ، وهي بلا قلب يحس ويرعى ! قضى أيامه وليليه قلقاً في
هواءها ، وهي ساكنة راضية الحيا ! كان يرسل دمعه غدقًا ، ولو لا هواءها ما دمعت
عيناه . وهي قاسية القلب ، متحجحة العيون . خفف كبرياته ، وهو الأشم الأبي ،
ولولا حبها ما خضها من قبل أو من بعد .
ولكنه في حيرة من هذا الكره .

ليته يكرهها ، حتى يخلص من آلام حبها .

ولكنه لا يكره . لأنها حبيبة نفسه . وليس إلى كراهيتها من سبيل .

بل هو في حيرة من هذا الموى .

هو حقاً يهواها ، ويشتهي أن تبادله الموى ، حتى يطول ويدوم .

ولكن حالها معه من صد وهر تجعله يقابلها بالمثل ، فلا يهواها .

فالله إذن بين هوى وقل ، كالضاحك الباكى .

وهو في حال تعطيه السم صرفاً فيرضي ولا يشكوا ، وفي حال يمل كأسها ،

لا يلتفت نشوتها ، ولا يحيط بها ، فيخلص منها .

١٤ — عبد العزيز هشتيو

يقول^(١) يصف شاطئ البحر :

عم صباحاً يا كعبة المصطاف
وملاذ الأحباب ، والألاف
قد سعينا إليك يسبقنا الشو
ق ، فإذا أعددت للأضيف ؟
نخن ركب الجمال والفن جثنا
نتملاه في الوجوه الطفاف
فانظم الشاطئ ، الكريم جمالا
ويقول^(٢) « وقد ركب مع حبيته في إحدى الليالي زورقاً » .

حيينا ذهب الأصيل مياه النيل
ل واحتلال في الرياض جيلا
أبصرتني أطوف حول حماها
سادر الخطوط ، حائراً مذهولا
هفتت بي : إلى ياصاح أقبل
أنا من قد بحثت عنها طويلا
ذاك وكُرُّ الموى ، ألسست تراه
متلماً كان شاعرياً ظليلياً ؟
ذاك روسي فقر عينا ونفساً
يا حبيبي واجلس إلى قليلا

* * *

كيف جانبتَ روضك الفينانا
أتسليت أم نسيت المكانا ؟
كلما طفت بالمكان أثارت
وقفات الوداع مني الخانا
وأرى القلب في غيابك أمسى
يا حبيبي موزعا حيراها
أيها الغائب الذي خالط القلب هواه فذاق منه الموانا
خذ ذراعي إلى ذراعك وأصعد
ربوة الأمس واسقني الألحانا
رب ليمـلـ سهرته أتقلى
فيه وحدي وأشتكي الحرمانا

* * *

ها هو العود حملًا بالأغاني
فأعدها سحرية الأنعام
ها هو العود ياحببي فعن
غن للحب ، للفوس الظواهي
فإذا ما شئت عنك بنفسك
و بما هاج من هوى وضرام
قدع العود جانباً ، وأدرها
قبلات من ثغرك البسام
ودع الربوة الظليلة تخفي
أثرينا بظلها المترامي
ولنش هنا كما نتمنى
لالأغاني ، للحب ، للإلهام

* * *

هذا جانب الغزل في الشعر . وللغزل النثري في هذا العصر حظ لا يأس به
بغضل ما قام به بعض الكتاب من ترجمة عن الأدب الأجنبي . وبفضل ما وضعيه في
هذا الباب من رسائل ممتعة . وسأوفي هذا الموضوع حقه في كتب الغزل الأخرى .

* * *

أغراض الغزل :

ولعلك أيها القارئ الكريم ، بعد أن صرت بك هذه الأمثلة من شعر هذا
العصر ، تستطيع أن تتبيّن صورة صحيحة لأغراض الغزل .
فلا يزال من سنة الشعراء في هذا العصر كما كانت ستتم من قبل أن يبدوا
قصائد़هم بالنسبة ، وذلك هو الغزل الصناعي .
 وإن كان بعضهم قد بدأ القصيدة بوصف الحُمَر ، وبجالس اللهُو ، وما إلى ذلك ،
ولكن بقى البدء بالنسبة كثيراً غالباً .

ولا يزال الغزل الماجن قائماً في هذا العصر ، نتيجة اختلاط العرب بالغرب ،
ونتيجة تأثير المدينة الغربية في المدينة الشرقية ، ونحن نعرف ما يشوب المدينة الغربية ،
من هو ومجون ، وعيث وفساد ، وقد امتد هذا إلى الشرق في صور شتى ، ولو لاما مناعة
الشرق ، لطعن سيل هذه المدينة ، وجرف أمامه مظاهر الخير في عادتنا ، وتقاليدنا ،

وعقائدهنا . ومن المؤلم حقاً أننا حاكينا الغرب في كثير من ضروب العيش الساخرة الماجنة ، وتركنا ما هنالك من ضروب أخرى ، فيها قوة ومناعة . ومن المؤلم أيضاً أن امتدت هذه الحاكاة إلى الأدب ، وإلى الشعر ، وإلى الغزل .

إذن تغزل شعراء هذا العصر غزلاً ماجناً ، وقد تسمع الشيء الكثير من هذا الغزل الماجن إذا أنت جلست إلى جماعة من شعراء الغزل في هذا العصر ، وأنست إليهم ، وأنسوا إليك ، وكانت تجتمع بهم ساعة من الهو والفراغ . سيسمعونك — وخاصة إذا كانوا شباباً — كثيراً من الغزل الماجن ، وقد يكون مجونه بالغاماً فاتقاً . وخاصة إذا أمنوا جانبيك ، ولم يتحرجو منك ، ولم يخافوا تشهير الناس بهم ، وعتهم وملامهم . ولو لا خوف التشهير واللام لقرأت جهراً ، وسمعت جهراً ما يصح أن تقرأه وتسمعه سراً .

ولعله بعد ذلك يجيء دور الغزل الصادق ، الغزل البريء ، الغزل ذي العاطفة الملتهبة ، والقلب المرهف .

هذا النوع من الغزل وجد في هذا العصر ، ووجد بكثرة لا شك فيها . وجد نتيجة لقاء الفتاة ، الفتى الشاعر ، والفتاة الفتاة . عرف كلها الآخر ، وامتزجاً عاطفة ، وقلباً ، وروحًا . فهام كلها بالآخر . أما هو فترجم عن هيامه بقافية وألحانه ، وأما هي فأذكت فيه الحس حتى أصبح رائعاً ، وأذكت فيه القلب حتى أصبح يتحقق خفقة الغرام . الغرام الذي لا يعرفها إلاهي ، ولا يتحدث إلا عن وحيها ، ودلتها ، وحسنها .

وإنك لتجد أمثلة من هذا النوع من الغزل ، وخاصة لشعرائنا الشبان المحدثين ، أو خاصة لشعرائنا في عهد الحداثة والشباب .

اقرأ هذه الأمثلة ، التي صرّ بك شطر منها وأيتها وجدت قلبك يتحقق ، ووعيك يهفو ، وسمعتك يطرب ، فاعرف أن هذا هو الغزل الصادق .

واقرأ^(١) :

مني أطيب التي يا حبيبي	فالمى وحدهن منك نصيبي
إن يفتنا منها لم تفتنا	نظرة من خيالها المرقوب

* * *

مني بل دع التي يا حبيبي	فشقا في الموعد المكذوب
هان فقد التي التي لم تعدنا	وافتقاد الموعود جد صعب
أعطني! أعطني إذن يا حبيبي	غير ما ناك ولا مستجيب
أعطني صفوك ارجلا ودعنا	من مطال بالوعد أو تقريب

واقرأ^(٢) :

إن تسل في الشعر عنِي	هكذا كنت أغنى
لا أبالي أشجع سَمَّ	عَكْ أَمْ لَمْ يُشْجِعْ لَهْنِي!
هو من روحي لروحِي	صلواتٌ وتقىٌ
وهو من قلبي ينابِي	مُ بَهَا يَهْنَدِرْ فَتِي
للأسى فيها تعالي	لَ وَلَيَسْ تَهْنِي
وهو إحساسِي الذي ينساب كالجدول مني	وَهُوَ إِحْسَاسِيَ الَّذِي يَنْسَاب كَالْجَدُولِ مِنِّي

وقول الشاعر^(٣) :

يا مُخْتَيَّا عَبْدَهُ	مَكَنَا أَغْنِي لِلْأَسْنَادِ
وَجَالَا عَشْقَهُ	(٢) مَكَنَا أَغْنِي لِلْأَسْنَادِ

(١) مدحية الكروان للأستاذ عباس محمود العقاد من ٤٣

(٣) أحلام التخيل عبد العزيز عتيق من ٩٧

محمود حسن اسماعيل من ٢٣٩

وقول الشاعر^(١) :

وَجَمِيلٌ إِلَّا التَّجْنِي فِرْشٌ
وَالْهُوَى جَاحِمٌ فَأَيْنَ الْفَرْ؟
أَنَّهُ لِيْسَ فِي الْمَذَلَّةِ وَزِرْ
وَكَفَانِي أَنَّ الشَّوْبَةَ كَهْرُ
وَالْتَّيَاعَ الْأَسَى سَعِيرُ وَجْهُرُ
وَأَنِي نَّا وَزْفَرَةً لَا تَقِرَّ

جَنَّةُ الْحَسْنِ كُلُّ مَا فِيكَ حَلْوٌ
أَنَا مِنْ هَامٍ فَاسْتِبَاحَ التَّشْكِي
أَنَا مِنْ ذَلِ فِي هَوَالِكِ وَحَسْبِي
أَنَا مِنْ أَرْسَلَ الْمَدَامَعَ شِعْرًا
أَنَا مِنْ ذَابَ مِنْ أَسَاكَ التَّيَاعَ
أَنَا مِنْ ذُوبَ الْفَؤَادَ دَمَوْعًا

وقول الشاعر^(٢) :

وَضَعِي يَمِينِكَ فَوْقَ خَفْقِ ضَلَاعِي
حَرِ الْبَكَاءِ وَصَرْخَةِ التَّرْجِيعِ
يَشْفِي جَرْوحَ فَوَادِيَ الْمَصْدُوعِ
خَفْقَ الْحَنَانِ لِقَلْبِيَ الْمَفْجُوعِ

هَاتِي دَمَوْعَكَ تَسْتَدِرُ دَمَوْعِي
تَلْقِي فَوَادِيَ كَالْوَلِيدِ أَمْسِهِ
نَبْهُ رَسُولُ الْمَعْطَفِ يَالِيلَ الْأَسَى
فَهُنَاكَ قَلْبٌ يَحْتَوِيهِ خَافِقٌ

وقول الشاعر^(٣) :

لَا تَخْشِي يَاطِيرُ مِنِي أَيِّ عَدُوانٍ
كُلُّ الطَّيُورِ أَحْبَائِي وَخَلَائِي
وَهَبْتُ لِلْطَّيْرِ تَهْنَانِي وَغَفْرَانِي

يَاطِيرُ لَا تَخْشِي مِنِي الْآنِ عَادِيَة
فِي الرَّوْضِ لِي صَاحِبٌ مِنْ أَجْلِ خَاطِرِهِ
لِبَلْبَلِي — وَلِعَيْنِي — وَطُهْرَهَا

وقول الشاعر^(٤) :

تَذَوَّبُ مِنَ الْحَرَارَةِ فَوْقَ صَدْرِكَ
عَلَى بَلَوَائِي — بَاقٌ طَوْعَ أَمْرِكَ

أَفَا تَنْقِي أَنْظَرِي كَبَدِيَ الْمَعْنَى
وَفِي نَهْدِيكَ بَعْضُ دَمِي وَإِنِّي

(٢) أَلْهَانُ الْأَلْمَ فَايِدُ الْعَمْرُوسِيِّ ص ٨٥

(١) أَحْلَامُ الرَّبِيعِ مَاهِرُ زَمْهَرِيِّ مِنْ ٨٤

(٤) الْهُوَى وَالشَّبَابُ — دِيْوَانُ أَمْرَد

(٣) أَشْوَاقُ — دِيْوَانُ مُحَمَّدِ أَبْوَ الْوَفَاءِ مِنْ ٧٣

عِيدُ النَّفُورِ عَطَارِ مِنْ ١٥٦

فقالت — وهي باسمة — أصدقْ مقالك؟ أم تراه بعض شعرك
أنت بشاعر ، والشعر كذب . تخدعني به يا سوء مذكرك
فقلت : استغفرى ولديك جسمى وروحى يشهدان ب فعل هجرى
هجرت — وما أظنك عن ملال — وجئت فرحجاً بك في مذكرك
هنا في القلب دارك فاستقرى . وشيدى عالما حيا بسحرك
وفي دمى الطهور هواك يجري . وفي عيني يسطع كل سورك
وكيف أشق في الدنيا طريق : إذا لم تهدنى أضواه بدرك

* * *

فأنت تحس من هذه الأمثلة ، وما ذكرنا من قبل وهج العاطفة الملتهبة ، التي
تعيش في صدور الحبيبين .

كان الشعر في عصوره الأولى سليقة وطبعاً ، وهو قريب من ذلك في بعض
الصور اللاحقة . أما الشعر في عصرنا الحاضر فقد أصبح فنا ، نبذقه ، وندرسه ،
وتتعلمه ، ليكون وحي نفوسنا ، وترجمان ما تعيش به ، من أمل وألم ، ومن حب
وغرام ، ومن شكوى وأنين . فيما الفتى الشاب الناشر ، قد خرج إلى هذه الحياة من ودا
بالعلم ، والثقافة والأدب . نظر بعينيه فرأى الفتاة الفضة الناشرة . راقه حسناها
وجمالها . وعقد الحب بينه وبينها آصرة من الود ، والإخاء . وكان بعد ذلك فراق ولقاء ،
وهيرو وصال ، ثم كان شدو ، حين تبسم له الحياة ، وشجعوه ، حين تعبس في وجهه الأيام .
كل هذا يدعو النفس الثائرة إلى أن تتنفس ، ويدعو القلب الحساس إلى أن يخفق .
وكل هذا يريد أن ينشره على الناس ، حتى يفرحوا ويطربوا ، كما فرح وطرب .
وحتى يشاركه في شكواه وبلوائح ، حين يكون له حظ من البلاء والشكوى . إذن
هو في حاجة إلى أن يصور خفقات قلبه ، وخلجانات نفسه .

وليكن الشعر أداته ، حتى يسمع الناس جيئا ، فيشوقهم ، لأنّه صادق ملتهب ،
وحتى تسمعه الحبيبة ، فيكون نجواها ، حين تسكن إلى مخدعها ، وحين تكون بعيدة
عن عيون الرقيب ، لعلها ترق ، أو ترم ، أو تلين .

في هذا اللهيّب من العاطفة ، وفي هذا الصدق من الشعور ، وفي هذه النجوى
تقرأ نوعاً من الغزل ، لم يتّخذه الشاعر بضاعة وصناعة ، ولم يتّخذه للهو والتجون ، بل
اتّخذه ليكون وحي إحساسه ، وترجمان شعوره . وهو إحساس الحب ، وشعور الفرام .

* * *

على أن نوعاً آخر من الغزل جدّ في هذا العصر ، وكانت له ثمار طيبة . هو الغزل
المسري .

إذ قام جماعة من الشعراء بتأليف روايات مسرحية شعرية ونثرية ، وكان الغزل
فيها الحظ الوافر .

ومن هذه الروايات الشعرية : مجنون ليلي ، وكليوبطرا - لأحمد شوقى -
والعباسة - لعزيز أبااظة - ، وغفراء - لفaid العمروسي - ، ولولادة - لعلي عبد العظيم .

يقول **أحمد شوقي** : في رواية مجنون ليلي

ابن عوف^(١) :

لا تكتب و تعال يا قيس استرح ما تكابد في المسوى وتلaci

قيس :

هل أنت آسٍ يا أمير جراحى أم أنت من سحر الصبا به راق ؟

ابن عوف :

بل من روانك قيس من زمن مضى لم أخل قيس عليك من إشفاق

(١) مجنون ليلي من ٤٦ .

قيس :

منذا أباح له دم العشاق ؟

بدم على سيف الجفون مراق

قل للخليفة يابن عوف في غدر
هدرت حكومته دمي فتحرشت

ابن عوف :

يا قيس

أرَضيَتني عند الخليفة شافعماً ؟

لا والواحد الخلاق

قيس في أنفة :

ليلي وناشد قلبه أشواقى

واذْ كُرْ لِهَا عَهْدِي وصَفْ مِيثَاقِ

كُرْمَا وَفَكْتَ يَا أَمِيرَ وَثَاقِي

و يقول على عبد العظيم : في رواية ولادة - بين ولادة ووصيتها -

ولادة :

من الأمانى والأحلام كفاه ؟

كأن آماله العظمى منياباه ؟

ما للسعادة في الدنيا ومن صفت

ما قيمة العمر أطويه مدللة

عتبة :

داويه بالحب وأستجلِي مباهجه .

ولادة :

وهل يحب جريح القلب مضناه ؟

عتبة :

ولا استساغت مذاق العيش لولاه

لولا الموى ما انطوت نفس على أمل

ولادة :

وهل عرفت الموى يا عتبة

عتبة :

لقد أمات الموى قلبي وأحياء

ولست مهما تراخي العمر أنساه

والهفا

إني عرفت الموى مذكنت يافعة

ولادة :

على الخطوب ، ويهاوي وأهواه ؟
وتسكب الحب في عيني عيناه
وإن أناخت هموم بت أرعاه
أفراخنا الزغب تعبو في زواياه
هتافها فيه « يا أمي » « ويأبتي » فما أرق أبي منها وأهواه

* * *

ولملك عرفت أيها القارىء الكريم صورة عن الغزل في هذا العصر ، وصورة عن الغزل في سائر المصور ، وعرفت أنه غزل كريم لا يبعث فيه ولا فساد ، بل فيه عاطفة ، وفن وذوق ، وأدب . يؤذن بخير ونهاية ، وصل إليها العرب بعد جهاد طويل ، في سبيل الحرية والاستقلال ، فأباوا البلاء الحسن ، حتى كان لهم هذا النجاح والتوفيق . ومن ثم تفتحت الأزهان ، وتيقظت العقول ، إلى حياة جديدة ، فيها بعث ، وفيها نشاط ، وفيها ثروة . ولم يتختلف الأدب عن هذه الحياة ، بل كان مذكراً وموحياً ، ثم كان عنوانها وترجمتها .

وإلى على يقين أن سيكون للعرب أدب رفيع ، يمثل هذا النضيج الذي وصلوا إليه ، وسيصلون إليه قوياً ، رائعاً ، في العلم ، والفن ، والسياسة .
وأرجو أن يكون هذا قريباً .

بغضل ما حبانا الله من دور العلم ، وفي مقدمتها الأزهر ، وجامعة فاروق الأول ، وفؤاد الأول ، ومن بينها دار العلوم التي أسبغت على اللامة والأدب ثوب اليقظة ، وثوب القوة . ودور الثقافة ، وهي في مصر ، وفي الأقطار العربية كثيرة العدد ، قوية البناء ، تقدم بين يدي القارات والقارئين ألواناً جديدة من الكتب المؤلفة ، والمترجمة ، ومن بينها « لجنة البيان العربي » التي أنشئت منذ عام ، تحقيقاً لهذا المدف النبيل ،

الذى نرجوه ، ونصبو إليه ، وعلى رأسها رجل العروبة والإسلام الأستاذ الجليل محمد على علوية باشا . بفضل الجمع اللغوى الملكى ، وجامعة الدول العربية ، وسائر الجماعات والأندية العلمية والأدبية . وبفضل المذيع ، والصحافة والمجلات .

بل بفضل هذا التراث الكريم الذى خلفه لنا العرب الأولون . وأرجو أن تستخرج منه أواناً من الخير ، والفائدة ، فى جميع مظاهر الحياة . فالأمم الكريمة لا تحيى إلا إذا وصلت حاضرها بحاضرها ، ووصلت مستقبلها بحاضرها . وبهذا يكون البناء سليماً ، متاسكاً ، مستمدًا من وحي التاريخ ، فينمو ، ويقوى ، ويرتفع على قدر ما يبذل أبناءه من جد ونشاط . فلم لأنصل حاضرنا بحاضرنا ؟ وفي ماضينا ما يسمى بنا ، وفي ماضينا ما نعتز به وننخر .

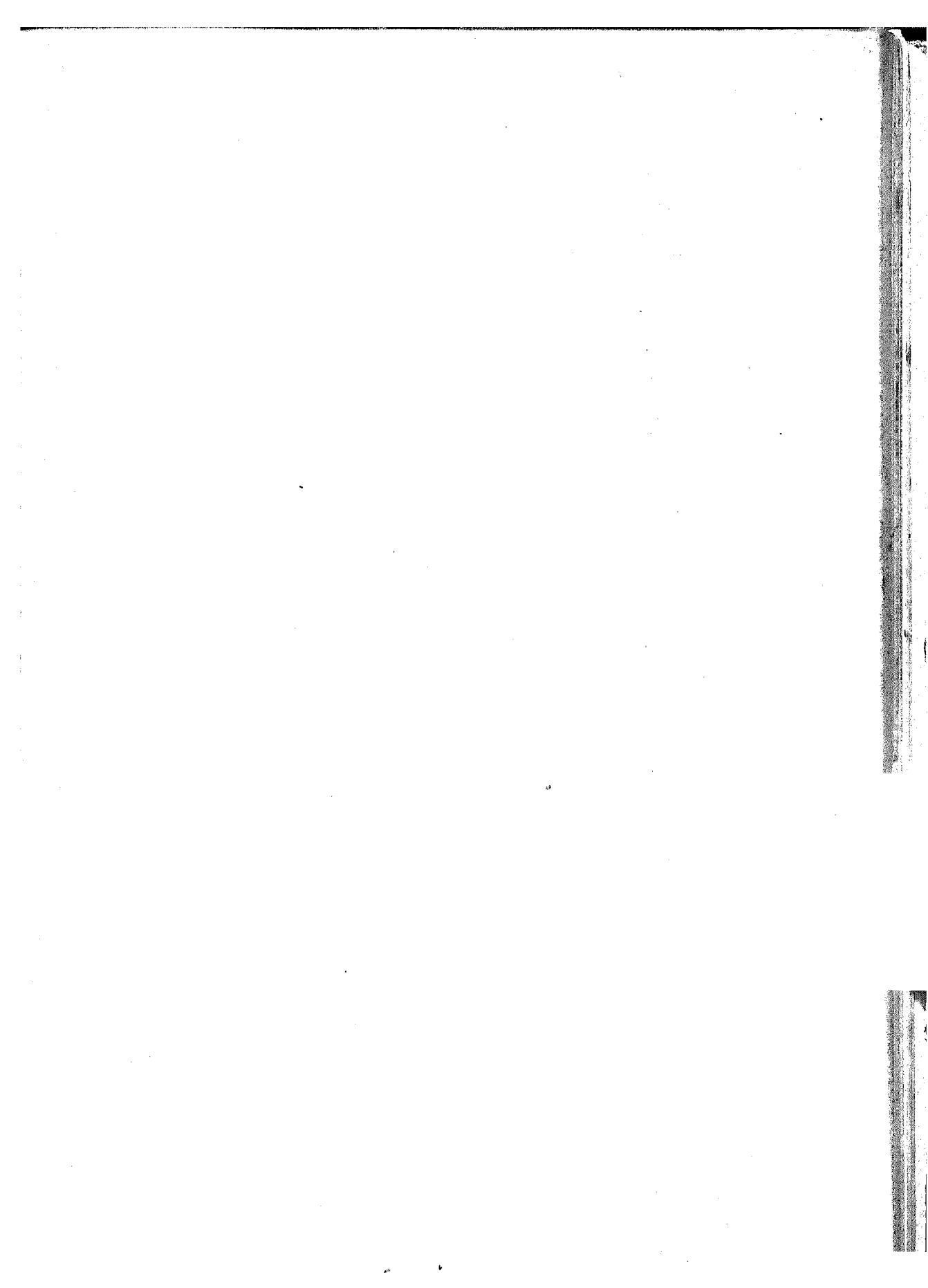
ورعى الله هذا الأدب الجليل الذى خلفه لنا هؤلاء الأدباء . ورعى الله هؤلاء الشعراء الأجداد ، الذين نفحونا بهذا المجال من الأنفاظ ، والمعانى .

ورعى الله شعراءنا في هذا العصر ، وقد كانوا صلة الأدب بين الحاضر والماضى ، وحملوا هذه الرسالة الكريمة فما ونوا ، ولا قصرروا . وأدباءنا ، وقد بسطوا بين أنظارنا هذا الشعر ، فنقدوه ، ونثروا درره ولائه .

ومن توفيق الله أن هيا الله لبلاد العرب ملوكاً وحكاماً ، حملوا لواء النهضة ، وأذكروا فيها أسباب القوة . وفي مقدمة هؤلاء فاروق مصر ، ولنا بل وللعرب جيئاً من روحه السامي ، ومن رأيه السديد ، ومن شبابه الفتى ، ومن طموحه الوثاب — ما يبشر بالخير ، وتحقيق الآمال .

أطال الله عمر الفاروق . وبسط للعرب والمسامين على يديه ، وعلى أيدي عاهلينا الكرام ، ورجال الرأى والفكر فيينا — كل أسباب الرفعة والجد .

إنه سميع مجيب مـ



مراجع الكتاب

- ١ — الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى : من الجزء الأول إلى العاشر — طبع دار الكتب . وما بعد ذلك طبعة قديمة .
- ٢ — الأمالى لأبى على القالى — طبعة دار الكتب .
- ٣ — نهاية الأربع للنويرى — طبعة دار الكتب .
- ٤ — العقد الفريد لأحمد بن عبد ربه — طبع المكتبة التجارية .
- ٥ — عصر المؤمنون : للدكتور أحمد فريد رفاعى — مطبعة دار الكتب .
- ٦ — معجم الأدباء : لياقوت الرومى — عشرين جزءاً .
- ٧ — زهر الآداب : لأبى اسحق الحصري — المطبعة الرسمانية . شرح وتعليق الدكتور زكى مبارك .
- ٨ — البيان والتبيين : للباحث .
- ٩ — ديوان الحماسة لأبى تمام الطائى — مطبعة السعادة .
- ١٠ — المفضليات : للضي — الطبعة الأولى سنة ١٩٢٦ م .
- ١١ — الشعر والشعراء : لابن قتيبة :
- ١٢ — عيون الأخبار : لابن قتيبة .
- ١٣ — المزهر : للسيوطى — الطبعة الأولى سنة ١٩٢٥ م .
- ١٤ — المخصوص : لابن سيده — طبعة بلاق سنة ١٣١٦ هـ .
- ١٥ — مقدمة ابن خلدون .
- ١٦ — المستطرف في كل فن مستظرف : للأ بشيرى .
- ١٧ — تزيين الأسواق : المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣٠٨ هـ .
- ١٨ — تاريخ آداب اللغة العربية : لجورجى زيدان .
- ١٩ — الوسيط : لأحمد الاسكندرى .
- ٢٠ — حديث الأربعاء : للدكتور طه حسين بك .
- ٢١ — ضھى الإسلام : للأستاذ أحمد أمين بك .
- ٢٢ — بلاغة العرب في الأندرس للدكتور أحمد ضيف .
- ٢٣ — شاعر الغزل : للأستاذ عباس محمود العقاد .

الدواوين الشعرية :

- ٢٤ — ديوان المنبي : شرح وتعليق البرقوق .
البحترى : طبعة هندية سنة ١٩١١ م . ٢٥
ابن الروحى : اختيار الأستاذ كامل كيلاني . ٢٦
عمر بن أبي ربيعة : طبعة بيروت . ٢٧
اسماويل صبرى . ٢٨
محمد عبد المطلب . ٢٩
أحمد شوقي . ٣٠
حافظ إبراهيم . ٣١
خليل مطران . ٣٢
عبد الحسن الكاظمى . ٣٣
المواكب — جرمان خليل جرمان . ٣٤
محمد رضا الشيبى . ٣٥
على الجارم بك . ٣٦
المعروف الرصافى . ٣٧
٣٨ — دراسة أدبية لشاعر العراق — معروف الرصافى — للأستاذ بدوى طبانة .
٣٩ — ديوان هدية الكروان للأستاذ عباس محمود العقاد .
٤٠ « وحي الأربعين » .
٤١ « أعاصر المغرب » .
٤٢ الملاط : طبعة بيروت .
٤٣ هكذا أغنى : للأستاذ محمود حسن اسماعيل .
٤٤ أحلام التخيل : للأستاذ عبد العزيز عتيق .
٤٥ الموى والشباب للأستاذ احمد عبدالغفور عطار .
٤٦ أشواق : للأستاذ محمود أبو الوفا .
٤٧ — مسرحية : مجنون ليلي : أحمد شوقي .
٤٨ « ولادة : للأستاذ على عبد العظيم .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٨٥	الفصل الأول : رقة الحس	١	المقدمة باب الأول :
٩٧	» الثاني : سعة الحيلة		معنى الغزل وألفاظه
١١٥	» الثالث : الطموح		الفصل الأول : معنى الغزل
١٢٢	» الرابع : التضخية	٧	الفصل الثاني : ألفاظ الغزل
١٣٣	» الخامس : الصبر	٩	باب الثاني :
١٣٧	» السادس : الوفاء		نشأة الغزل -- دواعيه
	باب الخامس :		الفصل الأول : نشأة الغزل :
١٥٢	تطور الغزل	١٢	الفصل الثاني : دواعي الغزل
١٥٣	الفصل الأول : الغزل بالذكر » الثاني : أقسام الغزل :	١٥	١ — بيضة العربي وطبعه
١٥٨	١ — الغزل الصناعي	١٦	٢ — اختلاط الرجل بالمرأة
١٦٧	٢ — الغزل العذري	٢٦	٣ — أسواق الأدب
١٧٦	٣ — الغزل الماجن	٣٧	٤ — مظاهر الترف :
١٩٢	الفصل الثالث : شعراء الغزل	٤٠	١ — الشباب
١٩٤	في المصر الجاهلي	٤٣	ب — الجواري
١٩٥	في صدر الإسلام والمصر الأموي	٤٩	ج — الفناء
٢٠٤	في المصر العباسي		باب الثالث :
٢١٨	في المصر الحديث :		شفف العرب بالغزل
٢٢٢	دواعي الغزل	٦٦	باب الرابع :
٢٤٢	شعراء الغزل		أثر الغزل
٢٧٧	أغراض الغزل	٨٢	

فهرس الأعلام

- | | |
|--|---|
| أبو بكر الصولى : يصف رقة الفتاء ٥٧ — ١٩
أبو دهبل : يتغزل في عمرة ٣٦ — ١ ، وفي
عاتكة بنت معاوية بالحج ٧٢ — ١٠
أبو الشيس : يتغزل في جارية سوداء ٤٨ — ١٩
أبو صخر المذلى : يرضى بتعينها لأنه لا يقدر
على هجرها ٩١ — ٥ ، حلاوة الحديث
١٧ — ٩٤
أبو العاشرية . ينصرف عن الفزل ويريد الرشيد
أن يتغزل في أبي ، فيحبه ٤٢ — ٨
أبو عبيدة : يتغزل في — أمان — الجارية ٤٩ — ١
أبو الفضل الميكالى : الصبر على حكم الرقيب
١١ — ١٣٥
أبو نواس : يمحج ليري « جنان » ٢٥ — ١٣
يتغزل في جنان ٤٩ — ٧ ، من
غزله ١١٠ — ١ ، يمحج ليجتمع بجنان
١٦٧ — ٦ ، يتغزل بالذكر ١٥٣ — ١٧
يتغزل في أول قصيدة مدح ١٦٢ — ١٠
يصف المحر ٢٠٧ — ١٢
أبو نوافل : أهل الرقة لا يسلعون من العشق
٨٢ — ١٤
أحمد بن أبي داود : يطرب لفتاء ٥٢ — ٣
أحمد راي : من غزله الفتائى ٢٣٣ — ٥
أحمد شوقى : يتغزل في أول قصيدة مدح
١٦٣ — ١٨ ، من غزله الفتائى
٢٣٣ — ١٣ ، يبدأ بوصف المحر
٢٤٥ — ١٣ ، من غزله ٢٤٦ — ٣ ،
٢٤٧ — ١ ، من مسرحية مجذون ليل
٢٨٢ — ١٣
أجed ضيف : النساء منبع الشعر ٨٣ — ٣
أحد عبد الغفور : من غزله ٢٨٠ — ١٧
الأحوص : في مجلس نساء ٢٩ — ١٥ | ١
ابراهيم الوصلى : يعقوب عنه الرشيد لحسن غنائه ٥٤ — ١٦ ، يتغزل في ذاته الحال ويفنى
٦٣ — ٢ ، من تمجي الحبيب ١١٣ — ١٣
ابراهيم بن المدبر : يتغزل في عريب ٦٣ — ١٥
ابن الأعرابى : حلاوة الحديث ، لا يطبيع العواذل
٤ — ١٤٦
ابن خلدون : بلاد العرب لا تبتز زرعاً ١٥ — ٧
ترف الأمم الغالية ٣٨ — ٢٠ ، مما
الفتاء ٤٩ — ١٧ ، دواعي الفنان ٥٦ — ٣
ابن دريد : أكثر المروف استعمالاً عند العرب
١٠ — ٢١
ابن المدينة : في الوفاء ١٤٥ — ١٣
ابن رامين : عرض الجواري في منزله ٤٣ — ١٨
ابن الروى : يتغزل في وحيد المغيبة
٦٤ — ٢ ، وفي مظلومة ٦٤ — ٧
يبدأ الهجاء بالغزل ٦٧ — ٩ ، من تمجي
الحبيب ٨٩ — ١١ ، ٩١ — ٩١ ، حلاوة
الحديث ٩٤ — ٢٠ ، لا مزيد في حسنها
ولا في هواها ١١٨ — ٤ ، يتغزل
بالذكر ٢١٠ — ١٦
ابن زيدون : من غزله ٩٠ — ٥
ابن سريج : يغنى في طريق الحج ٥١ — ٦
يغنى سليمان بن عبد الملك في الحج ٥٤ — ١٠
ابن قبيبة : العلة في بدء القصائد بالغزل ٦٧ — ٥
ابن ماكولا : تعود الصبر لكترة هجرها إليه
١١ — ١٣٦
ابن ميادة : يتغزل بزينة ١٨ — ٨ ، النساء
اللائي تغزل بهن ٢٠٢ — ١٦
ابن هانئ : يتغزل في قصيدة مدح ١٦٣ — ٣ |
|--|---|

- ٣٤ — ٩ ، يمدح سلامة القس بشعر
وتفى به ٦٩ — ١٥ ، يتغزل في سلامة
القس ٩٤ — ٧ ، غزله في أم جعفر
٢٠٠ — ١ ، وفي سلامة القس
٧ — ٢٠٠
- إسحاق الموصلي : يعني برأه في الرشيد
٦٠ — ٥ ، القلب يطير دعاء الهوى
٢٠ — ٩٠
- اسعاعيل بن إسحاق الأزدي : يتغزل بالذكر
١٣ — ١٥٥
- اسعاعيل بن عمار : يصف الجواري ٤٣ — ١٩ ،
يتغزل في أول قصيدة مدح ١٦٣ — ٩
- اسماهيل بن الهرند : تأثير النساء ٥٣ — ٢ ،
يعنى فيحسن النساء ٥٣ — ٢١
- اسعاعيل صبرى : يصف الحمر في أول قصيدة
مدح ٢٥٩ — ٢ ، يتغزل في أول قصيدة
١١ — ٢٥٩
- أشجع السامى : يمدح الرشيد وينشد المدح تاركا
النبيب خوف فوت الصلاة فيطلب الرشيد
لإنشاد النسب ٦٨ — ٨
- الأعمى الطيلى : النظر بالعقل ، والسمع بالقلب
٧ — ١١٣
- اصرؤ الفيس : أحسن ابتداء قصيدة في الجاهلية
٦٧ — ١٤ ، في مجلس نساء يبنهن عنزة
٧١ — ١٠ ، مخاطرته في سبيل لقاء
الحبيبة ١٢٩ — ٢ ، بدء معلقتها
١٥٩ — ١٦ ، غزله في عنزة
١٩٣ — ١٣
- أم كلثوم : من أغانيها باللغة العربية ٢٣٢ — ١٦
٢٣٣ — ٥ وباللغة العامية ٢٣٦ — ١٦
- أممية بن عبد العزيز : يتغزل بالذكر ٥٥٥ — ٧
- ب
- البحرى : من غزله ٨٩ — ١٨ ، يتغزل بالذكر
- ١٥٤ — ١ ، يتغزل في أول قصيدة
مدح ١٦١ — ٩ — ٤ — ٢١٦ ، ٩
بشار : اجتماعه بالنساء في منزله ٣١ — ٢٠ ،
يتغزل في جارية ٤٩ — ١٢ ، يتغزل
في أول قصيدة مدح ٦٧ — ٢٠ ،
١٦٢ — ٦ ، يختال ليقول غزلا
٧٧ — ١٨ ، من غزله ٨٦ — ٣
من غزله في عبدة ٩٣ — ٢٠ ، في الوفاء
١٤٥ — ٨ ، في وصف الخضر
٢٠٧ — ١ ، من غزله الماجن
٤ — ٢١١
- بصص — جارية ابن نفيس : أدبها وغناؤها
٤٤ — ١٤ ، غزل ابن ذى الزوائد فيها
٦٢ — ١٢
- ت
- توبه بن الحبر : مخاطرته في زيارة ليلي ١٠٧ — ٢١
- من غزله فيها ١٩٨ — ١٧
- ث
- شمامه بن أشرس : غناء المرأة الجميلة ممتع
٤ — ٥٧
- ج
- جيран خليل جيران : الحب ٢٠٧ — ٢
- جرير : يخاطب الديار في أول قصيدة ١٦٠ — ٩
- جيبل بن معمر المذري : عرف صاحبته بشينة
في المرعى ١٨ — ١٣ ، من غزله في المحج
٢٥ — ٢١ ، يعنى بأبيات قاماها ٧٤ — ٨
بشينة تدبه عنة موته ٧٤ — ١٣ ،
جيبل وكثير يتناول شعرهما ٨٨ — ٣
جيبل وعمر بن أبي ربيعة يتناولان
شعرهما ٨٨ — ١٥ ، من غزله في
بشينة ٩٢ — ٤ ، يختال في زيارة بشينة
١٠٣ — ١٢ ، يجهل نفسه في سبيل

- زكي مبارك : حلم اللقاء ٣٧٠ — ٨
س
- سعيد بن مطرف : في الوفاء ٤٥ — ١٧
سعيد بن مسلم : رأي في آخر المشرق ٤٢ — ١٢
سعيد بن وهب : يتغزل في جارية ٤٦ — ١٣
سلامة القدس : أتفى برباته في زيارة بن عبد الملك ٥٩ — ١٩ ، وبشمر مدح فيها ٦١ — ١٠ (أظفار الأحسوس)
سلیمان بن عبد الملك : يشجع الفنان ٥٤ — ٩
سید قلب : الكلاس المسمومة ٢٧١ — ٢
ش
- شبل للباطل : يتغزل في أول قصيدة ٢٦٤ — ٢٠
نصف مجاس أنس ٦٢٦ — ٦ ، من غزله ٢٦٤—١٧
س
- الصبة الشيرى : من وفاته ١٤٥ — ٢٠
ط
- مانوس زمثسرى : من غزله ٢٨٠ — ١
طرفة بن العبد : أول معلقاته ١٦٠ — ٤
طه حسين : مجالس الأدب ٢٨ — ١٠ ، أدب
الجوارى في المصر العباسى ٤٤ — ٦ ،
ملوك العصر العباسى وشعراء الغزل ٧٩ — ١٠
- عائشة بنت حلبة : تستعين في قصرها على غزل
الثيرى ٧٠ — ١٨
العباس بن الأحنف : يتغزل في عنان ٦٢ — ١٨
يقدم في الصلاة عليه حين موته تعظيمها
٦٨ — ٢١ ، العشاق يرقى بهم فهم يعيش
٨٧ — ١٩ ، يعبرها حتى يبعد عنها
الظنة ٩٨ — ١٠ ، صدود المول
١١٣ — ١٠ ، مسكنها السما ١١٩ — ١١
- الحب ١١٦ — ١٨ ، ملعون الحب
١١٨ — ١١ ، تفضحه في سبيل لقائهما
١٢٥ — ٩ ، وفي سبيل حبه ١٢٧ — ١١
يقلب توبية لأن بشينة كانت تحضره فاما
غابت عليه توبية ١٣٢ — ٤ ، صبره في
احتمال آلام الحب ١٢٥ — ٨ ، من
وفاته ١٣٩ — ١١ ، من غزله ١٧٢ — ١٧
- ح
- حافظ إبراهيم : يتغزل في أول قصيدة مدح
١٦٣ — ١٤ ، ٢٥٠ — ١٩
الحسن بن وهب : يتغزل بالذكر ١٥٥ — ١٧
الحسين بن مطير : في الوفاء ١٤٦ — ٨
حسين بن الصحاك : يتغزل بالذكر ١٥٤ — ١٦ ،
في وصف مجلس أنس ٢٠٩ — ١٥ ،
من غزله الماجن ٢١٣ — ٨
hammad عبرد : يتغزل في جارية ٤٨ — ٨ ، يتغزل
بالذكر ١٥٤ — ٤
- خ
- خليل مطران : يتغزل في أدبية جيله ٢٦٥ — ٦
قضية بين القلب والعين ٢٦٦ — ٧
- د
- داود بن سلم : من وفاته ١٤٥ — ٥
- ذ
- ذو الرمه : يتغزل في مية ١٩ — ٦ ، وفي خرقاه
بالحج ٢٥ — ١
- ذو الرياستين : يحيى على المشرق ٨١ — ١٠
- ر
- الرياشى : كثرة الجووارى في المصر العباسى
٤٣ — ١٠
- ز
- الرجاجى : أصل معنى المغازلة ٧ — ١٤

- احتمال تمجيئ الحبيبة ١٣٥ — ٥ ، من غزله
١٧ — ٢٦٦ عباس ثمود المقاد : الفرق بين شعر بشار وكثير
- عبد الملك بن مروان : لا يرضي الغزل من نصيب
الشاعر ٧٧ — ١٢ عثمان بن حيان : يشجع على الفتاء ٣ — ٥٥
العرجي : يمجّحون ليقتلن البريء ٦ — ٢٥ ، سريان روح الحبيب
يتغزل في أم الأوصى ٩٩ — ١٤ ، وصف شواطئ البحر
النساء الائلي تعزل بمن ٧ — ٢٠١ في الاسكندرية ٢٥٣ — ٣ ، في الحبيبة
- عروة بن أذينة : من شعره يغنى به ابن سريح
في حضرة سليمان بن عبد الملك بالحج
١٢ — ٥٤ من كل شيء ١٠ — ٢٥٣ ، يتطلب أن
تأخذن قلبه ولكن لا تتنصله من مكانه
١ — ٢٧٩ هي مناه ١٢٧٩
- عبد الرحمن بن أرطاة : يتغزل في جميلة ٦١ — ٦١
عبد الصمد بن العذل : يتغزل في متيم المشامية
٤ — ٦٢
- عبد العزيز عتيق : يصف شاطئ البحر
٢٧٦ — ٢ ، يصف نزهة مع الحبيبة
في زورق ٢٧٦ — ٧ ، بعد حبيبته
١٥ — ٢٧٩
- عبد الله بن جعفر : تأثير الفتاء ٥٠ — ١٢
عبد الله بن عباس : يستمع إلى عمر بن أبي ربيعة
حيث ينشده غزلاً ١٩ — ٧٥
- عبد الله بن طاهر : ضعف الحبيب أمام الحبيبة مع
أنه قوى قاهر ٨٩ — ٥
- عبد الله بن علقمة : يتغزل في حبشية ٢٠ — ١٣
عبد الله بن المعتز : يتغزل بالذكر ١٥٤ — ١١
- عبد الله بن قيس الرقيات : النساء الائلي تعزل
٦٠ — ٢٠٠
- عبد الحسن الكاظمي : من غزله ٩ — ٢٤٩ ،
يتغزل بزينة بنت موسى ١٤ — ٢٣ ،
وياصرة من العراق ١ — ٢٤ ، في مجلس
نساء ٣٢، ٥ — ٣٣، ٥ ، ١ — ٧١ ، ٥ — ٥١ ،
في موسم الحج يلتقي الحاج ٦ — ٦٠ ،
يكتب نساء كثة عند موته ٧٢ — ٢٠
- عبد الملك بن عبد العزيز الساول : يتغزل في سعدى
٨ — ٢٥
- شبيه بن الأبر من : أول معلقاته ٦ — ٦

قيس بن ذريع : أول ألقائه لبني ٢١ — ٣ ،
يستنفuw بالحسين بن علي في زواجه بها
٧٥ — ٨ ، من غزله ٩١ — ١٩ ،
يحتال ليزورها ١٠٠ — ١١ ، مخاطرته
لياقتها ١١٧ — ١ ، تعلق روحهما
٦ — ١٢٠ ، أثر فراقها ٢٦١ — ٦
صبره على فراقها ١٣٥ — ١ ، صابه
في فراقها ١٣٦ — ٩ ، من وفاته
٢٠ — ١٤٠ ، من غزله ١٩٧ — ٢٠

قيس بن الملوح : مجنون ليلي : عرف ليلي وها
يرعيان ١٨ — ٥ ، سخير الدنيا بالحب
٦٦ — ٩ ، يبكيه النساء عند موته
٧٣ — ٢٠ ، يطلق واقظية يشبهها
بليل ٨٦ — ١٤ ، غيرته على ليلي
٦ — ١٠٦ ، يحتال لاقتها ١١٣ — ١٦
يعيب تزويج ليلي ١١٩ — ٧ ، جمنونه
في سبيلها ١٢٥ — ١ ، عذابه في حبها
١٢٧ — ٥ ، يغلب إذا كان خصميه بعيداً
عن حبيبته ١٣٢ — ٩ ، الصبر في سبيل
الحب ١٤٤ — ١٢ ، الابلاء بحبها
١٣٦ — ٧ ، من وفاته ١٣٧ — ١٨
غزله في ليلي ١٩٧ — ١١

ك

كثير : عوامل الشعر ١٥ — ١٥ ، أول معرفته
عزة ١٩ — ١١ ، من غزله في الحج
٢٦ — ٣ ، ضرورة العشق ٦٦ — ١٢ ،
يتنزل في جارية أم المؤمنين بنت عبد العزيز
ابن مروان ٧٢ — ٢ ، يبكيه النساء عند
موته ٧٣ — ١٠ ، علامه يبيع عزة سامة
ولا يقتضاها الثمن ٨٧ — ٧ ، يتناشد
وجيل شعرهما ٨٨ — ٣ ، حلاوة
الحاديـث ٩٥ — ٥ ، من وفاته
٢١ — ١٠٥ ، يطلب نوالهما ١١٨ — ٩

يتناشد وجيل شعرهما : في الغزل
١٥ — ٨٨ ، في الفراق ٩١ — ١٥ ،
حلاوة الحديث ٩٥ — ٢ ، تباهن بالغرفان
لارأته ٩٨ — ٧ ، يحتال في زيارة كاظم
١٠١ — ١٦ ، علامته في إعلامها بالموعد
ناسد ينشدها ١٠٤ — ١٥ ، يودع
الثريا ١٠٧ — ١٢ ، فطنة الحبيب
١١٣ — ١٩ ، وفاؤه ١١٧ — ٣
رجاء الحب ١١٨ — ٧ ، يتنزل في زينب
بنت موسى ١١٩ — ٤ ، من تاريخه
وتحليل شعره وبين تنزل من
١٧٧ — ١٠ إلى ١٩١

عمر بن عبد العزيز : يعيّب على نصيب غزله
١٤ — ٧٨

عنترة : يترضى حبيبته بشجاعته ١٣٧ — ١
أول معلقته ١٦٠ — ١ ، غزله في عبلة
١٢ — ١٩٤

عنات : تتقول شعراً تغنى به ٤٥ — ٨
١١ — ٤٥

غ

غيلان النقفي : لذة النسيب ٦٦ — ١٠
غاضرة : تكافف شعراء الغزل ٧١ — ٣

ف

فايد العمروسي : من صيابة الموى ٨ — ٢٨٠
الفنج بن خاقان : يتنزل في المذكر ٣ — ١٥٥
الفرزدق : من أشهر الناس ٣٥ — ٤ ، في الفخر
٣٦ — ١١ ، يخاطب الديار في أول
قصيدة ١٦٠ — ١١

ق

القس : يمدح سلامة ٦١ — ٢٠ ، ١٠ — ٦٣
القطامي : يبدأ القصيدة بالغزل ٦٧ — ١٨
يخاطب الأطلال ١٦٠ — ١٦

<p>المنفي : يتغزل في أول قصيدة مدح ١١—١٩ ، ٢١—٢٧</p> <p>معاوية : ينهى عن الغزل بالنساء ٧٧—٨</p> <p>عبد : تأثير الغناء ٥٢—١٣</p> <p>المعتمد بن عباد : وصف مجلس النساء ٣٧—١١</p> <p>المعروف الرصافي : يصنف مجلس هرو ٤—٢٥٦</p> <p>يغزل في جميع الفوان ٢٥٦—١٠ في الغزل بالذكر ٢٥٧—٥ ، في الوداع ١٠—٢٥٧</p> <p>المهدي : حلاوة حديث النساء ٦٦—١٦</p> <p>ينهى بشاراً عن الغزل ٧٧—١٨</p> <p>يضرب أبا العاتمية لعشيقه ٧٨—١٠</p>	<p>يطلب العلات بحمده ١٢١—٤ ، تصحيحة في سبيلها ١٢٨—٣ ، الصبر في سبيل جبها ١٣٤—١٩ ، من غزله في عزة ٣—١٩٩</p> <p>كتب بن زهير : ينشد بين يدي الرسول غزلاً ١—٧٥</p>
	ل
	<p>لبني : صاحبة قيس بن ذريع : انظر قيس بن ذريع</p> <p>ليل الأخيلية : من وفاتها ١٤٤—٢١</p> <p>ليلي : صاحبة قيس بن الملوح — المجنون : انظر قيس بن الملوح</p>
	م
	<p>المأمون : يكرم شعراء الغزل ٦٨—٢١</p> <p>حرز المكلي : ذكر الفوان ٦٦—٥ ، مكان حبيبه النجم ١١٨—١</p> <p>محمد بن احمد الكاتب : يتغزل في المذكرة ٢—١٥٦</p> <p>محمد رضا الشيباني : سانحة في الحب ٢٦٢—١٨ ، محبة الحب ٢٦٣—٨ ، يتغزل في أول قصيدة ٢٦٣—١٥</p> <p>محمد اليزيدي : يغنى بسره في المدح ٥٩—١٤</p> <p>محمد عبد المطلب : يبدأ قصيدة مدح بالغزل ١٦٤—٥</p> <p>محمد عبد الوهاب : من أغانيه ٢٣٣—١٢</p> <p>مرداد بن هام : يقتله الهوى ٩٢—١٥</p> <p>الرقش الأكبر : من غزله في أسماء ١٩٤—٢</p> <p>مروان بن أبي حفصة : يصف جارية ٤٥—٢٣</p> <p> محمود أبو الوفا : يحن للطوير لأجل الحببية ٢٨٠—١٣</p> <p>محمود حسن اسماعيل : يصف حمامات البحر ٢١٧—١١</p> <p>أغانيه من جبها ٢٧٩—٨</p>
ن	
<p>النابغة الذئاني : أول معلقته ١٦٠—٤</p>	
هـ	
<p>هرون الرشيد : يهوى ثلاث جوار ٤٨—١</p> <p>إخباره بالغناء ٥٣—١٦ ، ٥٤—١٦</p> <p>يستقبل الشعراء بالرقة ٦٨—٨ ، يروقه الغزل ويؤدب به ولديه ٨—٦</p>	
ي	
<p>يزيد بن ضبيه : يطلب منه الوليد بن يزيد أن يبدأ بالغزل قصيدة وصف ٥٩—٢</p> <p>في الوفاء ١٦١—٢</p>	
<p>يزيد بن الطثريه : يتغزل بوحشيه ١٨—١٩</p> <p>براه الحب ٨٩—١٥ ، الحبيبة تحب الشجاع ١٣١—٤ ، من غزله في وحشية ١١—١٩٩</p>	
<p>يزيد بن عبد الملك : شغفه بمحبة المغنية ٥٤—٦</p>	

تصويب

مهما جهد المؤلف في أن يكون التأليف خالياً من الأخطاء المطبعية ، فإنه لا بد من وقوع بعضها ، وهي لاتخفي على القارئ اللبيب . ولكن يحسن الإشارة إلى الأخطاء الآتية :

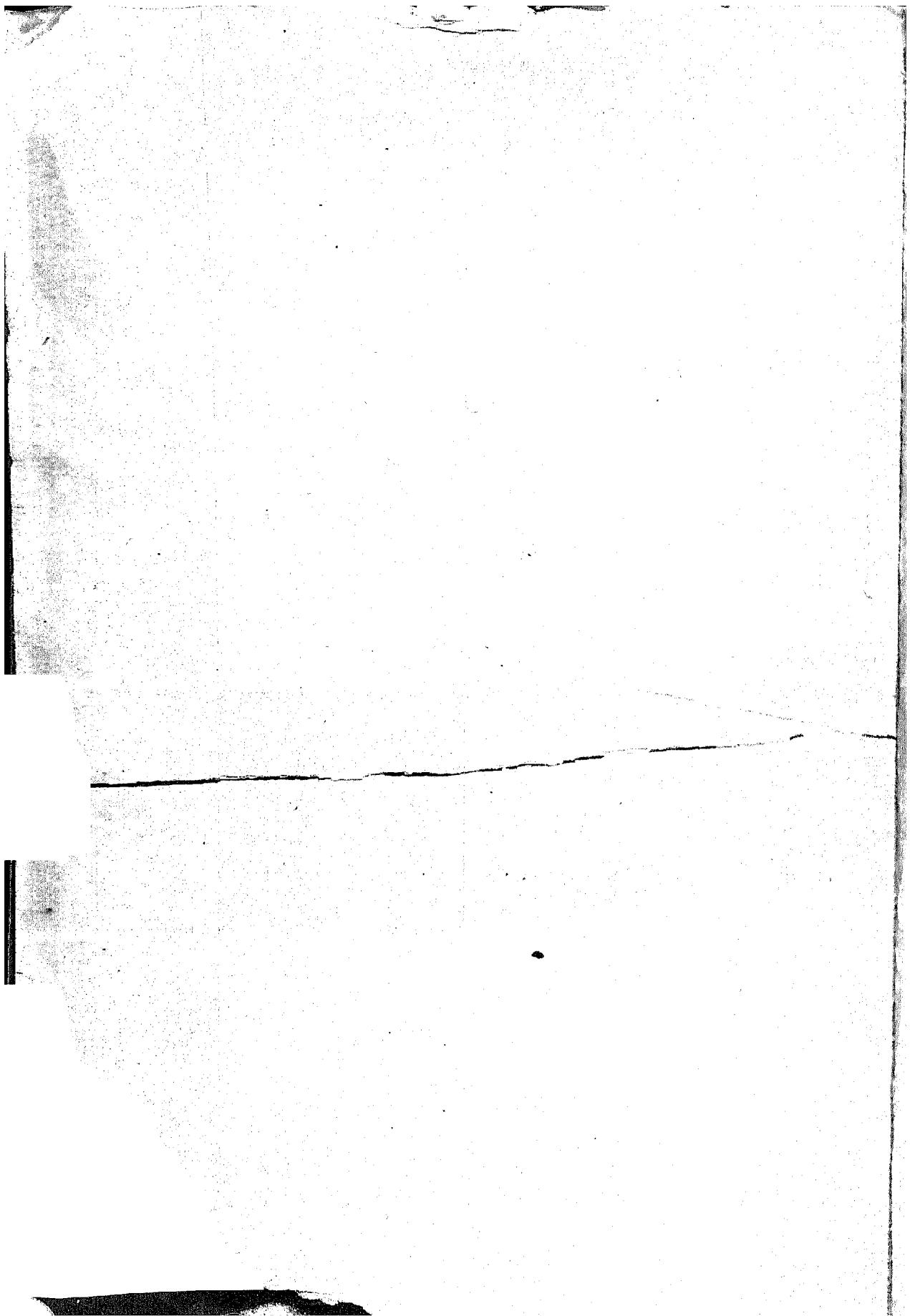
الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
ابن	بن	٥	١٤
البَهْم	البُهْم	٧	١٨
أوْقدَتْ	أوْقدَتْ	١١	»
هكذا في الرواية والفصيح يقول	يقلن	١٤	١٩
أنا	إِنَا	١٧	٣١
كُلُّ	كُلُّ	٢١	٣٤
السَّمَاء	السَّمَاء	١٦	٣٦
المتقدمة	المتقدمة	١١	٤٠
الحَيَاة	الحَيَّة	٢١	٤١
الماضين	الماضية	١٠	٤٩
بَيْنْ	بن	١٤	»
إِنْ	أَنْ	٢٠	٥١
الرشيد	الرشيدى	٢١	٥٣
فَاعطَاهَا	فَاعطَاهَا	٤	٥٣
تحت	تحب	١٥	٥٧
فِي كُلِّ عَصْرٍ	فِي عَصْرٍ	٤	٨١
يَعْبُسُونَ	يَعْشُونَ	٣	٩٨
فَدْعٌ	فَرْفَعٌ	١٧	٩٩

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
ملات	ملات	١٢	١١٣
وقد	ولا	١٢	١١٨
حزهم	حزهم	٤	١٣٤
ولينظر	ولينظر	١٧	١٧٤
عنهما	عنهما ما	٩	١٩٧
أجلها	أجلها	١	٢٠٣
نما	نما	١٨	٢٠٤
تقاليدهم	لتقاليدهم	٨	٢٠٦
تلع	تلع	٢	٢١٠
ظبية	ظبية	»	»
حاسدنا	حاسدنا	٤	»
نفقة	نعمه	١١	»
مطبيع	مطيعها	١٢	٢١٤
الله	والله	١٨	٢١٥
أسلن	أرسلن	١٩	»
لي	له	١٣	٢١٩
ج ١	ج ٧	٢ هامش	« هامش
أغلقت	أغلقت	٣	٢١٧
انشغل	انشغال	٣	٢٣٨
تعشو	تعشوا	١٢	٢٤٩
أيتها	أيتها	١٣	٢٥٢

كتب اللجنة

بعد تكوين اللجنة أصدرت في هذه الفترة الوحيذة ... عدداً من الكتب المدرسية المقروءة ... الكتب الآتية : ونالب تجربة كلّه الكتب من مكتبة بيروي الباي الحلبي بسيدها الحسين بالقاهرة :

محتويات الكتاب	اسم المؤلف	اسم الكتاب	رقم
يحدث عن "كثير من المشكلات الاجتماعية والأدبية ، التي يتساءل الإنسان عنها . ويهدف هنا الكتاب الجواب على ملزوم السعيد بعنوان "الحياة و ..." ، ٢٥٠ ملماً عدماً الباقي .	الأستاذ راسن نجف والمقداد	رسائل	١
يحدث عن مشكلات المأوى وفهم من شأن المأوى ووسائله ، مشاركة في كتاب المأوى . عدد صفحاته ١٢٨ ونحوه .	أثر الشرق في العرب المأوى وآدابه الأدبية جامعة فؤاد الأول	أثر الشرق في العرب	٢
يحدث عن فوبي عالمها ، وتطور محاجتها ووسائلها الملكية والاسلكية ، الرادار ، الطرب ، السلم . على يصول المأهاد والمحترفات . عدد صفحاته ٢٥٦ . ونحوه .	قصيدة الكبير ناه البرهانى المفتاح العلام لعلوم دورارة المأوى	قصيدة الكبير ناه والاسلكي	٣
يحدث عن "كثير من المشكلات الاجتماعية ، لاسيما مشكلات الفقر والجهل والمرض . فهو يتناول في الكتاب من أدواتها الاجتماعية وعاليه حكم بارز لها . عدد صفحاته ١٦٦ ونحوه .	الأستاذ نجف والمقداد الإمام ابن القطب العلام الملاعنة ، المأوى الشر	رسائل الاجتماعية	٤
يحدث عن الحبوبة : تاريختها ، بخراوتها ، أدواتها ، أدواتها ، حكمها ونتائجها ، أدواتها ، المرأة الحبوبية ، معلومات شائعة عن قدر شرق من أقطار الودادى . على يصول والحرانط ، عدد صفحاته ١٦٠ ونحوه .	الأستاذ راسن نجف جوهر صوابي ونحوه في المأوى	الحبوبة	٥





EXHIBITED AND INDEXED



0270575